مكتبة سديم الملكية | SADEEM ROYAL LIBRARY

"الغموض ليس مجرد قصة، بل تجربة نعيشها بين السطور"

أهلا بك أيها القارئ في رحاب شبكة سديم.

بين يديك الآن نسخة فريدة من روائع سيدة الغموض "أجاثا كريستي".
لقد تم اختيار هذا العمل بعناية، بعد البحث و التقصي عنه
لضمان تجربة قراءة تليق بذائقتك الرفيعة.

حقوق النسخة: حصري ا شبكة سديم.

 للمزيد من الروايات، انضم إلينا:
الموقع الرسمي: sadim.cloud
قناتنا على التليجرام: t.me/SADIM_NETWORK

قراءة ممتعة.. ولا تنس أن اللغز دائما يبدأ من هنا!

رواية
القطار الأزرق
أغاثا كريستي
ترجمة:
الأمجد العثماني
كتوباتي

Le Train Bleu

القطار الأزرق

أغاثا كريستي

Agatha Christie

ترجمها من الفرنسيّة

الأمجد العثماني

الكتاب: القطار الأزرق Le Train Bleu

تأليف: أغاثا كريستي

النوعية: رواية

العنوان الأصلي: لغز القطار الأزرق

صدرت أول مرة: 1928م

الفهرس

القطار الأزرق - أغاثا كريستي 5
الرجل ذو الشعر الأبيض 7
الماركيز 15
قلب النار 22
شارع كورزون 29
رجل الموارد 40
ميرال 54
الرسائل 62
رسالة الليدي تامبلين 73
اقتراح مرفوض 84
في القطار الأزرق 91
الجريمة 106
الفيللا المارغريتية 123
فان ألدن يتلقى رسالة 133
شهادة آدا ماسون 139
الكونت دي لا روش 147
بوارو يناقش القضية 156
رجل أرستقراطي 165
غداء كيترينج 174

زيارة غير متوقعة 179
كاثرين غراي 190
في التنس 199
زيارة صباحية 212
نظرية جديدة..... 221
بوارو يدلي برأيه 226
حذر 234
تحذير..... 243
ميرال..... 253
بوارو يلعب في سكارو بوارو 268
رسالة من سانت ماري ماد..... 282
الآنسة فينر تعطي نصيحتها 296
فطور السيد آرون..... 305
كاثرين وبوارو يقارنان انطباعاتهما 310
نظرية جديدة..... 317
القطار الأزرق قطار المليونيرات 322
التفسيرات..... 328
على شاطئ البحر 341

القطار الأزرق - أغاثا كريستي

القطار الأزرق (العنوان الأصلي: لغز القطار الأزرق) هي قصة بوليسية من تأليف أغاثا كريستي، بطلها المحقق البلجيكي هيركيول بوارو، نُشرت في المملكة المتحدة في 29 مارس 1928. ونُشرت في العام نفسه في الولايات المتحدة الأمريكية وبعدها بأربع سنوات، في 1932، في فرنسا. تعد الرواية تطويراً للقصة القصيرة "بليموث إكسبريس" (1923)، التي سبق أن ظهر فيها المحقق البلجيكي.

الملخص: يريد هيركيول بوارو قضاء بعض العطلات في الساحل اللازوردي. وللقيام بذلك، يستقل "القطار الأزرق" على خط كاليه - نيس. عطلة؟ ليس بالضبط، لأنه سيضطر إلى استخدام المهارات التي يستخدمها عادةً في عمله فقط: قدرته على حل الألغاز. تُقتل روث كيترينغ، ابنة السيد الثري فان ألدن أثناء الرحلة، بينما تُسرق ياقوتاتها وحقيبتها الجلدية الحمراء... ويستمر البحث والتشويق للقبض على الجاني أو الجناة وتفكيك كل الألغاز لغزا لغزا بأسلوب أغاثا كريستي.

الشخصيات هيركيول بوارو: المحقق الخاص البلجيكي اللامع، روفوس فان ألدن: المليونير الأمريكي، روث كيترينغ: ابنة روفوس، ديريك كيترينغ: زوج روث، ميرال: راقصة باريسية، عشيقة ديريك، الرائد ريتشارد كنايتون (المعروف باسم "المركيز"): كان في الجيش البريطاني، سكرتير فان ألدن، آدا بياتريكس ماسون كينغتون (في الواقع كاتي كيد): خادمة روث، كاثرين غراي: الشابة الإنجليزية، الليدي روزالي تامبلين: ابنة عم كاثرين، لينوكس تامبلين: ابنة روزالي، أرماند دي لا روش: الكونت المغامر، عشيق روث، ديمتريوس بابوبولوس: تاجر التحف اليوناني، زيا بابوبولوس: ابنة ديمتريوس م. كو: مفوض الشرطة، م. كاريج: قاضي التحقيق، جورج: نادل بوارو.

الفصل الأول

الرجل ذو الشعر الأبيض

عند منتصف الليل، كان هناك رجل يمشي في ساحة الكونكورد، وعلى الرغم من معطفه الفرو الرائع، فقد بدا ضعيفا وبائسا، وبدا هذا الرجل الذي يبدو عليه وجه الجرذ غير قادر على احتلال مركز هام في المجتمع، ومع ذلك فقد لعب دورا بارزا في مصائر العالم. كان ملك القوارض في إمبراطورية تلتهمها الجرذان، وفي هذه اللحظة بالذات كان من المتوقع أن يكون في إحدى السفارات.

ولكن كانت هناك بعض الأمور الشخصية التي كانت تحتاج إلى الاهتمام بها أولاً: أمور تجاهلتها سفارته، على الأقل رسمياً. كانت أشعة القمر تضيء وجهه الشاحب وتسلط الضوء على الخط المنحني قليلاً لأنفه النحيف. وكان والده، وهو يهودي بولندي، خياط متواضع، سعيداً بالتأكيد بتنفيذ المهمة التي جاءت بابنه إلى باريس في تلك الليلة، فقد عبر الأجنبي نهر السين، وسار على طول الأرصفة ودخل أحد أسوأ أحياء باريس. وتوقف أمام منزل كبير متهدم وصعد الدرج إلى الطابق الرابع. ولم يكد يطرق الباب حتى

انفتح وظهرت امرأة على عتبته. كان من الواضح أنها كانت تنتظره. وبدون أن تلقي عليه أدنى تحية، ساعدته في خلع معطفه وقادته إلى غرفة جلوس مفروشة بشكل أنيق. كان غطاء المصباح الوردي ذو الكشكشة المغبرة يخفي الضوء الكهربائي ويخفف من حدة ملامح المرأة الشابة، دون أن يخفي طبقة سميكة من الحمرة التي كانت تغطيها أو تعابير وجهها.

كان من السهل تخمين مهنة أولغا ديميروف وجنسيتها بسهولة.

- هيا يا عزيزتي، هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم كل شيء على ما يرام يا بوريس إيفانوفيتش

- لا أعتقد أن أحدا كان يتبعني"، قال متمتماً. ومع ذلك، كان صوته ينم عن نوع من القلق. ذهب إلى النافذة وأزاح الستائر بحذر ونظر إلى الأسفل. وبسرعة تراجع إلى الوراء.

- كان هناك رجلان واقفان على الرصيف المقابل. يبدو لي ذلك...

صمت وقضم أظافره، كما كان يفعل عادة عندما كان يشعر بالحرج.

طمأنته الشابة الروسية.

- لقد كانا هنا قبل وصولك.

- لكن يبدو أنهما يراقبان هذا المنزل.

- قالت المرأة بلا مبالاة: "ربما".

- حسناً، إذن...

- وماذا بعد؟ على افتراض أنهما يراقبان المنزل، إنهما لن يتبعاك أنت، ارتسمت ابتسامة قاسية على شفتي الرجل.

- لا

ثم أضاف، بعد دقيقة من التفكير:

- بشكل عام، يمكن لهذا الأمريكي اللعين أن يعتني بنفسه بمفرده.

- أعتقد ذلك.

ذهب الرجل إلى النافذة وتمتم قائلاً:

- الزبائن غير العاديين! يجب أن يكونوا معروفين لدى شرطة المكان أتمنى لهم التوفيق!

أومأت أولغا ديميروف برأسها.

- إذا كان اليانكي هو الرجل الذي يقولون إنه هو، فلن يسمح لنفسه أن أن ينخدع بهذين الوغدين.... أتساءل، مع ذلك.

- ماذا إذن؟

- لا شيء... اسمع: مر رجل مرتين هذا المساء في الشارع رجل بشعر أبيض.

- وما شأنك أنت؟

- عندما وصل إليهما، أسقط قفازه فالتقطه أحدهما وسلمه له. هذه خدعة كلاسيكية.

- أتعني أن هذا الرجل ذو الشعر الأبيض هو... رئيسهما؟

- شيء من هذا القبيل.

بدا الروسي قلقاً

- هل أنت متأكد تماماً أن الطرد آمن؟

لم يلمسها أحد؟ كان هناك الكثير من الثرثرة لقد قضم أظافره مرة أخرى

- انظري بنفسك.

انحنت أولغا نحو المدفأة وأزاحت الرماد جانباً بخفة كاشفةً عن بعض الجرائد نصف المحروقة من وسط الموقد المطفأ، سحبت قطعة صغيرة ملفوفة في صحيفة دهنية وناولتها للرجل العجوز.

- قال: "هذا مكان إخفاء بارع".

- لقد فتشوا الشقة مرتين وثقبوا الفراش...

- كما قلت لقد كان هناك الكثير من الكلام... الكثير من التردد والمساومة.

قام بفتح الصحيفة وفي وسطها صندوق ملفوف بورق بني اللون تفقد المحتويات وسرعان ما أعاد تغليف الطرد. ثم رن جرس الباب.

- "الأمريكي دقيق في مواعيده"، علقت أولغا وهي تلقي نظرة خاطفة على الساعة.

غادرت الغرفة، وبعد دقيقة، أدخلت زائرًا. رجل طويل القامة جداً ذو أكتاف قوية، من الواضح أنه أمريكي.

كانت عيناه الحادّتان تتنقلان من واحد إلى آخر.

- "سأل بأدب: "سيد كراسنين؟

- نعم يا سيدي"، أجاب بوريس. سامحني على مقابلتك في مثل هذا المكان السيئ الاختيار، ولكن الكتمان ضروري ولا أريد أن يكون لي دور في هذا لا أريد أن يعرف أحد دوري في هذه القضية.

- حسناً"، أجاب الرجل الآخر.

- لقد وعدت بعدم إفشاء أي تفاصيل عن هذه الصفقة. هذا هو أحد شروط صفقة البيع.

- أومأ الأمريكي برأسه، لقد تمت الصفقة هل تريد أن تريني الغرض؟

- هل لديك المال... بالأوراق النقدية؟

- نعم، لدي.

لكن الأمريكي لم يتحرك بعد.

لحظة تردد، أشار كراسنين بعدها إلى الرزمة الصغيرة على الطاولة.

أخذها الأمريكي وأفرغ الأوراق. قام بفحص المحتويات بدقة على ضوء مصباح كهربائي صغير. راضياً، أخرج محفظة كبيرة من جيبه وأخرج حزمة من الأوراق النقدية التي سلمها للروسي. قام الروسي بعدها ببطء

- هل هذا حسابك يا سيد كراسنين؟

- نعم يا سيدي، شكراً لك.

قام الأمريكي بحشو الرزمة الصغيرة في جيبه بلا مبالاة وحيا المرأة الشابة.

مساء الخير يا آنسه مساء الخير سيد كراسنين.

غادر، وأغلق الباب خلفه تقابلت نظرات الرجل والمرأة بوريس، مرر كراسنين لسانه على شفتيه الجافتين.

- أتساءل... هل سيعود إلى الفندق بسلام؟

تمتم باتفاق واحد، ذهب كلاهما إلى النافذة. ذهبا في الوقت المناسب لرؤية الأمريكي يخرج إلى الشارع وينعطف يساراً، ويمشي بخطى سريعة.

قالت أولغا: - "سيصل بأمان بالتأكيد". لا تقلق بشأنه... أو الأمل...

- لماذا تعتقدين أنه سيصل؟ سأل كراسنين مفتوناً.

- الرجل الذي جمع الكثير من المال بالتأكيد ليس أحمقا. وبالحديث عن المال... رمقت كراسنين بنظرة ذات مغزى.

- ماذا؟

- نصيبي يا بوريس إيفانوفيتش. ناولها كراسنين على مضض تذكرتين. فأومأت برأسها شاكرة دون أن تبدي أي امتنان، ودسّت التذكرتين في جوربيها. كل شيء على ما يرام، قالت وقد بدا عليها الرضا، أنت لست نادمة على شيء، أليس كذلك يا أولغا فاسيلوفنا؟

ـ نادمة على ماذا؟ على ذلك الشيء الذي عهدت به إلى رعايتك. إن بعض النساء، وهن كثيرات... قد يجن جنونهن أمام كنز كهذا، فتأملت:

- نعم. معظم النساء يعشقن الجواهر، لكن ليس أنا. الآن أنا أتساءل...

- ماذا؟

- ليس لدى الأمريكي ما يخشاه... لست قلقة عليه. ولكن بعد ذلك...

- ماذا تقصدين؟

- سيعطي هذه الجوهرة لامرأة كهدية"، قالت أولغا بصوت جاد. وبإيماءة عصبية هزت كتفيها وهرولت إلى النافذة. وفجأة أطلقت صيحة تعجب ونادت

رفيقها: - "انظر! ها هو ذا قادم في الشارع، فانحنى كلاهما ورأيا شخصاً نحيفاً أنيقاً يرتدي معطفاً أسود؛ وكان الرجل يمشي ببطء أمام فانوس كهربائي والتقط الضوء خصلة شعر على حافة قبعته.

الفصل الثاني

الماركيز

مضى الرجل ذو الشعر الأبيض في طريقه دون عجلة من أمره. بدا غير مبالٍ، وسلك أول شارع على اليمين ثم انعطف يساراً من وقت لآخر، كان يدندن بمقاطع أغنية. وفجأة توقف في مساراته وأصغى بانتباه. كان قد سمع للتو دوياً. هل كان انفجار إطار أو... طلق ناري؟ ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة للحظة. ثم استأنف سيره الهادئ.

عند زاوية أحد الشوارع رأى تجمعاً صغيرا، ممثل للقانون، يحمل دفتر ملاحظات في يده، كان يستجوب المارة.

تحدث الرجل ذو الشعر الأبيض بأدب مع أحدهم.

- ماذا حدث؟

- اعتدى اثنان من البلطجية على أمريكي عجوز.

- هل آذوه؟

- لا يا سيدي كان الأمريكي يحمل مسدسا معه.

دون أن يضيع لحظة، أطلق النار على قطاع الطرق الذين هربوا وصلت الشرطة بعد فوات الأوان.

- آه!" قال المتحدّث، لم يظهر على وجهه أي انفعال. واصل نزهته الليلية. وسرعان ما عبر نهر السين مرة أخرى ودخل أحد الأحياء الغنية في باريس. وبعد عشرين دقيقة من المشي توقف في شارع أرستقراطي هادئ، أمام متجر متواضع المظهر... متجر بابوبولوس تاجر التحف المشهور، لم يكن في حاجة إلى الدعاية والإعلان وبالكاد كانت تجارته تجري أمام منضدة دكانه. في هذه الساعة المتأخرة، كان المرء يتوقع أن يجد السيد بابوبولوس في الشقة الفخمة التي يسكنها في شارع الشانزليزيه. ولكن الرجل ذا الشعر الأبيض كان متيقناً من نجاح مسعاه فحملق في الشارع ثم ضغط على الزر الموضوع في الظلام، ولم يخيب يقينه... ففتح الباب ووقف على العتبة رجل ذو بشرة نحاسية اللون يلبس حلقات ذهبية في أذنيه.

- قال الزائر: - مساء الخير. هل سيدك بالداخل؟

ـ نعم، ولكنه لا يستقبل الضيوف في هذا الوقت من الليل.

- لعله يستقبلني. أخبره أن صديقه المركيز قد جاء لزيارته، وبينما هو يتكلم أخفي الرجل الذي حمل هذا اللقب وجهه بيده. وسرعان ما عاد الخادم ليخبره

أن السيد بابوبولوس سيكون مسروراً باستقباله، ولم يبد هذا الخادم الذي كان شديد الملاحظة وحسن المظهر، أي دهشة من القناع الأسود الصغير المصنوع من الساتان الذي كان يغطي وجه الزائر. وقاد الرجل إلى الجزء الخلفي من القاعة، وفتح الباب وأعلن في همس محترم: - (السيد ماركيز!) ونهض رجل عجوز مهيب المظهر لتحية الوافد الجديد. وكان لهذا الرجل المهذب بجبهته العالية ولحيته البيضاء مظهر أبوي جليل. قال السيد بابوبولوس الذي كان يتكلم الفرنسية بصوت دافئ ومختوم جيداً: - ـ(يا صديقي العزيز!)

- معذرة على وصولي في مثل هذه الساعة.

- أنا نفسي بومة ليلية. لا شك أنك أمضيت أمسية ممتعة، أليس كذلك؟

- "ليس بالضبط". هل هناك أي شيء جديد؟

نظر السيد بابوبولوس إلى زائره نظرة لم تكن لا أبوية ولا خيرية.

- باءت المحاولة بالفشل. اعترف المركيز: "كنت أتوقعها بالأحرى".

- يا إلهي! العنف!

بإشارة من يده، عبر السيد بابوبولوس عن احتقاره للعنف بكل أشكاله لم يكن هناك شيء وحشي في تاجر الآثار هذا. لقد كان معروفاً في معظم

محاكم أوروبا. كان الملوك يطلقون عليه لقب "ديمتريس" وكان تحفظه الرائع وتقديره، وتميز أخلاقه ضمنت له الأفضلية في بعض المعاملات الملتبسة.

- الهجوم المباشر، قالها السيد بابوبولوس وهو يهز رأسه... ".. نادراً ما تحقق هذه الطريقة هدفها.

وهز الآخر كتفيه.

- إنه يوفر الوقت، وعندما يفشل، لا يكلف شيئًا... أو قليلًا جدًا. سوف تنجح الخطة الأخرى.

- آه!" قال السيد بابوبولوس وهو ينظر بانتباه إلى محاوره ثم أضاف: "لدي أكبر الآمال على... سمعتك... "

ابتسم الماركيز.

- يمكنني أن أؤكد لك أنه لن يخيب أملك.

- أنت تحمل بعض الأوراق الرابحة الهائلة في يدك"، كما أعلن السيد بابوبولوس، وميض من الحسد في صوته.

- قال الماركيز: "أنا لا أترك حجرًا على حجر".

نهض والتقط معطفه الذي كان قد وضعه بلا مبالاة على ظهر كرسي بذراعين.

- سيد بابوبولوس، سأبقيك على علم بالقضية. أتمنى ألا يكون لديك أي مشاكل خاصة بك.

بدا السيد بابوبولوس حزيناً.

- "كل شيء سيكون على ما يرام من جانبي"، أكد له.

فابتسم الرجل الآخر وغادر دون أن ينطق بكلمة وداع وأغلق الباب خلفه. للحظة واحدة بقي تاجر التحف متأملاً وملاطفا لحيته البيضاء الموقرة، ثم توجه إلى الباب الذي يفتح على داخل الغرفة. وعندما أدار مقبضه، إذا بامرأة شابة متكئة على الباب، فأسندت أذنها على القفل، وسقطت إلى الأمام، رأسها أولاً ولم يظهر السيد بابوبولوس أي دهشة.

- حسنا زيا، سألها بابوبولوس؟

- لم أسمعه يغادر"، أوضحت زيا.

طويلة القامة هي زيا وبنيتها مثل جونو مع عيون سوداء مليئة باللهب، كانت تشبه السيد بابوبولوس إلى حد كبير لدرجة أنه كان من الواضح على الفور أنهما أقارب.

- إنه لأمر مزعج أنك لا تستطيع أن ترى من خلال القفل وتستمع في نفس الوقت"، علّقت منزعجة.

- لقد اختبرت هذا الانزعاج بنفسي أكثر من مرة.

اعترف السيد بابوبولوس بكل بساطة.

- إذاً فقد كان السيد ماركيز سينيور؟ هل يحمل دائماً قناعا؟

- نعم، دائماً.

كان هناك وقفة. صمت الاثنان...

- ربما جاء من أجل الياقوت؟

- نعم، ما رأيك به يا طفلتي العزيزة؟

كانت هناك نظرة مسليّة في عينيها النفاثتين.

- أجابت زيا ببطء: أعتقد أنه من النادر جداً مقابلة رجل إنجليزي مرموق يتحدث الفرنسية بهذه الطريقة.

- هل تعتقدين؟ ولم يساوم كعادته، ولكنه نظر إلى زياء بنظرة فيها شيء من التسلية كما هي عادته. نظر إليها باستحسان.

- ولاحظت أيضاً أن رأسه كان غريب الشكل..

- إنه ضخم بعض الشيء، أليس كذلك يا زيا؟ دائماً ما يكون له هذا التأثير

تبادل الأب وابنته نظرة معرفة وكلاهما ابتسم.

الفصل الثالث

قلب النار

عبر روفوس فان ألدن من الباب الدوار لفندق سافوي وشق طريقه إلى مكتب الاستقبال.

قالت موظفة الاستقبال بابتسامة: - "أنا سعيدة بعودتك يا سيد فان ألدن".

وأضافت بابتسامة ودودة: "ألدن".

أومأ المليونير الأمريكي برأسه في رده وسأل:

- هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم يا سيدي. الرائد كنايتون في الطابق العلوي.

- هل هناك أي بريد لى ؟

- لقد صعد يا سيد فان ألدن. لحظة واحدة.

لقد ادخل الموظف يده في الخزانة وسحب رسالة.

- لقد تم إحضارها للتو".

أخذ روفوس فان ألدن الرسالة. عند رؤية خط اليد - خط يد امرأة كبيرة - تغيرت تعابير وجهه، خفتت ملامحه وارتاحت تقاسيم فمه واسترخى. بدا وكأنه

رجل مختلف. مع الرسالة في يده وابتسامة على شفتيه، ذهب إلى المصعد. في غرفة المعيشة في شقته كان هناك شاب صغير جلس على المكتب، يتصفح البريد بكل سهولة الممارسة. وقف عندما دخل السيد فان ألدن.

- صباح الخير يا كنايتون.

- صباح الخير سيدي، هل كانت رحلتك جيدة؟

- ليست سيئة جدا"، أجاب المليونير. والآن، باريس مليئة بالنشالين ومع ذلك... أحضرت ما ذهبت للبحث عنه.

- سأكون مندهشًا إذا لم تفعل"، ابتسم السكرتير.

ألقى المليونير معطفه الثقيل واقترب من المكتب.

- لا شيء عاجل.

- لا أعتقد ذلك يا سيدي. حتى الآن هو البريد المعتاد لكني لم أرى كل شيء بعد، نادرا ما كان فان ألدن يعاتب أو يجامل موظفيه في الواقع، لقد استخدم طريقة بسيطة للغاية كان يختبرهم من خلال خطواتهم وفصل على الفور أولئك الذين لم يرقوا إلى المستوى المطلوب في مهمتهم.

قبل شهرين، كان قد قابل كنايتون في منتجع شتوي في سويسرا. وجد في دفتر خدمته العسكرية تفسيرًا لعرجته الطفيفة من جانبه، قال كنايتون أنه

كان يبحث عن عمل وسأل المليونير بخجل إذا كان المليونير يعرف أي وظائف شاغرة. وعلى شفتيه ابتسامة مسلية تذكر فان ألدن الشاب الصغير عندما عرض عليه أن يصبح سكرتيره.

- ولكن... أنا لا أعرف أي شيء عن الأعمال التجارية. ليس لدي أي معرفة.

- لا يهم"، أجاب فان ألدن. لدي بالفعل ثلاثة سكرتيرات للتعامل مع بريدي التجاري.

ولكنني أخطط للبقاء في لندن لمدة شهر وأحتاج إلى شخص ما إنكليزي يعرف كل العادات والتقاليد في لندن من أجلي. كان فان ألدن مسرورا باختياره. كنايتون الموهوب بالذكاء، يعرف كيف يجعل نفسه مفيدا ويمتلك بعض سحر وتميز معين.

أشار السكرتير إلى ثلاث أو أربع رسائل موضوعة على زاوية المكتب.

- ربما من الأفضل أن تلقي نظرة على هذه يا سيدي.

هذه يا سيدي الرسالة الأولى تتعلق بعقد كولتون، احتج روفس فان ألدن بإشارة من يده.

- لن أتعامل مع هذه الرسالة حتى صباح الغد.

الليلة سأقرأ هذا فقط"، قال وهو ينظر إلى الرسالة التي في يده.

ومرة أخرى ارتسمت ابتسامة على وجه المليونير.

وبدا ريتشارد كنايتون متعاطفا.

- "من السيدة كيترينغ؟" وغمغم. لقد اتصلت البارحة وهذا الصباح لقد أرادت رؤيتك حالا يا سيدى.

- آه ! تريد رؤيتى!

فتح المليونير المظروف الذي في يده وقرأ رسالة ابنته. فامتقع وجهه، واتخذ فمه ذلك الخط القاسي المتوعد المألوف في وول ستريت، وتجمع حاجباه معاً، فأدار كنايتون رأسه بلباقة وانغمس في البريد. تمتم المليونير بلفظ بذيء وضرب بقبضته المشدودة على الطاولة، وقال بأسنانه: - لن أحتمل هذا! من حسن الحظ أن والدها العجوز لا يزال هنا. ولبضع دقائق ظل يخطو في الغرفة وعلى وجهه نظرة قلق، وكان كنايتون لا يزال مستغرقاً في عمله، وفجأة توقف فان الدين والتقط معطفه.

– هل ستخرج يا سيدي؟

- نعم، أنا ذاهب لرؤية ابنتي.

- إذا هاتف منزل كولتون...

- أرسلهم إلى الجحيم!

- "نعم يا سيدي" أجاب السكرتير دون أن يتأثّر.

وضع فان ألدن قبعته على رأسه واتجه نحو الباب. وضع يده على المقبض واستدار.

- كنايتون، أنا أقدر تحفظك، عندما تراني منزعجاً.

اكتفي كنايتون بالابتسام.

- روث هي طفلتي الوحيدة ولا أحد يعرف كم أحبها.

وضع يده في جيبه

- هل تريدني أن أريك شيئا؟ وهو يعود إلى سكرتيره.

أخرج من جيبه رزمة ملفوفة بورق بني اللون. قام بفكه وكشف عن حقيبة مخملية حمراء باهتة في وسطها علبة مخملية حمراء باهتة يعلوها تاج. فتح العلبة.

لم يستطع السكريتير إخفاء دهشته...

مقابل اللون الأبيض الباهت من الداخل، بدت الحجارة كقطرات من الدم

- هل هي حقيقية؟

أطلق فان ألدن ضحكة مدوية، مسلية.

- لست مندهشاً من سؤالك. هذه الياقوتات ثلاثة من أكبر الياقوتات في العالم ارتدتهم كاثرين ملكة روسيا الوسطى المعروفة باسم "قلب النار". هذه الياقوتة ذات النقاء.

- لكنها تساوي ثروة!

- نعم، أربع أو خمسمائة ألف دولار بالإضافة إلى القيمة التاريخية للجوهرة "، أوضح فان ألدن بلا مبالاة بصوت متبلد.

- وأنت تحملها في جيبك!

- بطبيعة الحال"، أجاب المليونير. سأعطي هذه الهدية الصغيرة الى ابنتي.

- آه، لقد فهمت الآن قلق السيدة كيترينغ على التليفون"، همهم السكرتير. وهز فان ألدن رأسه وارتسمت على وجهه تعبيرات صارمة.

- أنت مخطئ. إنها لا تعرف أنني أحمل لها هذه القلادة. أنا أحتفظ بهذه المفاجأة لها.

وأغلق الصندوق، وأعاد الرزمة إلى مكانها.

- لا يمكنك أبداً أن تفعل الكثير من أجل من تحبهم.

كنايتون لو أرادت روث ذلك لأعطيتها قطعة من الأرض يمكنني أن أضع هذه الجوهرة حول عنقها وأعطيها بضع لحظات من الفرح، ولكن...

هز رأسه بحزن:

- عندما لا تكون المرأة سعيدة في بيتها...

لم يكمل الجملة.

أومأ السكرتير برأسه. أفضل من يعرف سمعة الشريف ديريك كيترينغ. تنفس فان ألدن الصعداء ووضع الطرد في جيب معطفه، وحيا كنايتون ثم انصرف.

الفصل الرابع

شارع كورزون

كانت السيدة المحترمة ديريك كيترينغ تعيش في شارع كورزون. الخادمة التي فتحت الباب تعرفت على روفس فان ألدن ومنحته ابتسامة ترحيب محترمة وقادت الأمريكي إلى غرفة الرسم الكبيرة في الطابق الأول..

نهضت المرأة الجالسة بجانب النافذة بصرخة دهشة.

- أوه، بابا! أنا سعيدة جداً لرؤيتك! لقد كنت اتصل بالسيد كنايتون طوال اليوم محاولا الاتصال بك، لكنه لم يكن متأكدا من موعد وصولك.

روث كيترينغ كانت في الثامنة والعشرين. لم تكن جميلة أو حتى بالمعنى العادي للكلمة، فقد جذبها لون شعرها ورقة بشرتها. في الماضي، كان فان ألدن يلقب بـ (ذي الشعر الكستنائي النادر) أو (ذي الشعر الجزري) وكان شعر روث ذا لون كستنائي نادر.

كان ظلًا نادرًا من اللون البني الفاتح.

عيناها الداكنتان جداً برموشهما السوداء الطويلة وبنيتها النحيلة جعلتها تبدو كواحدة من لوحات رافائيل، السيدة العذراء، للوهلة الأولى.

ولكن إذا نظرت إليها عن كثب ستلاحظ أن خط ذقنها وفكها يحمل تشابهًا قويًا مع فان ألدن، إرادة غير مرنة. إذا كانت هذه الصلابة في الجزء السفلي من الوجه تناسب الرجل، فإنها لم تكن تناسب امرأة.

لقد كانت روث فان ألدن منذ طفولتها الأولى تتصرف على هواها نزوتها، وأولئك الذين حاولوا إحباط خططها سرعان ما أدركوا أن ابنة فان ألدن لم تستسلم أبدا.

- أخبرني كنايتون أنك اتصلت به هاتفياً"، قال فان ألدن، لقد وصلت للتو من باريس من حوالي نصف ساعة تقريبا. ما هذه الحكاية عن ديريك؟

احمر وجه روث كيترينغ من الغضب.

- لقد تمادى كثيراً! لن يستمع إليّ!

صاحت بصوت أظهر الدهشة والغضب في آن واحد.

- أؤكد لك أنه سيستمع إليّ! قال المليونير.

- بالكاد رأيته منذ شهر. إنه يتباهى بنفسه في كل مكان مع تلك المرأة

- أي امرأة؟

- ميرال تعرفين راقصة البارثينون الأخيرة ذهبت لرؤية اللورد لوكونبيري الأسبوع الماضي لقد كان لطيفاً جداً ووعد بتلقين ديريك درساً.

- آه!

- أبي، ماذا تقصد بـ آه

أوه، أنت تعرفين رأيي في والد زوجك. اللورد لوكونبري المسكين يساق من أنفه، ومن الطبيعي أن يبدي لك عطفه عليك ويحاول مواساتك. فهو سعيد لرؤية ابنه الوحيد متزوج من ابنة أحد أغنى الرجال في الولايات المتحدة، ولا يريد أن يرى الوضع يفسد عليه. يعلم الجميع أنه قد وضع قدمًا واحدة بالفعل في القبر، وأي نصيحة يمكن أن يقدمها لديريك لن تجدي نفعًا.

وماذا عنك يا أبي، ألا يمكنك أن تأخذه إلى التفاهم؟

سألت روث.

- قال المليونير ربما. يمكنني استخدام بعض وسائل معينة، ولكن هناك وسيلة واحدة فقط فعالة حقا. السؤال هو ما إذا كان لديك الطاقة للقيام بذلك...

نظرت إليه بتساؤل.

- نعم، هل تشعرين بأنك قادرة على الاعتراف للعالم بأنك ارتكبت خطأ؟ في رأيي يا "روث"، الحل الوحيد هو فسخ زواجك.

- آه؟ تقصد...

- طلاق !

- طلاق!

- أنتِ تكررين هذه الكلمة وكأنك تسمعينها لأول مرة. ـ لكن صديقاتك يتطلقن كل يوم ـ

- أعلم ذلك ولكن... عضت على شفتيها وخمّن والدها ما كانت تفكر فيه:

- "أنا أفهمك يا روث الصغيرة، أنت لا تحبين فراق ما هو لك. ستعلمك التجربة أن هذا هو القرار الوحيد الذي يمكنك اتخاذه في ظروف معينة. بالطبع، يمكنني أن أفكر في ست وثلاثين طريقة لتذكير زوجك بواجباته. كل ما علي أن أفعله هو أن أصرخ فيأتي ويرتمي عند قدميك كالكلب ما فائدة ذلك؟ إنه فاسق، مبذر! أنا نادم على موافقتي على هذا الزواج! لقد بدا لي أن اختيارك لا رجعة فيه وقد آمنت بحسن نواياه... ثم... لقد أغضبتك مرة واحدة... قال هذه الكلمات الأخيرة دون أن ينظر إلى ابنته، ولو كان يراقبها لرأى احمراراً مفاجئاً يعلو وجنتيها.

- قالت بجفاف: "أتذكر بما فيه الكفاية...

- لم أشعر بالقوة الكافية لإحباط خططك مرة ثانية. الآن أنا نادم على ذلك لقد عانيت كثيراً في هذه السنوات القليلة الماضية يا صغيرتي روث، فالحياة

لم تكن... ممتعة بالنسبة لي. " ووافقته السيدة كيترينج الرأي. " قال الأب وهو يضرب بقبضته على المنضدة: "لهذا السبب يجب أن نضع حداً لهذا! ربما لديك القليل من الحب المتبقي لهذا الرجل؟ حاول أن تنسى. واجهي الحقائق: لقد تزوجك ديريك كيترينج من أجل مالك. استعيدي حريتك يا روث، فنظرت إلى الأرض وقالت دون أن ترفع رأسها:

- ماذا لو أنه لا يريد إعادته؟

ظل فان الدين مندهشاً. - لن يكون له رأي في المسألة.

خجلت الشابة. - لا... من الواضح. قصدت... توقفت.

كان والدها يحدق بها. - ماذا كنت تقولين؟

اختارت روث كلماتها للإجابة.

- ربما لن يتقبل هذا الحل بالسهولة التي تعتقدها.

برزت ذقن المليونير. دعيه يدافع عن نفسه إن استطاع. لكنك مخطئة، لن يفعل. كل المحامين سيقولون له إنه خاسر مسبقاً بدافع الحقد المحض ضدي.

- يمكنه أن يضع العراقيل في الطريق.

أومأ والدها برأسه

- عليه أن يأتي بسبب وجيه.

لم تجب السيدة كيترينغ.

- هيا يا روث، هل انت في مشكلة ؟ اخبريني عنها!

- لا شيء يا أبى، لا شيء على الإطلاق، أجابت وصوتها المتزعزع.

- انت تخافين من الدعاية، أليس كذلك ؟

دعيني أفعل شيئاً، سأفعل ذلك بطريقة تجعل كل شيء يسير على ما يرام كالساعة.

- حسنا، أبي، إذا كنت تعتقد حقا أن هذا المسار هو الأفضل....

- هل ما زلت تحبينه يا روث؟

- لا، لم أعد أحبه بعد الآن.

هذه الكلمات التي قيلت بصوت هادئ طمأنت فان ألدن. وربت على كتف ابنته بحنان.

- كل شيء سيكون على ما يرام يا ابنتي الصغيرة. لا تقلقي بعد الآن. لنترك هذا جانباً ونتحدث عن شيء آخر. سأحضر تذكاراً صغيراً من باريس

- تذكار جميل؟

- آمل، على الأقل، أن تجديه يناسب ذوقك.

سلمها الطرد الصغير فقامت بفتحه... فتحت العلبة وساد تعجب طويل خرجت من شفتيها كلمات الإعجاب والدهشة. كانت روث كيترينغ تحب المجوهرات.

- أوه، أبي! يا للروعة!

- انها خارجة عن المألوف، أليس كذلك ؟

فرح من فرحة ابنته.

- "هل أعجبتك هذه الجوهرة؟

- هل أعجبتني؟ هذه الياقوتات رائعة. من أين؟ هل اشتريتهم يا أبي؟

- آه، هذا هو سري، كان علي أن أحضرهم لك سراً بالطبع، هذا العقد مشهور انظري إلى الحجر في المنتصف ربما سمعت عنها إنها جوهرة تاريخية: "قلب النار!"

أخرجت القلادة من علبتها ووضعتها على صدرها. راقبها المليونير وهو يفكر في النساء الأخريات اللاتي ارتدين هذه الجوهرة.

"قلب النار" مثل كل الجواهر الشهيرة، جلبت معها سلسلة كاملة من جرائم القتل والعنف والغيرة واليأس. في يد روث كيترينغ بدت وكأنها فقدت كل

خبثها، هذه المرأة الغربية الهادئة والحازمة، بدت محصنة ضد مآسي العاطفة.

وضعت روث القلادة في الحقيبة وهي تبتسم من الفرح وقفزت على رقبة والدها.

- شكراً لك يا روث !

- ألف شكر يا أبي. هذه الأحجار رائعة! أنت دائما ما تعطيني هدايا رائعة.

- أنا سعيد جداً بسعادتك بهذه الجوهرة يا صغيرتي روث! أنتِ كل ما تبقى لي لأدللكِ.

- سنتناول العشاء معا، أليس كذلك يا أبي؟

- لا يمكنني ذلك، كنتِ تستعدين للخروج، أليس كذلك؟

- نعم، ولكن يمكنني بسهولة إعادة جدولة الموعد. لا شيء لطيف جداً في الحقيقة.

- اخرجي، بما أنك كنت تنوين ذلك، أنا نفسي لدي الكثير لأفعله هذا المساء، أراكِ غداً. اذا كان بإمكانك مهاتفتي أطلبيني عند جالبريت.

السيد جالبريت وكاثبرتسون كانا محامى فان ألدن في لندن..

- حسنا يا ابي، ثم أضافت بعد تردد لثانية واحدة:

- كل هذا لن يمنعني من الذهاب إلى الريفيرا، أليس كذلك؟

- إلى الريفييرا؟

- متى ستغادرين؟

- في الرابع عشر.

- يمكنك المغادرة بسلام. هذا النوع من الشؤون غالباً ما يطول ويطول اسمعي يا "روث"، لو كنت مكانك لن أرتدي هذا الياقوت في رحلتي خذيها إلى البنك.

أومأت السيدة كيترينغ برأسها.

- وتنبأ المليونير قائلا: "قد يقتلك أحدهم ليسرق قلب النار".

تنبأ المليونير بنبرة مازحة.

نكتة.. أجابت ابنته: - "كنت تحمله في جيبك"!.

- لكن... تردد فان ألدن للفت انتباه روث.

- ما الأمر يا أبي؟

- لا شيء، أنا أفكر في مغامرة صغيرة مررت بها في باريس.

- مغامرة؟

- نعم، مغامرة الليلة التي كنت أحمل فيها هذه الجوهرة وبإيماءة أشار إلى القلادة.

- أخبرني عنها.

- لا شيء يبدو مثيرا، بعض المتربصين أرادوا الانقضاض علي، أطلقت رصاصة من مسدسي فهربوا هذا كل ما في الأمر.

نظرت الفتاة الصغيرة إلى والدها بفخر.

- أنت مخيف يا أبي!

- ألست كذلك يا روث؟

قبّل ابنته بحنان وغادر.

في فندق سافوي، أعطى أمرًا موجزًا إلى كنايتون:

- اتصل برجل يدعى غوبي الذي ستجد عنوانه في دفتر ملاحظاتي. احضره هنا غدا صباحا في التاسعة والنصف أريد أيضاً رؤية السيد "كيترينغ" انظر إن كان بإمكانك الحصول عليه، اطلب من ناديه... رتب لي موعداً لرؤيته غداً صباحاً، ليس مبكرا جدا، حوالي منتصف النهار، فنوعه لا يستيقظ مبكراً أبداً.

قال السكرتير إنه يتفهم ذلك. لذا سلم فان ألدن نفسه لرعاية خادمه. وهو مستلقٍ في حمامه فكر في الاجتماع الذي عقده للتو مع ابنته. وبشكل عام، كان يجب تهنئتها على قرارها.

لوقت طويل، كان يرى أن الطلاق هو السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق. النتيجة المحتملة. كانت روث قد قبلت اقتراحه أكثر مما كان يجرؤ على أن يأمل. لكنه كان لا يزال يشعر بعدم الارتياح. فموقف ابنته لم يبدو طبيعياً بالنسبة له.

- وقال في نفسه: "ربما كنتُ أتخيّل أشياء. لكني أراهن أن روث الصغيرة تخفي شيئاً ما عني.

الفصل الخامس

رجل الموارد

كان روفوس فان ألدن ينهي فطوره المعتاد من القهوة عندما دخل كنايتون:

- السيد غوبي ينتظر في الأسفل يا سيدي. نظر المليونير إلى الساعة كانت تشير الى التاسعة والنصف بالضبط.

- حسنا إذن أرسله للأعلى.

بعد دقيقة أو دقيقتين، وصل السيد غوبي. هذا الصغير العجوز تفحص زوايا الغرفة الأربعة دون أن ينظر إلى محاوره.

- قال المليونير: صباح الخير يا سيد غوبي.

تفضل بالجلوس.

- شكراً لك يا سيد فان ألدن.

جلس السيد غوبي، واضعاً يديه على ركبتيه وعيناه ملتصقتان بالمبرد.

- سأعطيك مهمة صغيرة.

- نعم سيد فان ألدن.

- ان ابنتي متزوجة من النبيل ديريك كيترينغ كما تعلم.

نظر السيد غوبي من خلال مشعاع المدفأة إلى الدرج الأيسر من المكتب، وارتسمت ابتسامة متواضعة على وجهه. كان السيد غوبي يعرف الكثير من الأشياء، ولكنه لا يعترف بذلك إلا لنفسه.

- وبناءً على نصيحتي، ستبدأ إجراءات الطلاق. هذه الشكليات، بالطبع، مسألة تخص الرجل ومع ذلك، ولأسباب شخصية، أريد أن أحصل على أكثر المعلومات اكتمالاً...

نظر السيد غوبي الى السقف وغمغم:

- عن السيد كيترينغ ؟

- نعم، عن صهري.

- حسنا يا سيدى

وقف السيد غوبي.

- متى يمكنك إحضارهم لي؟

- هل أنت في عجلة من أمرك يا سيدي؟

- أنا دائماً في عجلة من أمري"، أجاب المليونير.

التفت السيد غوبي بنظراته المبتسمة نحو المدفأة.

- هل تناسبك الساعة الثانية بعد ظهر اليوم يا سيد فان ألدن؟

- رائع إلى اللقاء يا غوبي.

- وداعا سيد فان ألدن.

- هذا رجل ذو موارد، قالها المليونير عندما خرج غوبي ودخل السكرتير. إنه بارع في مهنته.

- ماذا يعمل؟

- إنه يدير وكالة استخبارات. امنحه أربع وعشرين ساعة وسيخبرك بكل شيء عن حياة رئيس أساقفة كانتربري.

- في الواقع، إنه رجل مثير للاهتمام.

- لقد استعنت بخدماته مرتين، وقد سررت بذلك.

كنايتون، ها أنا ذا مستعد للعمل.

على مدى الساعات القليلة التالية، أكملوا كمية وفيرة من العمل. في منتصف الظهيرة رن جرس الهاتف وتم إخبار السيد فان ألدن ان السيد كيترينغ طلب رؤيته.

- طلب من السيد كيترينغ الصعود.

ونظر كنايتون إلى فان ألدن. أومأ له رئيسه برأسه، ثم التقط أوراقه وغادر.

وعند المدخل وقف وجها لوجه مع الزائر. تنحى الزائر جانبا ليسمح للسكرتير بالمرور وأغلق الباب خلفه.

- مساء الخير يا سيدى أفهم أنك تريد رؤيتي؟

صوته الرخيم المشوب بسخرية معينة أيقظت ذكريات فان ألدن. بعين فاحصة نظر إلى صهره وكان ديريك كيترينغ في الرابعة والثلاثين من عمره، طويل القامة ونحيف القوام احتفظ كيترينغ بسحر الشباب في وجهه النحيف الأسمر وبشرته المدبوغة.

- قال فان ألدن بإيجاز: "اجلس".

سقط كيترينغ على كرسي بذراعين. وحدق في والد زوجته بنظرة مستمتعة.

- وقال، أخيراً: - "لم نر بعضنا البعض منذ سنتين على الأقل".

- هل تعلم روث أنك في لندن؟

- لقد رأيتها الليلة الماضية"

- إنها بخير، أليس كذلك؟

- كيف عرفت؟" سأل فان ألدن.

فرفع ديريك كيترينغ حاجبيه.

- أوه، إنني أراها من وقت لآخر، في المساء، في ملهى ليلي"، قال بصوت منخفض.

- لن أسلك طرقا ملتوية. باختصار لماذا دعوتك هنا، بناء على نصيحتي، روث سوف تطلب الطلاق.

ظل ديريك كيترينغ صامتا.

- تحياتي لك، انك تستبق الأحداث هل لى ان أدخن ؟

أشعل سيجارته وأطلق سحابة من الدخان. ثم أضاف بلا مبالاة.

- ما رأي ابنتك؟

- إنها مستعدة لاتباع توصياتي.

- آه!!!

- هل هذا كل ما لديك لتقوله؟ سأل ألدين.

وهز كيترينغ طرف سيجارته في المدخنة.

- في رأيي أنها ترتكب خطأ كبيرا.

- أنت من قال ذلك.

- دعنا لا نبحث عن الأشياء في الساعة الثانية ودعنا لا نضيع الوقت في لوم بعضنا البعض. في هذه اللحظة أنا فقط أفكر في روث كما تعلمون،

والدي العجوز المسكين لم يعد لديه وقت طويل ليعيشه، حسب رأي كل أطبائه إذا صبرت ابنتك سنتان أخريان وسأكون اللورد لوكونبري ستكون سيدة "ليكونبوري وهذا ما تزوجتني من أجله.

- كفاك وقاحة!" صرخ فان ألدن.

ابتسم ديريك كيترينغ دون أن يتأثر.

- حسنًا إذًا. فكرتي تبدو قديمة الطراز. في هذه الأيام، الألقاب لم تعد تحتسب ومع ذلك، ليكونبوري هو عقار قديم وجميل ونحن من أقدم العائلات في إنجلترا ربما يوما ما ستعض روث أصابعها عندما تعلم أن امرأة أخرى تحكم مكانها في ليكونبوري.

- أنا جاد أيها الشاب

- وأنا كذلك في الوقت الحالي حالتي المالية سيئة للغاية والطلاق سيوقعني في إحراج فظيع بعد انتظار عشر سنوات، لماذا لا تنتظر روث لفترة أطول؟ على كلمتي أن اللورد العجوز لن يصمد أكثر من ثمانية عشر شهراً وكما قلت لك من قبل، سيكون من المؤسف إذا لم تحصل روث على اللقب الذي تزوجتني من أجله.

- هل تقول أن ابنتي تزوجتك بسبب مكانتك الاجتماعية؟

لقد اطلق ديريك كيترينغ ضحكة كشفت عن أكثر من شيء آخر غير التسلية.

- ألا تعتقد أنه كان زواجاً عن حب؟

- قال فان ألدن: "لقد كنت تتكلم لغة مختلفة جداً قبل عشر سنوات في باريس".

- هل كنت كذلك؟ ربما روث كانت جميلة جدا، كانت تبدو مثل ملاك أو قديسة تنحدر من نافذة زجاجية ملونة في ذلك الوقت، أنا نفسي اتخذت القرار النبيل وقررت أن أغير طرقي وأعيش وفقًا للمبادئ التقليدية للعائلة الإنجليزية، مع زوجة مبهجة.

أفترض أنك لم تأخذ بوعدي قال وهو ينفجر ضاحكاً.

- لقد تزوجت ابنتي من أجل مالها هذا هو الواضح.

- وتزوجتني من أجل الحب؟

بسخرية

- هل تجرؤ على الشك في ذلك؟

نظر ديريك كيترينغ إلى حماه لدقيقة أو دقيقتين، ثم أومأ برأسه بتمعن.

- إذاً ما زلت تصدقه. لقد صدقته أيضاً.

يجب أن تعرف يا حماي العزيز أنني لم أحتفظ بأوهامي لفترة طويلة.

- لا أعرف ما الذي تريد أن تصل إليه ولا أريد أن أعرف لقد عاملت روث بشكل مهين.

- انا اعترف بذلك، ووافق كيترينغ على ذلك، ولكنها ليست نزهة أيضا. روث تستطيع ان تتحكم في نفسها تحت مظهرها الظاهر إنها تخفي قلبا من حجر. انت لديك سمعة كرجل قاسٍ، لكن ابنتك أكثر قسوة منك أنت، على الأقل، تحب شخصا ما أكثر من نفسك. روث لا تفكر إلا في نفسها.

- هذا يكفي أردت فقط أن أخبرك عن خططي، ابنتي لديها الحق في السعادة وأريدك أن تعرف أنني سوف أدعمها بأي طريقة ممكنة. وقف ديريك كيترينغ واتكأ على رخام الموقد، ألقى سيجارته في النار وتحدث بصوت هادئ جداً.

- ماذا تريد مني بالضبط؟

- أن لا تحاول الدفاع عن قضيتك. سيكون ذلك أفضل لك.

- هل هذا تهديد؟

- خذه كما تريد.

وقد سحب كيترينغ كرسيا الى المائدة وجلس أمام المليونير.

- ماذا لو أردت أن أدافع عن نفسي؟

هز فان ألدن كتفيه.

- يجب أن تكون قادراً على فعل ذلك أيها الشاب الأحمق!

استشر محاميك وكلهم سيقولون لك ما أقوله كلهم سيقولون نفس الشيء سلوكك هو حديث لندن.

- روث بلا شك اختلقت لك قصة عن ميرال هذا ليس ذكاء منها أنا لا أتدخل مع أصدقائها.

- ماذا تحاول ان تقول ؟

انفجر ديريك كيترينغ ضاحكا.

- أستطيع أن أرى أن هناك الكثير ممّا لا تعرفه سيدي بطبيعة الحال، لديك عقل متحيز ضدي. التقط قبعته وعصاه وتوجه إلى الباب.

- ليس من عادتي تقديم النصائح، أعلن قبل أن يغادر، ومع ذلك، في هذه الحالة تبدو لي الصراحة الكاملة بينك وبين ابنتك مستحسنة.

وغادر الغرفة على عجل وأغلق الباب في الوقت الذي قفز فيه المليونير ليلحق به.

- أتساءل ماذا كان يقصد بذلك؟ قال فان ألدن وقد عاد إلى مكانه.

كان كل قلقه قد عاد إليه. كان هناك شيء ما بالتأكيد شيء ما كان مخفياً عنه. كان الهاتف بجانب، التقطه وسأل عن رقم ابنته.

- الو، الو، مايفير 81907 ؟ هل السيدة كيترينغ موجودة ؟ هل هي بالخارج ؟ هل هي تتناول الغداء في المدينة ؟ في أي وقت ستعود ؟ ألا تعرفين؟ !

- لا أعرف.

بإيماءة من الحقد، أغلق الهاتف. في الساعة الثانية كان يتجول في غرفته في انتظار غوبي. في العاشرة وعشر دقائق ظهر غوبي.

- صرخ المليونير.

لم يكن السيد غوبي الصغير يحب أن يدفعه أحد. لقد جلس أمام الطاولة وسحب من جيبه دفتر ملاحظات قذر وبدأ يقرأ بصوت رتيب.

استمع المليونير باهتمام، وبدا راضياً. عندما انتهى غوبي من القراءة نظر في سلة المهملات.

- قال السيد غوبي: "لقد تم التحقق من كل شيء"، ونظراته مثبتة على كرسي خشبي مذهب بذراعين.

- لم يكن لديه المال، فهو يحاول الحصول على قرض، كما يقول؟ لقد التزم بالفعل بميراث والده. بمجرد أن ينتشر خبر الطلاق، لن يجد فلساً واحداً.

- لقد أمسكنا به يا غوبي لا يمكنه الهرب منا بهواء منتصر، ضرب بقبضته على الطاولة.

- هل تبدو المعلومات مرضية لك؟ قال السيد غوبي بخجل.

- نعم، شكرا لك سيد غوبي. هذا جيد.

أضاءت ابتسامة شاحبة من الامتنان وجه الرجل الصغير.

- شكرا لك سيد فان ألدن أنا دائما أفعل بأفضل ما أستطيع.

قرر فان ألدن الذهاب لرؤية ابنته. ولكن قبل أن يذهب إلى شارع كرزون قام بزيارتين مثيرتين للاهتمام من وجهة نظره.

كان فان ألدن يمشي في شارع كرزون عندما خرج رجل من المنزل رقم 160، وسار في الشارع ثم مر به على الرصيف.

في البداية ظن المليونير أنه تعرف على ديريك كيترينغ. كيترينغ: كان في نفس الطول تقريباً، وكان له نفس الهيئة أيضاً. نفس النظرة. ولكن عندما مرّ الرجل الآخر بجانبه، أدرك أنه ليس هو. ومع ذلك، فإن وجه هذا الشخص قد أثار في في ذهن فان ألدن ذكرى... لم يتمكن من العثور على هوية الرجل الذي جاء من منزل ابنته.

غاضبًا من هذا النقص في الذاكرة، هزّ رأسه بعصبية.

كانت روث كيترينغ تنتظر والدها. وبمجرد دخوله ركضت نحوه وقبلته.

- حسناً يا أبي، ما الجديد؟

- كل شيء على ما يرام أريد فقط ان أقول بضع كلمات.

وحدث تغير في سلوك روث، واستبدلت العفوية الدافئة التي كانت سائدة في اللحظة السابقة بتحفظ غير محسوس. جلست على كرسي كبير بذراعين...

- لقد رأيت زوجك هذا الصباح.

- هل تحدثت مع ديريك؟

- نعم. كان مليئاً بالوقاحة. وعندما كان على وشك المغادرة، أضاف شيئاً لم أفهمه. قال أن الصراحة الكاملة بيني وبينك تبدو ضرورية في هذه المسألة. ماذا كان يعني بذلك يا روث؟

كانت السيدة كيترينغ تتململ في مقعدها.

- كيف لي أن أعرف يا أبي؟. أنت تعرف لقد ألمح إلى أصدقائك...

- ما الذي كان يلمح إليه؟ ـ اشرحي لي يا روث ـ اسمعي يا ابنتي أنا لا أريد أن أخوض في مسألة الطلاق هذه وأنا مغمض العينين. لن أتفاجأ إذا تسبب زوجك بفضيحة. في هذه اللحظة أستطيع أن أسكته، ولكني أريد أن أعرف إن كان من الضروري أن أستخدم الأسلحة الثقيلة؛ ما معنى هذا التلميح؟

هزت السيدة كيترينغ كتفيها.

- لدي الكثير من الأصدقاء ولا أرى ما لديه ليقول في هذا الشأن.

- نعم لديك.

- كان يتحدث الآن بنفس نبرة الصوت التي كان يتحدث بها مع أحد منافسيه.

- أجيبي على هذا السؤال: من هذا الرجل؟

- أي رجل؟

- الذي كان ديريك يتحدث عنه. صديق لك. هيا يا عزيزتي، لا تخافي. أعلم أن الأمر كله ثرثرة، لكن يجب أن تكوني مستعدة لأي شيء إذا كنتِ ذاهبة إلى المحكمة. أريد ان اعرف من هو هذا الرجل ومدى قربك منه. لم تجب روث هيا يا عزيزتي الصغيرة"، قال فان ألدن بصوت أرق:

- "ثقي بوالدك. أنا لم أكن صارمًا أبدًا... ولا حتى هذه المرة... في باريس..." توقف قليلاً، ثم همس: "أنا هنا الآن. أعتقد أنني أعرف من هو.

- أنا لا أفهم...

عبر المليونير الغرفة بخطوات طويلة وأمسك ابنته من معصمها.

- أخبريني يا روث، هل استقبلت هذا الرجل؟

- من؟

- الرجل الذي أردتِ الزواج منه منذ سنوات. أنتِ تعرفين جيداً من أقصد.

ترددت - هل تقصد الكونت دي لا روش؟

- الكونت دي لا روش!" كرر فان ألدن بسخرية. لقد أخبرتك ذات مرة أنه لم يكن سوى محتال عادي. لقد عانيت كثيرا في تخليصك من براثنه نعم، ثم تزوجت ديريك كيترينغ وكنت حريصة جدا.

فهزت كتفيها.

- ورأيت هذا الوغد مرة أخرى بعد كل تحذيراتى! لقد جاء هنا اليوم لقد التقيت به في الشارع، وترددت في التعرف عليه في ذلك الوقت.

استعادت روث كيترينغ رباطة جأشها.

- أبي، اسمح لي أن أخبرك بأنك مخطئ في تقديرك لقيمة أرماند... الكونت دي لا روش. انا اعرف انه ارتكب حماقات الشباب. لقد اعترف لي بها. لطالما أحبني حباً جماً، وقد انكسر قلبه عندما فرقت بيننا، والآن...

قاطعها والدها بصرخة سخط: - هيا يا ابنتي! هل تحبين ذلك الوغد؟ ورفع ذراعيه إلى السماء: (يا إلهي، إن النساء مجنونات!)

الفصل السادس

ميرال

غادر ديريك كيترينغ منزل والد زوجته في عجلة من أمره لدرجة أنه اصطدم بسيدة في الممر. فطلب منها العفو. فقبلت اعتذاره بابتسامة طيبة ومضت في طريقها تاركة الشاب تحت سحر شخصية ودودة وعينين رماديتين جميلتين. وقد أثرت مقابلته مع والد زوجته عليه أكثر مما كان يود أن يعترف به. وتناول إفطاراً خفيفاً ثم توجه إلى شقة ميرال الفخمة وهو يشعر بالملل والوحدة، فاستقبلته الخادمة بابتسامة:

- تفضل يا سيدي فالسيدة تستريح، فدخلت به إلى الصالون الكبير بأثاثه الأنيق الذي ألفه كثيراً؛ وكانت ميرال ممددة على الأريكة متكئة على كومة من الوسائد، وقد اكتست بلون عنبري يتناغم مع بشرتها المغرة. كان وجه ميرال، تحت قناع من أحمر الخدود، جذاباً بشكل فريد. وبشفتين برتقاليتين ابتسمت لديريك كيترينغ الذي جلس على كرسي بذراعين: - ماذا كنت تفعلين هذا الصباح، هل استيقظت الآن؟

أجابت الراقصة: "لا، لقد كنت أعمل"، وأشارت بيدها البيضاء الرقيقة إلى البيانو المغطى بالموسيقى، وجاء أمبرواز ليعزف لي ألحاناً من المسرحية الجديدة، ولم يكن كيترينغ مهتماً كثيراً بكلود أمبرواز ولا بمسرحية إبسن (بير جنت) التي سيصفق فيها لميرال في رقصة أنيترا.

- وغمغمت قائلة: "أريد أن أضع فيه كل شغف الصحراء". سأرقص وأنا مغطاة بالجواهر... بالمناسبة يا عزيزي، لقد رأيت بالأمس لؤلؤة في شارع بوند... لؤلؤة سوداء!

نظرت إليه وهي تتأمل جوابه: يا فتاتي العزيزة، ليس هذا هو الوقت المناسب لتأتي وتحدثيني عن اللؤلؤ الأسود! إن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، فاعتدلت في مكانها وفتحت عينيها السوداوين على مصراعيهما.

- ماذا يحدث؟

- لقد أشعل حماي المحترم النار في كل شيء.

- أنت تقول؟

- إنه يريد أن أطلق روث.

- لأي سبب؟

- بسببك أنت.

- فهزت ميرال كتفيها.

- أنت تمزح.

- لا، إن الأمر جد.

- ماذا ستفعل؟

- ماذا تريدني أن أفعل؟ ـ من ناحية، مليونير أمريكي، ومن ناحية أخرى، رجل مثقل بالديون... ـ يا لهم من أنواع غير عادية، هؤلاء الأمريكان! لا بأس إن كانت زوجتك تحبك.

- أخبريني يا ميرال ماذا سيكون موقفك تجاهي؟

لقد نظرت إليه بتساؤل اقترب منها وأمسك بيديها، أنت لن تتركيني، أليس كذلك؟ ماذا تقصد؟ بعد...

- نعم بعد... عندما ينقض الدائنون عليّ كقطيع من الذئاب الجائعة ـ ميرال، أنت لن تتركيني، أليس كذلك؟ ـ أبعدت يديها عن يديه ـ أنت تعلم أنني أعشقك يا ديريك ـ لكن هذا الاعتراف بدا كاذباً ـ آه، ديريك! ـ آه، ديريك! ـ تكلمي، لقد صرخ:

- ستتركيني كما تترك الجرذان السفينة الغارقة؟

هزت كتفيها:

- أحبك يا صديقي. أحبك كثيراً. أنت رجل ساحر ووسيم، ولكنك لست عملياً جداً.

- هيا، أنت لا تحبين الناس إلا من يزينون الأوراق النقدية. ابتسمت:

- أنا أحبك على كل حال يا ديريك. نظر الشاب من النافذة وهو يدير ظهره إليها، ثم نظر من النافذة. وما لبثت الراقصة أن نظرت إليه بفضول:

- فيم تفكر يا صديقي؟ ومن فوق كتفه ابتسم لها ابتسامة غريبة:

- كنت أفكر في امرأة.

- آه! كنت تفكر في امرأة أخرى، أليس كذلك؟

- لا تعذبي نفسك. إنها مجرد رؤيا.

-)صورة لسيدة ذات عينين رماديتين (!

- متى قابلتها؟

- متى قابلتها؟

- ضحك ديريك كيترينغ ضحكة ساخرة.

- لقد التقيت بها في ممر فندق سافوي.

- وماذا قالت؟

- على ما أذكر، قلت لها؟ من حسن الحظ أننا لن نرى بعضنا بعضاً مرة أخرى.

- لماذا؟

- إنها تنحسني... مثل كل النساء. وقفت ميرال بسرعة:

- أنت غبي يا ديريك. أنا أعشقك، لكن لا يمكنني قبول الفقر. لا، لا يمكنني أن أقبل بحياة متواضعة. اسمعني يا ديريك. يجب عليك أن تتصالح مع زوجتك في الوقت الراهن، لا فائدة من ذلك. لم لا؟

- لن ينخدع فان ألدن.

قالت الراقصة: "لقد سمعت عنه. إنه فاحش الثراء، أليس كذلك؟ واحد من أغنى الرجال في أمريكا. ومنذ أيام قليلة في باريس، اشترى أجمل ياقوتة في العالم: (قلب النار) ولم يرد كيترينغ على ذلك. وواصلت الراقصة: "إنها جوهرة رائعة... جوهرة يجب أن تكون لامرأة مثلي. أنا أحب الجواهر يا ديريك. آه، أن أرتدي ياقوتة مثل قلب النار! تنهدت قليلاً، ثم عادت امرأة عملية مرة أخرى.

- ديريك، أنت لا تستطيع أن تفهم هذه الأشياء. أنت مجرد رجل. ـ من المحتمل أن يعطي فان ألدن هذه الجوهرة لابنته. ـ

- هل هي ابنته الوحيدة؟ ـ

- نعم ـ

- وعندما يموت سترث ثروته كلها.

ـ إنها غنية بالفعل

ـ يقول ديريك بجفاف ـ لقد أعطاها مليوني دولار يوم زفافها ـ

- مليونان! إذا ماتت فجأة، هل سيذهب كل هذا المال إليك؟

لا علم لي أنها كتبت وصية.

- يا إلهي!" صرخت الراقصة.

وبعد لحظة من التوقف، انفجر ديريك ضاحكاً: "إن طريقتك البارعة في التنبؤ بالظروف مثيرة للإعجاب يا ميرال، ولكنني أخشى أن أمنيتك لن تتحقق في أي وقت قريب. إن زوجتي في صحة ممتازة.

- حسناً، ماذا عن الحوادث؟ حدق فيها دون أن يجيب.

- أنت على حق يا بني. يجب علينا أن نبحث عن أكثر من مجرد حالات طارئة. أفضل شيء هو التوقف عن الحديث عن الطلاق. يجب على زوجتك أن تتخلى عن الفكرة.

- ماذا لو لم تستمع إليّ؟ ستستمع إليك... خوفاً من الفضيحة. أنت تعرف قصة أو قصتين صغيرتين لا تريد أن تنشر في الصحف. ماذا سيعتقد أصدقاؤها الطيبون؟ ماذا تقصد؟ ميرال ورأسها مطأطئ للخلف، انفجرت ضاحكة: - "حسناً، هناك مسألة الكونت دي لا روش. أعرف كل شيء عنه. تذكر أنني باريسية. لقد كانت تحبه قبل أن تتزوجك أنت، أليس كذلك؟ كيترينغ أخذ المرأة من كتفيها، أنت تكذبين! أرجوك تذكري أنها زوجتي. هدأت ميرال: "أنتم الإنجليز غير عاديين! ربما انت على حق الأمريكيون باردون جداً، أليس كذلك؟ ومع ذلك، دعني أخبرك أن زوجتك كانت تحب هذا الرجل قبل أن تتزوجك.. تدخل والدها وأرسل الكونت ليحزم أغراضه وأطاعت الآنسة الصغيرة والدها وذرفت الكثير من الدموع. لكن عليك أن تعترف أن الأمور مختلفة الآن. إنهما يتقابلان كل يوم تقريباً، وفي الرابع عشر من الشهر الجاري ستلحق به في باريس، كيف عرفت؟ أوه، إن لي أصدقاء في باريس يعرفون الكونت معرفة وثيقة. لقد تم ترتيب كل شيء إنها تقول أنها ذاهبة إلى الريفيرا، ولكن في الواقع سيلتقيان في باريس و... من يدري؟ صدقني، لقد تم ترتيب كل شيء مقدما. وظل ديريك كيترينغ صامتا. "لو كنت ذكيا"، قالت الراقصة: "لحصلت عليها في راحة يدك. "

- أوه، بحق الله، اخرس! وألقت ميرال بنفسها على الوسائد وهي تضحك، فأخذ كيترينغ قبعته ومعطفه وغادر الشقة وأغلق الباب، وكانت الراقصة لا تزال تبتسم وهي سعيدة بما قامت به للتو.

الفصل السابع

الرسائل

تقدم السيدة صموئيل هارفيلد تحياتها إلى الآنسة كاثرين غراي، وفي هذا الظرف الحاضر... وبعد أن كتبت السيدة هارفيلد هذه الكلمات القليلة بتدفق قلمها، توقفت فجأة لصعوبة التعبير عن نفسها بضمير الغائب.

بعد دقيقة أو دقيقتين من التردد، مزقت الورقة وبدأت من جديد: عزيزتي الآنسة غراي، بينما أقدر الطريقة التي أديت بها واجبك تجاه ابنة عمي إيما (التي أصابتنا وفاتها الأخيرة بقسوة)، لا يسعني إلا أن... مرة أخرى توقفت السيدة هارفيلد. ومرة أخرى ألقيت الورقة في السلة. ولم تتمكن السيدة هارفيلد من كتابة رسالة ترضيها، إلا بعد أربع بدايات محرجة ومختومة حسب الأصول، وعنونتها إلى الآنسة كاثرين غراي، ليتل كرامبتون، سانت ماري ماد كانت.

في صباح اليوم التالي، كانت الرسالة نفسها موضوعة بجانب طبق الآنسة غراي، إلى جانب رسالة أكبر في مظروف أزرق طويل. فتحت كاثرين غراي رسالة السيدة هارفيلد أولاً، والتي كان نصها:

عزيزتي الآنسة غراي.

أنا وزوجي نود أن نشكرك على حسن الرعاية التي أغدقتها على ابنة عمنا المسكينة إيما لقد صدمتنا بقسوة لقد علمنا منذ فترة طويلة كانت قد فقدت كل قدراتها. ان وصاياها الأخيرة التي أوصت بها لن تصمد في أي محكمة قانونية. I

ليس لدي شك في أنك، بحسك الجيد المعتاد أدركت هذا بالفعل في رأي زوجي سيكون من الأفضل تسوية هذه المسألة وديا. سنكون سعداء لتزويدك بأفضل المراجع لمساعدتك. مراجع لتمكينك من إيجاد وضع مكافئ معادلاً للوضع الذي كان لديك مع السيدة هارفيلد، ونأمل أن تقبلي هدية صغيرة منا.

أرجو أن تتقبلي يا عزيزتي الآنسة "غراي" أسمى آيات تقديري.

ماري آن هارفيلد

قرأت كاثرين غراي هذه السطور حتى النهاية، ثم بدأت من جديد. ارتسمت ابتسامة مسليّة على ملامح وجهها.

فتحت الظرف الأزرق.

وبعد أن قرأت الرسالة الأخيرة بسرعة، وضعتها على الطاولة ونظرت إلى الأمام. هذه المرة لم تعد تبتسم. كان من الصعب على أي مراقب أن يخمن العواطف التي كانت تخفيها المشاعر المختبئة وراء تلك العيون الهادئة المتأملة.

كانت كاثرين غراي، البالغة من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً، تنحدر من من عائلة شريفة، ولكن والدها فقد كل ثروته في وقت مبكر من حياته، كان عليها أن تعمل لكسب لقمة العيش. في الثالثة والعشرين من عمرها، أصبحت وصيفة السيدة هارفيلد.

الجميع كان يعلم أن السيدة هارفيلد كانت امرأة عجوز "صعبة المراس في منزلها، كانت السيدات في انتظارها كانوا يصلون وهم مفعمون بالأمل لكنهن يغادرن والدموع في عيونهن. ومع ذلك، فمنذ اللحظة التي تطأ فيها قدم كاثرين غراي في ليتل كرامبتون.

قبل عشر سنوات، ساد السلام في المنزل. كان يمكن أن يفسر السبب يولد المرء ساحر أفاعي، كاثرين غراي تمتلك الموهبة الفطرية لترويض السيدات العجائز والكلاب والأولاد.

في الثالثة والعشرين من عمرها، كانت فتاة شابة هادئة ذات عينين رماديتين جميلتين. وفي الثالثة والثلاثين من عمرها كانت هادئة كعادتها في هدوئها، وكانت عيناها الرماديتان نفسهما تنظران إلى الحياة بصفاء سعيد، بسكينة سعيدة لا شيء يمكن أن يعكر صفوها. والأكثر من ذلك أنها وُلدت بمرح وخفة دم والبهجة وروح الدعابة.

كانت جالسة إلى مائدتها الصغيرة، وكانت قد أنهت فطورها للتو عندما رن جرس الباب. وبعد دقيقة، أعلنت الخادمة:

- الدكتور هاريسون.

كان طبيب القرية، وهو رجل سمين في منتصف العمر مليء بالطاقة والصحة دخل:

- صباح الخير آنسة غراي.

- صباح الخير دكتور هاريسون.

- جئت لرؤيتك مبكراً قبل أن تتلقي أي خبر من العائلة.

تلقيت خبراً من عائلة هارفيلد... من بين آخرين، السيدة هارفيلد سم حقيقي. دون أن تنبس ببنت شفة، أخذت كاثرين رسالة السيدة هارفيلد من الطاولة

وسلمتها للطبيب كانت مستمتعة جداً بينما كان يطالع الرسالة. رفعت حاجبيها المتجعدين وشخرت بازدراء، وألقى الورقة على الطاولة.

- صرخ قائلاً: "هذا لا يستحق!". لكن لا تعذبي نفسك كثيراً. هؤلاء الناس لا يعرفون ما يقولونه. السيدة هارفيلد لديها عقل جيد مثلي ومثلك، ولا أحد يستطيع أن يثبت عكس ذلك هذا التهديد الوصية خارج المحكمة مجرد خدعة، ولهذا السبب هم يحاولون تليينك. لا تنخدعي بكلامهم المعسول لا تتخيلي أنك مدينة لهم بأي مال، ولا تدعي

العاطفة الزائفة أو وازع الضمير.

- أعترف أنه ليس لدي أي شكوك حولهم هؤلاء الناس هم أقارب بعيدون لزوج السيدة هارفيلد ولم يهتموا بها عندما كانت حية، هذا قول معقول، وافق الطبيب هاريسون أنا أعرف أكثر من أي شخص آخر ما مررت به منذ عشر سنوات لديك كل الحق في الاستمتاع بمدخرات العجوز الصغيرة، مدخرات صغيرة، مدخرات صغيرة، كررت كاثرين:

- دكتور، أليس لديك فكرة كم تبلغ ثروتها؟

- حسناً، أفترض أنها خمسمائة جنيه استرليني على شكل معاش سنوي

- هذا ما ظننته لقد ناولتك الرسالة التي أخرجتها من الظرف الأزرق. السيدة هارفيلد كانت من أوائل المساهمين في مورتولد وكانت تتقاضى راتباً سنوياً قدره ثمانية أو عشرة آلاف جنيه استرليني لمدة أربعين عاماً ولا تكاد تنفق أكثر من أربعمائة جنيه استرليني سنوياً. لقد كانت مقتصدة إلى درجة أنني كنت أظن أنها كانت تحسبها لأقرب قرش.

- وفي هذه الأثناء كان دخلها يتراكم في فائدة مركبة. يا فتاتي العزيزة ستصبحين امرأة غنية جداً، نعم أنت غنية الآن. " قال الدكتور هاريسون: "لقد تحدثت بنبرة منفصلة وكأنها تتحدث عن شخص آخر. أما بالنسبة لصامويل هارفيلد"، وأضاف وهو يعطي الرسالة وكزة "تجاهلها ورسالتها، فأنا لا أجد فيها شيئاً بغيضاً"، أجابت كاثرين بتساهلها المعتاد. قال الطبيب: "بالنظر إلى الظروف، يبدو لي الأمر طبيعياً بالنسبة لي، لكنك أحياناً تثيرين قلقي الشديد" لماذا؟

- الكثير من الأشياء تبدو طبيعية بالنسبة لك! ابتسمت كاثرين غراي وفي وقت الغداء أخبر الطبيب هاريسون زوجته بالخبر المثير هل هذا ممكن؟ كانت السيدة العجوز هارفيلد تملك الكثير من المال أنا سعيد أنها تركته لكاثرين غراي إنها قديسة، تلك الفتاة، تلك الفتاة تجهم الطبيب، لطالما

تخيلت القديسين أشخاصاً غير مريحين إن كاثرين غراي إنسانة أكثر من أن تكون قديسة إنها قديسة تتمتع بالكثير من الحس السليم والدعابة ولعلك لم تلاحظ أنها جميلة جداً. من هذه كاثرين غراي؟ سأل الطبيب مندهشاً... إنها بالتأكيد تملك عينين جميلتين...

- أوه، إن الرجال عميان كالخفافيش. كاثرين لديها كل ما يلزم لتكون امرأة جميلة. كل ما تحتاجه هو القليل من التزيين ما خطبها؟ أظنها دائماً متأنقة، تنهدت السيدة هاريسون بسخط نهض الطبيب ليذهب لرؤية مرضاه، اقترح أن تذهبي لرؤيتها، بولي، فأجابت السيدة هاريسون بالتأكيد، وفي حوالي الساعة الثالثة قرعت جرس باب الآنسة غراي قالت بحرارة وهي تصافح يد كاثرين، عزيزتي، أنا سعيدة جداً لسماع الأخبار الجيدة من زوجي أنا متأكدة من أن جميع من في القرية سيسعدون أيضاً. أنتِ لطيفة جداً لتأتي وتخبريني. بالمناسبة، ماذا حدث لجوني؟ أوه، جوني. حسناً، جوني كان الابن الأصغر للسيدة هاريسون بدأت بمحادثة طويلة كانت لوزتا جوني ولحميته الموضوعين الوحيدين اللذين تمت مناقشتهما كاثرين.

استمعت بتعاطفك عزيزتي"، قالت السيدة هارفيلد: "هل أخبرتك من قبل عن حفلة ضباط البحرية في بورتسموث؟ تلك المرة التي أعجب فيها اللورد

تشارلز بفستاني؟ أجابت كاثرين بلطف: "ربما يا سيدة هارفيلد، ولكني لا أتذكر. أخبريني المزيد، هلا أخبرتني؟ ثم استرسلت السيدة العجوز في الحديث، وكانت تسترسل وتسترسل، وتتوقف وتذكر تفاصيل دقيقة، كانت كاثرين تستمع بأذن واحدة وتجيب بشكل آلي عندما تستطيع أن تتكلم وفي هذه اللحظة كانت تستمع للسيدة هاريسون وبعد نصف ساعة، انتبهت زوجة الطبيب وصاحت فجأة: (أنا أهتم بنفسي فقط، في حين أنني جئت لأهنئك وأخبرك عن خططك! لم أفكر في الأمر بعد، أنت لن تبقي في هذه الحفرة، أليس كذلك؟ أضحكت نبرة السيدة المذعورة كاثرين كثيراً، كلا، سأسافر. سأسافر أنا لا أعرف العالم على الإطلاق.

- لا بد أنك عانيت كثيراً أن تكوني محبوسة هكذا لسنوات عديدة.

- قالت كاثرين: لا.

نظرت إليها السيدة هاريسون مندهشة: لابد أن هذا يبدو غبياً بالطبع، لم يكن لديّ الكثير من الحرية بالمعنى الدقيق للكلمة، فأيام عطلتك كانت نادرة جداً ـ قالت السيدة هاريسون وهي تهز رأسها ـ

- نعم، ولكن كونك محبوسة باستمرار يمنحك الكثير من الاستقلال العقلي

- قالت السيدة هاريسون وهي تهز رأسها ـ لا أفهمك.

- لو كنتَ مكاني، لكنتَ قد اعتدتَ على العيش بذكائك كما اعتدتُ أنا. مع ذلك، أرحب بالتغيير. أريد أن أرى شيئًا جديدًا، أن أكون في بيئة يحدث فيها شيء ما... حتى لو كان عليّ أن أشهده فقط. لا شيء يحدث في سانت ماري ماد.

- لا، حقاً. سأذهب إلى لندن أولاً، ثم بعد زيارة المحامي، سأسافر إلى الخارج.

- هذه هي الروح !

- أولاً، عليّ أولاً أن أجمع خزانة ملابسي

- كم هذا مضحك! لقد كنت أقول ذلك لآرثر هذا الصباح. " صاحت زوجة الطبيب. إذا أردت ذلك، كاثرين، يمكنك أن تكوني رائعة.

- لن أكون جميلة أبداً، لكني أود أن أرتدي ثياباً أنيقة.

نظرت إليها السيدة هاريسون بخبث.

- ستبدو هذه الحياة جديدة عليك.

قبل مغادرة القرية، ودعت كاثرين الآنسة العجوز فينر هذه السيدة الشابة التي تكبر السيدة هارفيلد بعامين كانت تعتبره نجاحاً شخصياً أنها عاشت أكثر من صديقتها: سألت منتصرة:

- لم تكوني لتصدقي هذا أبداً، أليس كذلك؟ لقد ذهبنا إلى المدرسة معاً. لقد رحلت وأنا باقية. من كان ليظن ذلك؟

- كل ما في الأمر أنك لطالما أكلت الخبز الأسود على العشاء يا آنسة فينر! تمتمت كاثرين بتمتمات ميكانيكية.

- أتذكرين ذلك يا فتاتي العزيزة! لو كانت إيما هارفيلد قد تناولت شريحة من الخبز الأسمر والقليل من المنبهات مع وجبتها المسائية، لربما كانت لا تزال معنا اليوم. أومأت السيدة العجوز برأسها بفخر، ثم أضافت: - "إذاً، سمعت أنك ورثت ثروة كبيرة؟ احذري أن تضيعيها. أنت ذاهبة إلى الاستمتاع في لندن؟ قبل كل شيء، لا تتوقعي أن تجدي زوجاً بين عشية وضحاها. أنتِ لستِ من النوع الذي يغوي الرجال. كما أنك لم تعودي شابة بعد الآن. -

- كم عمركِ؟ -

- ثلاثة وثلاثون -

- حسناً، لم يفت الأوان بعد لكنك ما زلتِ جذابة جداً أنتِ تجعلين الرجل أكثر سعادة من تلك الفتيات اللاتي يظهرن سيقانهن حتى الركبتين. وداعاً يا عزيزتي كاثرين، أتمنى لكِ الكثير من السعادة، ولكن لا تخدعي نفسك: فليس كل شيء في الحياة ورديا. وانطلقت كاثرين مطمئنة إلى هذه النبوءات

الرقيقة: ورافقها نصف أهل القرية إلى المحطة. وكانت أليس، خادمة كرامبتون الصغيرة، هناك، وقدمت إلى الآنسة غراي باقة من الزهور والدموع تنهمر على وجنتيها.

- قالت أليس بينما كان القطار يبتعد: "لن تقابل الكثير من الناس الألطف". أوه، لقد كانت صارمة وتكره الغبار، ولكن بمجرد أن تفرك أكثر من المعتاد، كانت تعرف ذلك. كنت سأفعل أي شيء لإرضائها. هكذا تركت كاثرين سانت ماري ماد.

الفصل الثامن

رسالة الليدي تامبلين

- آه ! على سبيل المثال!

أسقطت الليدي تامبلين صحيفة الديلي ميل وحدقت في مياه البحر الأبيض المتوسط الزرقاء. وانحنى غصن من الميموزا المزهرة فوق رأسها ليشكل إطاراً مناسباً لمثل هذه الصورة الساحرة: امرأة ذات شعر ذهبي وعينين زرقاوين ترتدي ثوباً أنيقاً. لا شك في أن ذهبية الشعر وزرقة العينين كانتا نتيجة التصنع، ولكن زرقة العينين كانت هبة من الطبيعة، وفي الأربعين من عمرها كانت الليدي تامبلين لا تزال تبدو امرأة جميلة. ولمرة واحدة لم تكن هذه الجميلة تفكر في نفسها، أو بالأحرى كانت تفكر في شيء آخر غير وجهها أو ثوبها. كانت الليدي تامبلين معروفة في الريفيرا وكانت حفلاتها في فيلا مارغريت مشهورة بحق. وكانت امرأة متمرسة كان لها أربعة أزواج. وكانت تتجنب الحديث عن الزوج الأول الذي مر في حياتها كحلم سيئ وكان من حسن حظها أنه مات بعد فترة وجيزة من زواجهما. وفي زواجها الثاني، تزوجت من صانع أزرار ثري. وبعد ثلاث سنوات من الزواج، غادر إلى عالم

آخر... في نهاية ليلة من ليالي الخدع. أما خليفته، الفيكونت تامبلين، فقد أخذ روزالي إلى الطبقة العليا حيث أرادت أن تسود بجمالها. ولما تزوجت من جديد احتفظت بلقب السيدة؛ وكانت قد ألقت بنفسها في هذه المغامرة الأخيرة حباً في ذلك. وكان السيد تشارلز إيفانز شاباً في السابعة والعشرين من عمره، لطيف الخلق، حسن المعشر، طيب الروح، يقدر متاع ألدنيا، ولكنه لم يكن يملك فلساً واحداً.

ولم تكن الليدي تامبلين تشكو من الحياة بوجه عام، ولكنها كانت تعاني من وقت لآخر بعض الحرج بشأن المال. وكانت الثروة الكبيرة التي تركها صانع الأزرار للأرملة قد تضاءلت بسبب انخفاض قيمة الثروات في أعقاب الحرب وكذلك بسبب تبذير اللورد تامبلين الراحل. وكانت روزالي تامبلين لا تزال تعيش في رفاهية تامة ولكنها لم تكن راضية عن وضعها، وفي صباح أحد أيام يناير اتسعت عيناها الزرقاوان عندما قرأت خبراً صغيراً في الصحيفة. وكانت إلى جوارها في شرفة الفيلا ابنتها الموقرة لينوكس تامبلين: تلك الفتاة التي لا لبس فيها ولا لباقة والتي كانت تحمل أكثر من سنها والتي كانت تهزأ من والدتها بسخريتها وتثير أعصاب والدتها. قالت الليدي تامبلين: تخيلي يا عزيزتي.

- فأخذت الليدي تامبلين صحيفة الديلي ميل وناولتها لابنتها وهي تشير بعصبية إلى الفقرة المثيرة للاهتمام، فقرأتها لينوكس دون أن تظهر أدنى انفعال وأعادت الصحيفة إلى أمها وسألت:

- ما الذي ترينه فيها من الأمور المضحكة؟ هذه الأشياء تحدث كل يوم. تموت العجائز البخيلات في جحورهن الريفية ويتركن الملايين لسيداتهن اللاتي ينتظرنهن. قالت أمها:

- "أوه، أنا أعرف. بل إنني أود أن أضيف أن الثروة ليست كبيرة كما يزعمون، فالصحف لا تطلع على كل شيء وليست معلوماتها دقيقة، ليس بالضبط، عزيزتي لينوكس، ولكن هذه السيدة التي تنتظر، كاثرين غراي، هي ابنة عمي. ابنة عمي الأولى من جانب آل ورسيسترشاير غراي. - آه! آه! آه !

- وأنا أتساءل...

- ماذا يمكن أن يكون قد حدث لك"، أنهت ابنتها بابتسامة صغيرة ملتوية ظلت غامضة بالنسبة لوالدتها.

- أوه، يا عزيزتي"، قالت السيدة تامبلين بعتاب قليل. أتساءل إذا... أوه، مرحباً يا عزيزي السمين. هل ستلعب التنس؟ ابتسم لها "العزيز السمين" بلطف، وأثنى عليها قائلا: "هذا الجلباب بلون الخوخ يناسبك يا عزيزتي. ثم

نزل تشابي إيفانز من على الدرج، وقالت الليدي تامبلين بمودة وهي تراقب زوجها وهو يبتعد عنها: "عزيزي الصغير! والآن يا لينوكس، لقد كنت أقول لك... آه نعم، كنت أتساءل...

- بالله عليك أكملي!

- لقد كنت أفكر في أن أكتب إلى كاثرين العزيزة وأطلب منها أن تأتي لتقضي بعض الوقت معنا، بالطبع، هي لا تعرف العالم، وتود أن تتعرف على المجتمع من قبل عائلتها. فسألت لينوكس: كم تعتقدين أن بإمكانك أن تعصري منها؟ فنظرت إليها أمها في عتاب وتمتمت: (بالطبع سنتوصل إلى اتفاق مالي. نحن لسنا أغنياء: الحرب... ثم والدك المسكين...

- ناهيك عن حبيبك السمين وما يتطلبه من مصاريف...

- إنه يعرف جيداً أين يجد شريحة اللحم الخاصة به.

على ما أذكر، كانت كاثرين إنسانة هادئة وودودة ومتواضعة". أضافت السيدة تامبلين متابعة فكرتها. إنها ليست جميلة ولا ماكرة.

- المعذرة. " التقطت السيدة تامبلين مذكراتها وحقيبة يدها ومراسلاتها.

- سأكتب إلى عزيزتي كاثرين في الحال وأذكرها بالأيام الخوالي.

وبكل عزم و إصرار، عادت إلى المنزل على عكس السيدة صموئيل هارفيلد وملأت الصفحات دون تردد، وعندما أعادت قراءة رسالتها الطويلة لم تحذف منها شيئاً، وقد تلقت كاثرين هذه الرسالة في اليوم التالي لوصولها إلى لندن. هل استطاعت أن تقرأ ما بين السطور؟ هذه قصة أخرى. دسّت المظروف في حقيبة يدها وذهبت إلى محامي السيدة هارفيلد في "لينكولنز ان فيلدز"، وبعد دقائق قليلة من الانتظار، تم إدخالها إلى مكتب المدير، وهو رجل عجوز لطيف ذو عينين زرقاوين ذكيتين وجوّ أبوي. لبضع لحظات درسا بنود وصية السيدة هارفيلد وبعض الأشخاص القانونيين. ثم ناولت كاثرين المحامي الرسالة التي تلقتها من السيدة صموئيل: "أعتقد أنه سيكون من المفيد أن أعطيك هذه الرسالة، رغم أنني أجدها سخيفة. قرأها وابتسامة لامست شفتيه: "يبدو لي أنها محاولة ابتزاز فجة يا آنسة غراي. لست بحاجة إلى أن أخبرك أن هؤلاء الناس ليس لهم حق في الميراث، و إذا حاولوا إبطال الوصية فلن توافقهم أي محكمة على ذلك - هذا ما ظننته - بعض الناس ليس لديهم انسانية على الإطلاق، لو كنت مكان السيدة هارفيلد لذهبت إلى قلبك الطيب بدلاً من ذلك. ولكن هذا لن يمنعهم من أخذ أموالك، أنا متأكد من أنهم سيفعلون ذلك

- ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟

- أنصحك يا آنسة غراي أن تنسي هذه الفكرة بل تزيحيها من ذهنك أومأت كاثرين برأسها:

- أنت محقة تماماً، ولكنني أريد أن أعطيهم شيئاً ما. سيغدقون من أموالك ولن يستسلموا ولا يهمني ذلك. كل شخص يأخذ متعته حيث يجدها. بعد كل شيء، هم أقرباء السيدة هارفيلد الوحيدون للسيدة هارفيلد. وقد ظلوا طوال حياتها يحتقرون ابنة عمهم لأنهم كانوا يعتقدون أنها فقيرة، ولكن في رأيي أنه سيكون من الظلم حرمانهم من أي نصيب في الميراث. وعلى الرغم من تعنت المحامي فقد أقنعته أخيراً بتبني وجهة نظرها. وسرعان ما وجدت نفسها في شوارع لندن، وهي مطمئنة إلى أنها تستطيع الآن أن تنفق ببذخ وتضع كل أنواع الخطط. وكان أول ما كان يدور في ذهنها هو زيارة إحدى دور الأزياء الكبرى، حيث استقبلتها سيدة فرنسية نحيلة وأنيقة برشاقة أميرة الأحلام.

- سيدتي، أود أن أثق بذوقك الرفيع، لقد كنت طوال حياتي فقيرة جداً ولا أعرف شيئاً عن الموضة. لقد ورثت للتو ثروة طائلة وأريد أن أترك انطباعاً جيداً في المجتمع الراقي.

كانت المرأة الفرنسية مسرورة بهذا الربح المفاجئ. وفي صباح ذلك اليوم بالذات كانت زوجة أرجنتينية لملك اللحم قد وضعت مزاجها الفني في اختبار قاس: فقد طلبت هذه المرأة السمينة فساتين لا تناسب جمالها اللامع إلا قليلاً، ففصلت الخياطة لزبونتها الجديدة بعين محترفة:

- بكل سرور. الآنسة متقنة الصنع.

- أردت مناقشة الأمر وترك جزء من الثروة لعائلة السيدة هارفيلد ـ

- ليس عليك فعل ذلك ـ

- أعلم ذلك.

- سوف يسيئون تفسير كرمك ويظنون أنك تحاولين إسكاتهم.

ولكن هذا لن يمنعهم من أخذ أموالك، أنا متأكد من أنهم سيفعلون ذلك، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ أنصحك يا آنسة غراي أن تطرحي الفكرة من ذهنك أومأت كاثرين برأسها أنت محقة تماماً، ولكنني أريد أن أعطيهم شيئاً ما سيغدقون على أموالك ولن يستسلموا ولا يهمني ذلك. كل شخص يأخذ متعته حيث يجدها. بعد كل شيء، هم أقرباء السيدة هارفيلد الوحيدون للسيدة هارفيلد. وقد ظلوا طوال حياتها يحتقرون ابنة عمهم لأنهم كانوا يعتقدون أنها فقيرة، ولكن في رأيي أنه سيكون من الظلم حرمانهم من أي

نصيب في الميراث. وعلى الرغم من تعنت المحامي فقد أقنعته أخيراً بتبني وجهة نظرها. وسرعان ما وجدت نفسها في شوارع لندن، وهي مطمئنة إلى أنها تستطيع الآن أن تنفق ببذخ وتضع كل أنواع الخطط. وكان أول ما فكرت فيه هو زيارة دار أزياء كبرى، وكانت في استقبالها امرأة فرنسية نحيلة أنيقة، رشيقة كأميرة الأحلام. وخاطبتها كاثرين بكل صراحة:

- سيدتي، أود أن أطمئن إلى ذوقك الرفيع، فقد كنت طوال حياتي فقيرة جداً ولا أعرف شيئاً عن الموضة الحالية. لقد ورثت للتو ثروة طائلة وأريد أن أترك انطباعاً حسناً في المجتمع الراقي.

كانت السيدة الفرنسية مسرورة بهذا الربح المفاجئ. وفي صباح ذلك اليوم بالذات كانت زوجة أرجنتينية لملك اللحم قد وضعت مزاجها الفني في اختبار قاس: فقد طلبت هذه المرأة البدينة فساتين لا تناسب جمالها اللامع إلا قليلاً، ففصلت الخياطة لزبونتها الجديدة بعين محترفة:

- بكل سرور. إن الآنسة حسنة البنية، والخطوط البسيطة تناسبها تماماً. الآنسة لديها نوع إنجليزي للغاية. قد لا تعجب هذه الملاحظة بعض الناس، لكني أرى أن الآنسة لا تمانع. لا يوجد شيء لذيذ مثل امرأة إنجليزية جميلة.

لقد تخلت البائعة اللطيفة عن مظهر الأميرة البعيدة وصاحت بأوامرها إلى مختلف العارضات في المنزل:

- كلوتيلد، فيرجيني! بسرعة، يا جميلاتي، البذلة الرمادية الفاتحة الصغيرة وفستان السهرة "تنهيدة الخريف". مارسيل يا طفلتي، ارتدي فستان السهرة بلون الميموزا. كان الصباح رائعاً. تحركت مارسيل وكلوتيلد وفرجيني بملل ومزاج سيء إلى الأمام ببطء وهن يلوين أجسادهن على الطريقة الكلاسيكية للعارضات. كانت السيدة التي تقف بجانب كاثرين تدون ملاحظات في دفتر صغير:

- "إن الآنسة ذات ذوق رفيع وأنا أوافق على اختيارها، لا شيء يمكن أن يلبسها أفضل من هذه الملابس الجميلة إذا كانت، كما أتصور، ذاهبة إلى الريفيرا هذا الشتاء.

- أرني فستان السهرة البنفسجي مرة أخرى" سألت كاثرين: "أرني فستان السهرة البنفسجي هذا"، عادت فيرجيني واستدارت ببطء أمام عيني الزبونة:

- "إنه الأجمل على الإطلاق"، علقت كاثرين: "ماذا تسميه؟

- يبدو أن هذا الفستان قد صُنع خصيصاً للآنسة. ما معنى هذه الكلمات التي أحزنت كاثرين عندما غادرت دار الأزياء الراقية؟ "تنهيدة الخريف".

يبدو أن هذا الفستان قد صُنع خصيصاً للآنسة. الخريف لقد كان الخريف بالفعل خريفاً بالنسبة لكاثرين التي لم تعرف الربيع أو الصيف أبداً، هذه الفصول لن تعود أبداً. خلال تلك السنوات من العبودية في سانت ماري ماد كانت الحياة قد هربت إلى غير رجعة. قالت كاثرين لنفسها أنا غبية. لقد ظننت منذ شهر مضى أني كنت أسعد مما أنا عليه الآن. وأخرجت من حقيبة يدها الرسالة التي تلقتها في ذلك الصباح من السيدة تامبلين. وقد فهمت كاثرين الفروق الدقيقة في هذه الرسالة، ولم يغب عنها سبب تجدد مودة الليدي تامبلين لقريب لها منسي منذ زمن طويل. وفوق كل هذا، كانت هذه القريبة تأمل أن تستفيد منها. ولم لا؟ فكرت كاثرين أن الربح سيكون من كلا الجانبين، وقررت أن تقبل الدعوة، فسارت في بيكاديللي ودخلت منزل كوك لتقوم بترتيبات السفر اللازمة. كان عليها أن تنتظر بضع دقائق. كان الرجل الذي أمامها يغادر هو الآخر إلى الريفييرا. بدا لكاثرين أن الجميع كان يركض إلى الريفييرا. ولأول مرة في حياتها، ستكون مثل الجميع. غادر الرجل مكتب التذاكر وأخذت هي مكانها. قدمت طلبها إلى الموظف، لكن فكرة أخرى كانت تشغل بالها. أين رأت هذا الرجل؟... فجأة تذكرت. لقد مرت به في ذلك الصباح بالذات في ممر فندق سافوي. ما هي المصادفة الغريبة

التي جمعتهما معاً مرتين في نفس اليوم؟ وشعرت كاثرين بالحرج بشكل غير مفهوم، فنظرت من فوق كتفها. كان الرجل الواقف في المدخل يحدق فيها. سرت رعشة باردة في عمودها الفقري. وبحسها الفطري الجيد تجاهلت هذا الفأل وركزت كل انتباهها على ما كان يقوله الموظف.

الفصل التاسع

اقتراح مرفوض

نادراً ما كان ديريك كيترينغ يسمح لنفسه بالانسياق وراء العنف. فقد وهبه الله مزاجاً هادئاً، وكان يترقب الأحداث دون أن يأخذ أي شيء مأساوي. ولم يكد يغادر شقة ميرال حتى هدأ غضبه. فقد كان في هذه اللحظة يمر بفترة عصيبة ويحتاج إلى كل هدوئه للتفكير في الأمور، وكان منغمساً في أفكاره يمشي في مغامرة. وكان قد تخلى عن ذلك الجو اللامبالي الذي كان يميزه وهو مقطب الحاجبين، وكان من الممكن أن يقال عن ديريك كيترينغ إنه لم يكن مجنوناً كما يبدو. كان لديه عدة خيارات مفتوحة أمامه وكان يتساءل أي منها يختار. لم يكن لديه أي أوهام حول حماه وكان يعرف مسبقاً كيف سينتهي القتال. وفي داخله كان يلعن المال والسلطة التي يمنحها، وبخطوات هادئة سار في شارع سانت جيمس باتجاه سيرك بيكاديللي. وعندما مر بمكاتب شركة كوك وأولاده، أبطأ من سرعته. ومع ذلك، استمر في طريقه وهو مشغول البال. ودخل هذه المرة إلى مكاتب كوك وقدم نفسه

إلى مكتب التذاكر، وقال: - أود أن أذهب إلى نيس الأسبوع القادم وأريد بعض المعلومات.

- في أي يوم تريد أن تغادر يا سيدي؟

- الرابع عشر.

- ما هو أفضل قطار؟

- أفضل قطار هو ما نسميه "القطار الأزرق". إذا استقليت ذلك القطار، ستتجنب عناء المرور بالجمارك في كاليه. أومأ ديريك برأسه موافقاً. "الرابع عشر"، تمتم الموظف. ـ هذا ضيق بعض الشيء، ففي ذلك التاريخ تكون جميع الأماكن في "القطار الأزرق" محجوزة تقريباً ـ

- سأنظر إذا كان هناك مكان شاغر. و إلا...

اختفي الموظف وعاد بعد بضع دقائق.

- هذا مفهوم يا سيدي. هناك ثلاثة أسرة متبقية. سأحتفظ بواحد لك.

- ما الاسم ؟ "أجاب ديريك - "بافيت ثم أعطاه عنوان شقته في شارع جيرمين، فكتب الموظف الاسم والعنوان، وحيا ديريك بأدب جم، ثم اهتم بالزبون التالي.

- أريد أن أسافر إلى نيس في الرابع عشر من هذا الشهر، أليس هناك قطار يسمى (القطار الأزرق) في ذلك اليوم؟ نظر ديريك إلى المرأة التي تحدثت للتو إلى الموظف، يا لها من مصادفة غريبة. تذكّر الكلمات التي قالها لميرال: "رؤية امرأة ذات عينين رماديتين! ربما لن أراها مرة أخرى! لكنه كان يراها مرة أخرى، والأكثر غرابة أنها كانت ستغادر إلى الريفييرا في نفس اليوم الذي كان يراها فيه. لقد كان مذهولاً. كان يؤمن بالخرافات قليلاً، وتذكر أنه ضحك وقال إن هذه المرأة قد تجلب له الحظ السيئ. لم يخدعه انطباعه الأول. فهذه المرأة التي لم تكن شابة صغيرة السن ولا جميلة جداً، كانت تتمتع بتميز طبيعي كبير، وكانت سيدة كبيرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وربما كانت عيناها الرماديتان شديدتا الملاحظة. ومع ذلك فقد أخافته هذه المرأة، وعاد إلى شقته في شارع جيرمين.

- بافيت، خذ هذا الشيك غداً، أول شيء في الصباح، ستأخذه وتذهب إلى كوك في بيكاديللي سيكون لديهم بعض الأوراق النقدية باسمك، ستدفعها وتحضرها لي.

- نعم يا سيدي. انسحب بافيت، والتقط ديريك بعض الرسائل من على طاولة صغيرة، كان معتاداً جداً على هذه المراسلات: فواتير كبيرة وصغيرة تنتظر

الدفع. كانت نبرة الرسائل لا تزال مهذبة إلى حد ما. كان ديريك يعرف أن هذا الأدب التجاري سيختفي إذا... إذا ما أصبحت بعض الأخبار علنية. ألقى بنفسه على كرسي جلدي ضخم. يا لها من فوضى أقحم نفسه فيها! دخل بافيت بسعال خفي. رجل محترم يود رؤيتك... الرائد كنايتون...

- كنايتون؟ ـ ما الذي يريده مني في هذه الساعة؟

- هل نطلب منه الدخول يا سيدي؟

- نعم ـ عندما دخل كنايتون غرفة الرسم وجد نفسه في حضرة ضيف ساحر ـ قال ديريك ـ لقد تلطفت كثيرا بالمجيء لرؤيتي. كان كنايتون يشعر بالارتياح. لاحظ ديريك في الحال واستنتج أن السكرتير قد كلف بمهمة صعبة. أجاب كنايتون بشكل ميكانيكي. فرفض الويسكي الذي عرضه عليه كيترينغ وازداد إحراجه، فأخرجه ديريك أخيراً من مأزقه:

- ماذا يريد مني حماي المحترم؟ لقد أرسلك أنت، أليس كذلك؟

وتمنى لو أنه اختار شخصاً آخر، فبدا ديريك مندهشاً: "هل الأمر فظيع إلى هذا الحد؟ تكلم بدون خوف يا كنايتون لديّ ظهر عريض هنا وتوقف للحظة.

- لا تتردد"، أصر ديريك مشجعاً: "لا تتردد، يمكنني أن أتخيل أن مهمات والد زوجتي يصعب تنفيذها أحياناً. نظف كنايتون حنجرته وتكلم محاولاً إخفاء إحراجه: - "لقد طلب مني السّيد فان ألدن أن أقدّم لك عرضاً.

- عرض؟ لم يستطع ديريك أن يخفي دهشته. عرض على كنايتون سيجارة، ثم أخذ سيجارة هو الآخر وتراجع إلى كرسيه وهو يتمتم ساخرًا:

- اقتراح؟ الآن أصبحنا نثير الاهتمام.

- هل أواصل؟

- بالتأكيد.

- اعذرني على دهشتي، ولكن يبدو لي أن والد زوجتي العزيز قد خفّض من توقعاته قليلاً منذ لقائنا هذا الصباح... إن هذا التغيير في الموقف لا يتماشى مع الفكرة التي لدينا عن هؤلاء من "نابليون" المال. لقد استمع كنايتون بأدب إلى مزاح ديريك دون أن يظهر مشاعره. وانتظر حتى يسكت مضيفه، ثم قال دون أن ينظر إلى محاوره:

- إليك باختصار اقتراح حماك: يجب على السيدة كيترينغ أن تطلب الطلاق. و إذا وصلت القضية إلى المحكمة دون أن تتسبب في فضيحة، فستحصل على مائة ألف جنيه في اليوم الذي يتم فيه الطلاق. وقف ديريك كيترينغ

الذي كان يشعل سيجارته في مكانه لا يلوي على شيء، مائة ألف جنيه! كانت مائة ألف جنيه هي الحياة الحلوة الهانئة. كان فان ألدن يعرف شيئا أنه لن يتخلى عن ماله مقابل لا شيء. استند ديريك إلى رف الموقد الرخامي، وسأل بأدب بارد:

- ماذا لو رفضت هذا العرض الرائع؟

قام كنايتون بإيماءة اعتذارية: - (أرجوك أن تصدقني يا سيد كيترينغ أنني أقوم بهذه المهمة رغماً عني.

- إنني أدرك ذلك يا كنايتون. انا اعرف انه ليس لك علاقة بهذا الأمر.

- هل تود أن تجيب على السؤال الذي طرحته عليك؟ نهض كنايتون على قدميه وتكلم بتردد واضح:

- "في حالة رفضك لاقتراحه، فقد طلب مني السيد فان ألدن أن أخبرك أنه ينوي سحقك. لا أقل من ذلك"!

قال كيترينغ. أعلم أنه يستطيع فعل ذلك. ما الفائدة من محاولة محاربة مليونير أمريكي! ! مائة ألف جنيه اذا كنت تريد شراء رجل، فلا تنظر الى السعر.

- ماذا لو قلت لك أن تخبر حماي بأنني مقابل مائتي ألف جنيه سأوافق على أن أقوم بمزايداته؟

قال كنايتون: - "سأبلغه رسالتك". هل هذه هي كلمتك الأخيرة؟

- لا... لا... بل ارجع إلى حماي وقل له أن يذهب إلى الجحيم بماله. هل هذا واضح؟

تردد كنايتون ثم احمر خجلا...

- سيد كيترينغ هل تسمح لي أن أهنئك على هذا الجواب؟ صمت ديريك. وبعد أن ذهب السكرتير ظل يفكر عميقاً لدقيقة أو دقيقتين، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة؛ ثم تمتم: (لقد انتهى الأمر).

الفصل العاشر
في القطار الأزرق

- أبي!

شهقت السيدة كيترينغ. في ذلك الصباح كانت متوترة قليلاً. وكانت ترتدي معطفاً أنيقاً من السمّور وتضع قبعة حمراء صغيرة، وكانت مستغرقة في أفكارها وهي تسير على رصيف محطة فيكتوريا المزدحم. وكان للظهور غير المتوقع لوالدها الذي جاء لوداعها تأثير غير متوقع على الليدي كيترينغ.

- لم أتوقع رؤيتك هذا الصباح يا أبي.

- لم أتوقع رؤيتك هذا الصباح يا روث. لقد أخبرتني ليلة أمس عندما ودعتني أن لديك اجتماعاً في هذا الوقت.

- لقد فعلت ذلك، ولكن كل اجتماعات العالم لا يمكن أن تبقيني هنا وأنت راحلة، لأنني لن أراك لفترة طويلة.

- أنت لطيف جداً يا أبي، وأود أن آخذك معي.

- ماذا لو صدقتك في كلامك؟ ـ لقد كان يمزح. احمرّت وجنتا روث وظن والدها أنه رأى نظرة فزع في عينيها. قالت:

- للحظة ظننت أنك كنت جاداً.

- هل كنت ستكونين سعيدة؟

- هذا سؤال!

- هذا جيد. أوه، سيكون فراقنا قصيراً يا أبي. ـ يمكنك أن تأتي معي الشهر القادم ـ

- أود حقاً أن أذهب لرؤية طبيب جيد أنا متأكدة أنه سيخبرني أن أحصل على بعض الهواء النقي وأشعة الشمس.

- تحلى بالصبر، قالت روث الشهر القادم سيكون الطقس أفضل بكثير في الساحل اللازوردي.

- أنت على حق"، تنهد فان ألدن. اركبي العربة يا روث. ألقت روث كيترينغ نظرة غامضة نحو مقدمة القطار. وعند باب إحدى العربات الفارهة وقفت شخصية سوداء نحيفة على باب العربة: خادمة السيدة كيترينغ وقد بادرتها:

- لقد وضعت حقيبة سيادتك تحت المقعد في حال احتجت إليها.

- جيد، ماسون، اذهبي الآن وخذي مكانك واجلسي في مقعدك.

انصرفت الخادمة، وصعد فان ألدن إلى العربة مع روث ووضع الصحف والمجلات على المنضدة أمام ابنته، وشغلت امرأة شابة المقعد المقابل. ونظر

الأمريكي إلى رفيقة روث في السفر فرأى شابة ذات عينين رماديتين جميلتين ترتدي حلة أنيقة، فأطال المليونير النظر إلى ابنته وهو يردد ألف كلمة تقال عندما يوشك القطار أن يقلع بأحد أحبائه. انطلقت الصافرة. نظر فان ألدن إلى ساعته:

- "يجب أن أذهب". وداعاً يا عزيزتي. لا تقلقي، سأهتم بشؤونك.

- أوه يا أبي !

التفت فان ألدن فجأة، وقد صدمته النغمة الغريبة في صوت ابنته، فقد كانت صرخة يأس تقريباً، وكانت روث قد ألقت بنفسها على والدها في حركة مندفعة. ولكنها في اللحظة التالية عادت إلى السيطرة على نفسها:

- (أراك قريباً!) قالت بمرح.

وبعد دقيقتين غادر القطار، فعضت روث التي ظلت جالسة على شفتها السفلى لتكبح دموعها التي كانت على وشك أن تنهمر في عينيها. غمرها حزن مؤلم. أرادت أن تقفز من القطار وتعود أدراجها، لكن الأوان كان قد فات. ولأول مرة في حياتها، شعرت هذه المرأة الهادئة جداً والواثقة من نفسها وكأنها ورقة شجر حملتها رياح القدر. لو كان والدها يعرف، ماذا كان سيعتقد؟ لقد كان جنوناً! كانت روث، التي سيطر عليها الشغف، على طريق الخراب.

وباعتبارها ابنة فان ألدن فقد أدركت جنونها وأدانته، ولأنها كانت ابنته فقد كانت تملك إرادة حديدية، وما أن تتخذ قرارها لا تتراجع عنه أبداً، فقد كانت منذ المهد قوية الإرادة، ولم تزدها ظروف الحياة إلا قوة في شخصيتها. في هذه اللحظة، كانت تترك نفسها بل توجه نفسها بلا رحمة حسب هواها. كانت قد حسمت أمرها، ولم يكن هناك مجال للتراجع، فرفعت رأسها والتقت نظراتها بنظرة المسافرة الجالسة أمامها. وتخيلت على الفور أن هذه المرأة كانت تتكهن بأفكارها. وقرأت روث كيترينغ التفهم والشفقة في عيني جارتها الرماديتين، ولكنه كان مجرد انطباع عابر. وسرعان ما ارتسمت على وجهي المرأتين تعابير الوجه الجامدة التي تبدو على وجوه المثقفين. واختارت السيدة كيترينغ مجلة، ونظرت كاثرين غراي من النافذة إلى موكب لا نهاية له من الشوارع الحزينة في ضواحي لندن، ولم تستطع روث أن تركز أفكارها في المجلة التي كانت تقرأها. كانت مجموعة من النذر تهاجم عقلها. لقد تصرفت كالحمقاء، لا مثل كل الناس الهادئين المتزنين، عندما فقدت عقلها أصبحت عاجزة عن التفكير هل كان الوقت متأخراً جداً؟ لنرى، ربما كان لا يزال هناك وقت لإعادة النظر في قرارها؟ لم تكن تعرف. لو كان بإمكانها فقط أن تثق بشخص ما، وتطلب منه النصيحة! لم تشعر من قبل بمثل هذه الحاجة

إلى طلب مشورة شخص آخر. ما الذي كان يحدث معها؟ هل كان الذعر؟ لم تستطع روث كيترينغ أن تفكر في أي تفسير آخر لحالتها الذهنية الحالية. كانت تراقب في الخفاء رفيقتها في السفر... لكن لا يمكنك التحدث إلى شخص غريب. ابتسمت روث لهذه الفكرة واستأنفت قراءتها لتمنح نفسها شيئاً من رباطة الجأش، فقد فكرت في الأمر قبل أن تتخذ قرارها وكانت ستغادر بمحض إرادتها. "وفكرت روث كيترينغ في نفسها: (لماذا أحرم نفسي من السعادة التي حرمتني الحياة منها حتى الآن، من سيعرف؟) وفي لمح البصر وصل القطار إلى دوفر. تمسكت روث برباطة جأشها، أحست بالبرد وهي تكرهه، ذهبت إلى الملجأ المريح في المقصورة التي حجزتها لنفسها على متن القطار، ومع أنها لم تعترف بذلك لنفسها، فقد كانت روث تؤمن بالخرافات ولم تفشل بعض المصادفات في التأثير عليها. وعندما نزلت من القطار في كاليه جلست هي وخادمتها في مقصورة مزدوجة، ثم توجهت إلى عربة المطعم، حيث فوجئت بأنها وجدت نفسها جالسة أمام الشابة ذات العينين الرماديتين التي كانت نظيرتها في القطار. وارتسمت ابتسامة على شفتي كلتا المرأتين، فقالت السيدة كيترينغ: (يا لها من مصادفة! غريبة حقاً) ثم تقدم النادل بخفة عجيبة وهو من موظفي الشركة الدولية للعربات ووضع

طبقين من الحساء أمامهما. وعندما تم تقديم الأومليت كانت المرأتان تتجاذبان أطراف الحديث مع بعضهما البعض بشكل ودي. تنهدت روث قائلة:

- "لا أطيق الانتظار لرؤية أشعة الشمس المبهرة في جنوب فرنسا مرة أخرى"!.

- سيكون بالتأكيد انطباعاً مبهجاً.

- هل تعرفين الريفيرا؟

- لا، أنا ذاهبة إلى هناك للمرة الأولى.

- أوه لأول مرة؟

- أنتِ تذهبين إلى هناك كل عام، بلا شك؟

- نعم، تقريباً.

- أنا أهرب من لندن في شهري يناير وفبراير.

- لطالما عشت في الريف. أشهر الشتاء هذه ليست جذابة للغاية هناك. إنها دائماً موحلة!

- ما هو سبب سفرك المفاجئ؟

- المال. لمدة عشر سنوات كنتُ وصيفةً في بيت، ولم يكن لديّ ما يكفي من المال لأرتدي حذاءً متيناً للذهاب إلى الريف. لقد ورثت للتو ما يبدو لي أنه ثروة. ربما لا تعتبرينها كذلك.

- لماذا؟

ابتسمت كاثرين.

- لا أستطيع أن أقول. نحن أحيانا نحصل على الأفكار من النظرة الأولى. اعتقدت على الفور أنك شخص ثري جداً.

- لا، أنت على حق"، قالت روث، وفجأة أصبحت جادة جداً. وأود أن أعرف ما هي الانطباعات الأخرى التي قد أكون تركتها فيك، أنا...

- أوه، أرجوك، أخبريني! عندما غادرنا فيكتوريا، درستك وظننت أنك تعرفين ما كان يدور في ذهني.

- لا تقلقي، ليست لديّ موهبة قراءة أفكار الآخرين" أجابت كاثرين ضاحكة. "

- لا، ولكن أخبريني ما هو انطباعك" كان إصرار روث صادقاً جداً لدرجة أن كاثرين استسلمت...

- إذا أردت... ولكن لا تنعتيني بالوقاحة. لقد تخيلت لسبب ما أنك في ضائقة معنوية عظيمة، وشعرت بالأسف عليك في قرارة نفسي.

- أنت على حق، على حق تماماً. أنا في ورطة كبيرة. أنا معجبة بك، وسيكون من المريح جداً أن أتحدث معك في هذا الموضوع، إذا لم أزعجك كثيراً.

"يا إلهي"، فكرت كاثرين، "الناس متشابهون في كل مكان! لقد أخبرني الجميع في سانت ماري ماد بقصصهم الصغيرة، وها هو الأمر يتكرر مرة أخرى.

لكنها أجابت بأدب: " أرجوك سيدتي.

كانوا ينهون فطورهم. وأفرغت روث فنجان قهوتها، ووقفت، ودون أن تلاحظ أن كاثرين لم تكن قد غمست شفتيها في فنجانها بعد، قالت لها: - تعالي معي إلى مقصورتي.

كانت مقصورة مزدوجة لها باب متصل. وفي المقصورة الخلفية، كانت الخادمة النحيفة التي قابلتها كاثرين في لندن على رصيف محطة فيكتوريا تجلس على المقعد بتصلب. كانت تمسك في حضنها حقيبة يد حمراء من

الجلد تحمل الأحرف الأولى ر. ف. ك. أغلقت السيدة كيترينغ الباب وجلست.

- لا أعرف كيف أخرج من هذا المأزق. أنا أحب الرجل بجنون. لقد عرفنا بعضنا البعض منذ أن كنا أطفالاً، وانفصلنا بوحشية وظلم.

- وماذا في ذلك؟

- أنا ذاهبة إليه...

قد تميلين إلى إساءة الظن بي... لكن لدي زوج بغيض. أكثر ما يعذبني هو أنني اضطررت للكذب على أبي... لقد كان هو الذي رأيته اليوم في محطة فيكتوريا. إنه يريدني أن أطلقه وليس لديه أدنى فكرة أنني سأجد صديقي.

- لو كان يعلم، لقال عني مجنونة

- أعتقد أنه سيكون على حق ربما

- نظرت روث كيترينغ إلى يديها: كانتا ترتجفان كأوراق الشجر

- لا يمكنني التراجع الآن ـ

- لم لا؟

- إنه ينتظرني و إذا لم يرني سينكسر قلبه.

- لا تصدقي ذلك ـ سيتهمني بأنني أفتقر إلى الشجاعة والإرادة ـ

- في رأيي أنك ترتكبين حماقة لا يمكن إصلاحها. ـ أنت تعرفين ذلك ـ دفنت روث كيترينغ وجهها في يديها.

- لا أستطيع أن أقاوم منذ أن غادرت لندن وأنا يطاردني كابوس فظيع. أشعر أن شيئاً سيّئاً سيحدث لي... ولا أستطيع الهروب منه كالقدر المحتوم...

وأمسكت بيد كاثرين بتشنج.

- ستعتقدين أنني مجنونة، ولكنني أرى أنني في خطر وشيك. "

نصحتها كاثرين قائلة: - "اهدئي وأبعدي هذا الأمر عن تفكيرك. لماذا لا ترسلين برقية إلى والدك عندما تصلين إلى باريس؟ من المؤكد أنه سيأتي بحثاً عنك، فاستجمعت السيدة كيترينغ شجاعتها وجففت عينيها قائلة: - نعم، يمكنني أن أطلب منه أن يساعدني. أبي العزيز العجوز! لم أكن أعرف كم كنت أحبه بعد. لقد كنت حمقاء. شكرًا جزيلاً على استماعك لي. كيف وصلت إلى مثل هذه الحالة؟ أنا بخير الآن"، وأضافت وهي واقفة، فقط كنت بحاجة إلى شخص أتحدث معه..

وقفت كاثرين أيضاً وقالت بنبرة طبيعية قدر الإمكان:

- "أنا مسرورة لأنني جعلتك تتغلبين على مشاعرك". وكانت مدركة للإحراج الذي يعقب الأسرار دائماً، وأضافت بلباقة:

- (يجب أن أعود إلى مقصورتي).

وبينما كانت تخرج إلى الممر خرجت ماسون خادمة السيدة كيترينغ من الباب المجاور. نظرت ماسون نحو كاثرين ولكن بعيداً عنها، وقد بدا على وجهها تعبير من الدهشة الشديدة. استدارت كاثرين. كانت المرأة التي لفتت انتباه الخادمة قد عادت بالفعل إلى مقصورتها وكان الممر خالياً، عادت كاثرين إلى مقعدها في العربة التالية، وعندما تجاوزت المقصورة الأخيرة انفتح الباب، فرفعت امرأة رأسها ونظرت إلى الأمام وأغلقت الباب بسرعة. لم يكن من السهل نسيان وجه هذه المرأة؛ وكان على كاثرين أن تدرك ذلك يوم رأته مرة أخرى: وجه بيضاوي مثالي، بملامح داكنة ومكياج غريب. ودون مزيد من اللغط، عادت إلى مقصورتها وجلست، وعقلها مسكون بالثقة التي تلقتها للتو. من كانت هذه المرأة ذات المعطف الفرو الثري؟

- إذا منعتها من فعل شيء غبي، فأنا لست متأسّفة على استماعي لها".

لكنني أشك في ذلك كثيراً. هؤلاء النساء الأنانيات ذوات الإرادة القوية لا يمكنهن مقاومة نزوة. بعد كل شيء، لننسى الأمر ربما لن أراها مرة أخرى. ستتجنبني من الآن فصاعدًا. الناس الذين يأتمنونك على أسرارهم ثم يخجلون في حضورك ويهربون كالطاعون. لنأمل ألا ينتهي بنا المطاف على نفس

الطاولة على العشاء! كانت كاثرين متعبة ومكتئبة بعض الشيء، وظنت أن الوضع لن يكون ساراً. عند وصولنا إلى باريس، سلك القطار الأزرق طريقاً لا نهاية له على طول الحزام، مع توقفات وانتظارات لا نهاية لها. عندما توقف القطار في محطة ليون، كانت كاثرين سعيدة بمغادرة العربة المحمومة واستنشاق الهواء النقي في الخارج، وجالت على الرصيف لتمديد ساقيها. كانت مسرورة عندما رأت أن المسافرة ذات المعطف السمّور قد حلت المشكلة بنفسها ولن تظهر في عربة المطعم وقت العشاء، حيث كانت الخادمة تقف عند نافذة المقصورة تطلب وجبة غداء جاهزة.

عندما انطلقت القافلة مرة أخرى، رن جرس العشاء في الممر، وبعد أن هدأ ذهنها، شقت كاثرين طريقها إلى المائدة. كان نظيرها هذا المساء رجل صغير الحجم، أجنبي بالمناسبة، ذو شارب متصلب ورأس على شكل بيضة مائل قليلاً إلى أحد الجانبين. كانت كاثرين تقرأ أثناء تناولها الطعام، وسرعان ما لاحظت أن جارها كان ينظر إلى كتابها بفضول مستمتع:

- "آنسة، أرى أنك تقرئين قصة بوليسية. هل أنتِ مهتمة جداً بهذه القصص؟ نعم، إنها مسلية.

- لقد سمعت أن هذا النوع من الأدب شائع جداً. لماذا؟ أجيبيني يا آنسة أنا أدرس علم النفس، وأريدك أن تخبريني لماذا تحظى الروايات البوليسية بشعبية كبيرة.

- فأجابت كاثرين وقد ازدادت فضولاً: - لا شك أنها تنقلنا إلى حياة مليئة بالأحداث.

- نعم، هناك بعض الحقيقة في هذا الرأي - قال الرجل الصغير ذو الشارب التجميلي بخطورة:

- نحن نعلم أن هذه الدراما الغامضة لا تحدث في الواقع.

- معذرة يا آنسة! إنها تحدث بالفعل. لقد تورطت أنا شخصياً في أكثر من مأساة مماثلة. راقبت كاثرين محاورها باهتمام شديد:

- "من يدري، ربما تجد نفسك يوماً ما في حالة مماثلة؟

قالت كاثرين: "لا أعتقد ذلك. لا شيء غير عادي يحدث لي أبداً.

فانحنى إلى الأمام:

- وأنت نادمة على ذلك، أليس كذلك؟

فوجئت بهذا السؤال، فتنفست بثقل:

- إن لم أكن مخطئاً يا آنسة فأنتِ تودين أن تري في حياتك شيئاً من الخارق للعادة. في هذه الحياة، كل شخص يحصل على ما يريد. لطالما وجدت أن هذا صحيح. ربما تتحقق أمنياتك بما يفوق توقعاتك.

سألت كاثرين وهي تنهض من على الطاولة: - "هل هذه نبوءة؟

قال الرجل الصغير: - لا، أنا لا أتنبأ بالمستقبل، ولكن تنبؤاتي تتحقق دائماً، ولكني لا أتباهى بذلك. طابت ليلتك يا آنسة. نوماً هنيئاً!

تتبعت كاثرين الممر وهي مستمتعة بكلمات زميلها على الطاولة. وبينما كانت تمر بمقصورة المسافرة التي عهدت إليها في وقت الغداء، رأت الموظف الذي كان يرتب السرير. وكانت السيدة الشابة ذات المعطف السمّور واقفة بجانب النافذة تنظر إلى الخارج، ولاحظت كاثرين من خلال الباب المفتوح أن المقصورة الثانية فارغة: كانت البطانيات وحقائب السفر مكدسة على المقعد، ولكن الخادمة لم تعد موجودة هناك. دخلت كاثرين مقصورتها ورأت سريرها جاهزاً. وبعد أن شعرت ببعض التعب، ذهبت إلى الفراش، وفي حوالي الساعة التاسعة والنصف، أدارت مفتاح الإضاءة، فاستيقظت من نومها ببداية. كم من الوقت نامت؟ لم تكن لديها أدنى فكرة. كانت ساعتها قد توقفت. انتابها شعور غريب بعدم الارتياح، ولم تستطع

التغلب عليه، فنهضت وارتدت ملابسها وخرجت إلى الممر. وبدا القطار كله وكأنه غارق في النوم، وأنزلت كاثرين النافذة لبضع دقائق واستنشقت هواء الليل العليل، محاولة تهدئة أفكارها القلقة. وسرعان ما فكرت في أن تسأل السائق في الطرف الآخر من العربة عن الوقت المحدد. كان كرسي الموظف فارغاً. ترددت كاثرين للحظة، ثم ركبت العربة التالية. ونظرت إلى أسفل الممر المظلم، ولدهشتها رأت رجلاً يضع يده على مقبض باب المقصورة التي كانت تشغلها المسافرة ذات المعطف السمّور. على الأقل، ظنت أنها نفس المقصورة. بدا الرجل متردداً. ثم أدار رأسه ببطء نحو كاثرين فتعرفت عليه إنه الرجل الذي وضعته الصدفة في طريقها في مناسبتين: مرة في فندق سافوي ومرة أخرى في مكتب وكالة كوك. ثم فتح الباب ودخل وأغلقه خلفه، وخطر في ذهن كاثرين خاطرٌ ما. هل كان هذا هو الرجل الذي أخبرتها عنه المرأة الأخرى... الصديق الذي أرادت مقابلته؟ وبّخت كاثرين نفسها في داخلها. لقد أصبحت رومانسية بالتأكيد. لابد أنها دخلت المقصورة الخطأ، هذا كل ما في الأمر. عادت إلى عربتها. وبعد خمس دقائق، تباطأ القطار، وأطلق صريراً حزيناً من مكابح ويستنغهاوس. كنا في ليون.

الفصل الحادي عشر

الجريمة

في اليوم التالي، استيقظت كاثرين على ضوء مبهر. وذهبت في الصباح الباكر إلى عربة المطعم لتناول الفطور، ولكنها لم تر أياً من معارفها من اليوم السابق. عندما عادت إلى مقصورتها، كان كل شيء قد تم ترتيبه من قبل موظف كئيب الوجه بشارب متدلٍ:

- "السيدة محظوظة". اليوم الشمس مشرقة. إن المسافرين دائماً ما يصابون بخيبة أمل عندما يصلون في يوم ممطر.

- وبالطبع كنت أنا نفسي سأصاب بخيبة أمل، فانسحب الرجل قائلاً:

- لقد تأخرنا قليلاً.

شكرته كاثرين. وهي جالسة بجانب النافذة، كانت تتأمل المنظر البانورامي. كانت أشجار النخيل، والبحر الشديد الزرقة، والميموزا الصفراء المتلألئة تقدم كل سحر الحداثة لهذه الفتاة الشابة القادمة من ألبيون التي لم تغادر إنجلترا منذ أربعة عشر عاماً. وعندما توقف القطار في كان، نزلت كاثرين من القطار وتمشت على الرصيف للحظة. وكانت تشعر بالفضول لمعرفة ما الذي حدث

للسيدة ذات المعطف السمّور، فنظرت إلى نوافذ مقصورتها. كانت الستائر هي الوحيدة في القطار بأكمله التي كانت لا تزال مسدلة. وبينما كانت تتبع الممر عائدة إلى مقعدها، لاحظت كاثرين أن أبواب المقصورة المزدوجة لا تزال مغلقة. وسرعان ما جاء السائق ليخبر كاثرين أن القطار يقترب من نيس. أعطت كاثرين الرجل إكرامية، فشكرها لكنه لم يغادر على الفور. بدا محرجاً. في البداية، تساءلت كاثرين عما إذا كانت سخية بما فيه الكفاية، لكنها سرعان ما أدركت أن الأمر كان أكثر خطورة. كان وجه الرجل شاحباً وأطرافه ترتجف ويبدو أنه كان تحت تأثير رعب لا يقهر. كان يحدق فيها بطريقة غريبة. ثم قال بصراحة: - "معذرة يا سيدتي. هل هناك من ينتظرك في محطة نيس؟

- بدون شك، لماذا هذا السؤال؟

فأومأ الرجل ببساطة برأسه ومضى مبتعداً وهو يتمتم بكلمات قليلة غير مفهومة. ولم يظهر مرة أخرى إلا بعد أن توقف القطار في المحطة ومرر حقائب الآنسة غراي إلى الحمال، وبقيت كاثرين مرتبكة إلى حد ما على الرصيف للحظات عندما تقدم منها شاب أشقر بوجه متفتح وسألها بشيء من التردد:

- هل أنت هي الآنسة غراي التي أتشرف بالتحدث إليها؟ فأجابت كاثرين بالإيجاب، فقدم لها محدثها الذي كان وجهه مشرقاً نفسه: - أنا تشابي...

زوج السيدة تامبلين. أتمنى أن تكون قد ذكرتني في رسالتها، ولكن ربما نسيت أن تفعل ذلك. أين استمارة تسجيل أمتعتك، لقد أضعت استمارة أمتعتي عندما جئت إلى نيس هذا العام، ولا تتخيلين كل الروتين الذي اضطررت إلى تحمله من تلك الإدارة الفرنسية !

وجدت كاثرين استمارة أمتعتها وكانت على وشك أن تتبع مرافقها، عندما همس صوت ناعم خفي بالقرب من أذنها:

- لحظة من فضلك يا سيدتي. التفتت كاثرين إلى رجل كانت قامته الضئيلة قد زادها تفاهة زيه المزين بالذهب.

واصل قائلا: - إنه لا يزال أمامك بعض الإجراءات الرسمية التي يجب أن تنهيها. هلا أتيتِ معي يا سيدتي؟ لوائح الشرطة... رفع ذراعيه إلى السماء. بالطبع، إنه أمر سخيف، ولكن ماذا يمكنك أن تفعل؟

وكان السيد تشابي إيفانز يستمع إلى الحديث دون أن يفهم الكثير منه، فقد كانت معرفته باللغة الفرنسية محدودة نوعاً ما، وكان متذمراً؛ وكان ينتمي إلى تلك الفئة من الإنجليز الشوفينيين الذين يعتقدون أن من حقهم بعد أن استولوا على منطقة من بلد أجنبي أن ينتقدوا عادات السكان الأصليين باستمرار، وأضاف قائلاً: - (إن لديهم هوساً بالتسلط على الناس) إنها المرة

الأولى التي أراهم فيها يهاجمون أحد الركاب عند وصول القطار. هذا لم يسمع به أحد!

- ماذا تريدين يا آنسة غراي ؟ اتبعي هذا الرجل.

رافقت كاثرين المسؤول الشهم. ولدهشتها، قادها إلى جانب حيث كانت إحدى عربات القطار الأزرق متوقفة. ودعاها للركوب، ثم سبقها إلى الممر وفتح لها باب إحدى المقصورات، وكان بالداخل مسؤول يحيط به شخص تافه يفترض أنه كاتب. وقف المسؤول وانحنى بلباقة لكاثرين وقال لها:

- معذرة يا سيدتي، ولكننا نريد استجوابك. أنت تتحدثين الفرنسية بلا شك؟ أعتقد أنك تتقنينها بشكل جيد يا سيدتي، هذا ممتاز. تفضلي بالجلوس يا سيدتي.

- أنا السيد كو، مفوض الشرطة. جلس المفوض بأهمية، وتظاهرت كاثرين بالإعجاب:

- هل تريد جواز سفري؟ ها هو ذا، فحدق فيها المفوض وتذمر وهو يغلق الوثيقة: - شكراً لك سيدتي. أفضل أن أحصل منك على بعض المعلومات.

- معلومات؟

أومأ المفوض برأسه ببطء.

- نعم، أنا آسف. بالنسبة للسيدة التي تناولت معها الغداء أمس في عربة المطعم.

- أنا آسفة لا أستطيع أن أعطيك المعلومات التي تريدها. لقد دار حديثنا بالصدفة أثناء تناول الطعام، وأنا لا أعرف هذه السيدة بأي شكل آخر.

- لقد رأيتها البارحة لأول مرة. "

قال المراقب في وقار: - "لقد رافقتها إلى مقصورتها بعد الغداء وتحدثت معها طويلاً.

- "هذا صحيح. "

توقع المراقب المزيد من التفاصيل، فأعطاها نظرة تشجيع.

- " هيا يا سيدتي.

- " ماذا تريدني أن أقول أكثر من ذلك يا سيدي؟

- ربما يمكنك أن تخبرني بموضوع حديثكما؟

- بالطبع. ولكنني في هذه اللحظة لا أرى سبباً لذلك، وكان مزاجها الإنجليزي ثائراً من هذا الطيش.

- قد لا تعرفين السبب في ذلك، ولكني أؤكد لك أن هناك سبباً ما

- فهل تودين أن تخبريني؟

قال في النهاية: (السبب بسيط جداً يا سيدتي) لقد تم العثور على السيدة المعنية ميتة هذا الصباح في مقصورتها.

- ميتة!" صاحت كاثرين. من ماذا؟ انسداد!

- لا، قال المفتش بصوت بطيء. لا... لقد قُتلت...

- قُتلت!

- الآن ستفهمين إصرارنا على جمع كل المعلومات الممكنة يا سيدتي... - لابد أن خادمتها...

- اختفت خادمتها...

- أوه !

توقفت كاثرين لتستجمع أفكارها.

- لقد رآك المحصل تتحدثين في مقصورة تلك السيدة فظن أنه يجب أن يبلغ الشرطة.

- انا آسفة جدا، أجهل حتى اسمها!

- اسمها كيترينغ كما يظهر من جواز سفرها وبطاقات الأمتعة.

كان هناك طرق على الباب، فعبس السيد كو ثم فتح الباب بنفسه بضعة سنتيمترات وسأل بفظاظة: - "ما الأمر؟ لا أريد أن يزعجني أحد من فضلكم،

فظهر في الفتحة شخص ذو جمجمة على شكل بيضة، زميل كاثرين في مائدة العشاء في الأمسية السابقة، فظهرت ابتسامة عريضة تضيء وجهه.

- "أنا السيد "هيركيول بوارو".

- هذا غير ممكن!" تلعثم المفوض.

- نعم بوارو بشحمه ولحمه يا سيد "كو".

أتذكر أني قابلتك في باريس، في الأمن. لا شك أنك نسيت هذا التفصيل؟

- لا على الإطلاق يا سيدي، لا على الإطلاق"، أعلن المفوض بحرارة. تفضل بالدخول هل تعرف ماذا حدث؟

- نعم، أنا على علم بذلك، وقد جئت لأعرض عليك خدماتي إن احتجتني.

- يشرفني ذلك"، أجاب المفوض. سيد بوارو، اسمح لي أن أقدمك... (راجع جواز السفر الذي لايزال في يده) للسيدة... عفوا الآنسة غراي.

ابتسم بوارو لكاثرين قائلاً: - "ألا تجدين الأمر غريباً يا آنسة هذا التحقيق لنبوءتي؟

"تنهد المفوض بلطف قائلاً: "للأسف، إن الآنسة لا تخبرنا بالكثير".

قال بوارو بلطف: - "لقد كنت أشرح لهؤلاء السادة أنني لا أعرف الضحية على الإطلاق، ولكنها تحدثت إليك، أليس كذلك؟ لقد تركت انطباعاً معيناً لديك، نعم بلا شك".

أجابت كاثرين بنبرة غامضة. " - أي انطباع؟

قال المفوض وهو يميل إلى الأمام: - "دعينا نرى يا آنسة" دعينا نعرف رأيك في هذه المرأة. "

قلبت كاثرين تفاصيل محادثتهما مراراً وتكراراً في ذهنها. وبدا لها أنها كانت على وشك أن تفشي سراً، ولكن تلك الكلمة الرهيبة (القتل) كانت ترن في أذنيها وتحثها على الكشف عن القليل الذي تعرفه. فأعادت بأكبر قدر ممكن من الأمانة الحديث الذي دار بينها وبين المسافرة المسكينة. قال المفوض: "مثير للاهتمام، مثير جداً للاهتمام، أليس كذلك يا سيد بوارو" سألت كاترين المفوض: - "ألم يكن انتحاراً؟"

قال المفوض: "لا، لقد خُنقت بقطعة من الحبل الأسود" ارتجفت كاثرين من الرعب.

- لصوص السكك الحديدية عندنا ربما كانوا أكثر وحشية من قطاع الطرق في بلادكم.

- إنه لأمر فظيع "!

قال المشرف بإيماءات الاعتذار والتشجيع: "نعم، نعم، أعلم ذلك. ولكنك تتحلين بالكثير من الشجاعة يا آنسة. يمكنني معرفة ذلك من الوهلة الأولى. لذا سأطلب منكِ أن تكملي إجراءً شكلياً... إجراءً مؤلماً جداً. نظرت إليه كاثرين بتوجس ـ

- أرجوكِ يا آنسة أن تتفضلي بمرافقتي إلى المقصورة التالية ـ

- هل هذا مفيد؟ قالت كاثرين بهدوء ـ

- نحن بحاجة إلى التعرف على الضحية، تابع المراقب ـ بما أن الخادمة قد اختفت، يبدو أنكِ أكثر شخص رآها منذ وصولها إلى هذا القطار ـ

- حسناً. وقفت كاثرين. فأومأ لها بوارو بإيماءة صغيرة بالموافقة:

- (هذا شخص عاقل يا سيد كو، هل لي أن أرافقك؟)

- سررت بذلك يا عزيزي بوارو.

ثم دخلا إلى الممر وفتح السيد كو باب مقصورة الميتة. كانت الستائر في الخلف قد رُفع نصفها لتسمح بدخول بعض الضوء، وبدت المرأة المتوفاة المستلقية على سريرها وكأنها تغط في النوم. كان الغطاء مسدولاً على كتفيها ورأسها موجه نحو الحائط، ولم يكن بالإمكان رؤية سوى شعرها

المجعد. وضع السيد كو يده برفق شديد على كتفها وسحبها إلى الخلف. تراجعت كاثرين إلى الوراء وغرست أظافرها في راحة يديها. أطلق بوارو صيحة تعجب وسألهم: - "متى كانت هذه الضربة قبل أو بعد موتها؟

- "يقول الطبيب أنها كانت بعد ذلك"، أجابه السيد كو.

- "هذه حقيقة غريبة" علق بوارو والتفت إلى كاثرين.

- آنستي، كوني شجاعة. ثم ألقي عليها نظرة فاحصة، هل تعرفين المرأة التي تحدثت إليها في القطار بالأمس؟

تشددت كاثرين برباطة جأش كبيرة وأخذت تنظر طويلاً إلى الجثة الملقاة على السرير. وفي النهاية قالت:

- "لقد تعرفت عليها". إنه لا يمكن التعرف على وجهها، ولكن المظهر العام والشعر متشابهان تماماً، والأكثر من ذلك أنني لاحظت هذا الثؤلول الصغير على معصمها بينما كنت أتحدث إليها.

- جيد" ووافق بوارو على ذلك. وبعد هذه الشهادة، لم يعد هناك أي شك في هوية الضحية، وأضاف وهو يميل نحو القتيلة:

- " إنها ضربة غريبة" فهز السيد كو كتفيه أما السيد بوارو فقال: "لو كان هناك صراع بين القاتل وضحيته لكنت تفهمت الأمر" وغمغم بوارو: "لكنه

فاجأها من الخلف. لماذا هذه الضربة الوحشية على الوجه؟ هل كان يأمل أن يجعلها غير معروفة وبالتالي يمنع التعرف عليها؟ أم أنه كان يكرهها كرها شديدا إلى درجة أنه لم يستطع مقاومة ضربها حتى وهي ميتة؟ لقد ارتجفت كاثرين.

- اعذريني يا آنسة على الحديث عن هذه الأهوال أمامك. بالنسبة لك، كل هذا جديد ومثير للإعجاب. أما بالنسبة لي، وللأسف، فهو تاريخ قديم. لحظة واحدة فقط من فضلك. كان المراقب والآنسة غراي يقفان عند الباب، بينما كان المحقق الصغير يتفحص المقصورة من الداخل. ولاحظ ملابس المرأة المتوفاة مطوية بعناية في نهاية السرير، والمعطف الفرو الكبير على أحد الأوتاد، والقبعة الحمراء الصغيرة على الشبكة، ثم ذهب إلى المقصورة المجاورة، وهي المقصورة التي رأت كاثرين الخادمة جالسة فيها. لم يكن السرير هناك مرتباً. كانت هناك ثلاث أو أربع بطانيات مكدسة بشكل غير مرتب على المقعد بجانب حقيبتين وصندوق قبعات. وفجأة التفت بوارو إلى كاثرين:

- "لقد كنتِ هنا بالأمس يا آنسة. هل ترين أي شيء مختلف؟ هل تم إزالة أي شيء؟

تفحصت كاثرين بعناية المقصورتين. نعم، هناك حقيبة من الجلد حمراء اللون مفقودة، مكتوب عليها الأحرف الأولى من اسم "ر. ف. ك. ". بدت لي الحقيبة وكأنها حقيبة صغيرة أو صندوق مجوهرات كبير. وقد كانت الخادمة تحملها في حضنها. "

قال بوارو: - "لا أعرف الكثير عن هذا الأمر". ولكن بما أن الخادمة والحقيبة الحمراء قد اختفيتا فإن القضية تبدو واضحة بالنسبة لي.

- هل تشتبه في أن الخادمة هي من ارتكبت السرقة؟

- لا يا آنستي، لدينا سبب وجيه لعدم تصديق ذلك.

- ما هو؟

- السيدة تركت الخادمة في باريس.

التفت المفوض إلى بوارو: - أود أن تسمع رواية السائق، إنها مثيرة للاهتمام، هل تود الآنسة سماعها أيضاً؟

قال بوارو: - هل تريدها أن تبقى هنا؟

- نعم"، أجاب السيد "كو"، على الرغم من أنه كان يفضل في أعماقه العكس.

- هل انتهيت؟

- انتظر لحظة، كان قد تفحص البطانيات وقلبها واحدة تلو الأخرى، ثم اقترب من النافذة ليلقي نظرة أفضل، فسأله السيد كو: - "ما هذا؟"

أجاب المحقق وهو ينحني على المرأة الميتة: - "أربع شعرات بنية اللون". لقد جاءت من شعر السيدة.

- هل تعلق أهمية كبيرة على هذه الشعرات؟

وضع بوارو البطانية على المقعد، في هذه المرحلة من القضية لا نعرف ما هو مهم وما هو غير مهم. في هذه الأثناء، يجب أن ندقق في أدق التفاصيل. خرجت المجموعة الصغيرة إلى الممر وعادت إلى المقصورة المجاورة، وبعد دقيقة أو دقيقتين دخل موظف العربة.

- هل اسمك بيير ميشيل؟ نعم أيها المفوض.

- أود أن أطلب منك أن تعيد على هذا السيد ما سبق أن أخبرتني به عما حدث في باريس.

- نعم أيها المفوض. عندما غادرنا محطة "ڤار دي ليون"، ذهبت إلى المقصورة لترتيب السرير، معتقداً أن السيدة كانت تتناول الطعام في عربة المطعم، ولكنها كانت قد أحضرت معها غداءً جاهزاً. وطلبت مني ترتيب سرير واحد فقط؛ فقد اضطرت إلى ترك خادمتها في باريس. وأخذت وجبتها

إلى المقصورة الثانية وبقيت هناك بينما كنت أرتب السرير. طلبت مني ألا أوقظها في الصباح التالي لأنها نامت في وقت متأخر. قلت لها إنني أتفهم ذلك وتمنت لي ليلة سعيدة.

- ألم تذهب إلى المقصورة الثانية؟ لا يا سيدي.

- ألم تلاحظ وجود حقيبة صغيرة حمراء اللون بين الأمتعة؟

- لا يا سيدي.

- هل يمكن أن يكون هناك رجل مختبئ في المقصورة المجاورة؟

فكر موظف العربة وأجاب، - كان الباب مفتوحاً، كان يمكن أن يقف رجل خلفه دون أن أراه، ولكن السيدة كانت ستراه عندما تدخل المقصورة بطبيعة الحال.

- ألا يوجد لديك شيء آخر لتخبرنا به ؟

- أعتقد أن هذا كل شيء يا سيدى.

- وفي هذا الصباح ؟ أضاف بوارو بخفة.

- كما طلبت منى السيدة، لم أزعجها. وقبل وصولي إلى كان بقليل، غامرت بطرق بابها. لم أتلق أي إجابة، ففتحت الباب. بدت السيدة نائمة. فأخذتها من كتفها لإيقاظها.

- لذا... لقد رأيت ما حدث"، انتهى بوارو.

- حسنا، إذن قال الرجل بلهجة مثيرة للشفقة: "هذه المرة أعرف ما يكفي، أيها المفوض، أرجو ألا أكون قد ارتكبت أي خطأ في خدمتي".

- جريمة كهذه في القطار الأزرق! قال المفوض: "لا تقلق". ستبقى كل تفاصيل القضية طي الكتمان، لمصلحة العدالة. على حد علمي، لا أرى أنك كنت مهملاً بأي شكل من الأشكال.

- هلا أخبر مفوض الشركة من فضلك؟

- بالتأكيد، بالتأكيد"، قال السيد كو منزعجاً. وتابع المفوض قائلاً:

- "طبقاً لتقرير الطبيب، فإن هذه السيدة توفيت قبل وصول القطار إلى ليون. فمن قتلها إذن؟ وطبقاً لإفادة الآنسة فإن الضحية كانت من المقرر أن تلتقي بالرجل الذي كانت تتحدث عنه في وقت ما أثناء رحلتها. وحقيقة أنها تخلصت من خادمتها في باريس تبدو لي ذات مغزى. فهل من الممكن أن يكون صديقها قد ركب القطار في باريس وخبأته في المقصورة التي أخلتها الخادمة، وفي هذه الحالة ربما تشاجرا فقتلها في نوبة غضب؟ هذه إحدى الفرضيات، ولكن إليكم الفرضية الثانية التي تبدو لي أكثر ترجيحاً: ربما كان القاتل قاطع طريق مسافراً على متن القطار. فقد تسلل إلى المقصورة دون

أن يراه قائد القطار، وقتل الراكبة وهرب، وأخذ معه الحقيبة الجلدية الحمراء التي ربما كانت تحتوي على بعض المجوهرات الثمينة جداً. من المحتمل أنه نزل من القطار في ليون، حيث أبرقنا بالفعل لمعرفة ما إذا كان أي شخص غادر القطار الأزرق في تلك المحطة. ربما يكون القاتل قد واصل طريقه إلى نيس، كما اقترح بوارو. بالفعل، وافق المفوض.

- يجب أن تعترف أن لديه أعصاب قوية !

- برأيك، هل القاتل سارق قطار عادي؟

هزّ المشرف كتفيه. - هذا يعتمد على ما إذا كان القاتل سارق قطار عادي؟ لنجد الخادمة أولاً. ربما لا تزال الحقيبة الجلدية بحوزتها؛ ثم تصبح القضية جريمة عاطفية. أما بالنسبة لي، فأعتقد أنه من المرجح أن يكون سارق قطار. لقد أصبح قطاع الطرق هؤلاء جريئين بشكل مخيف منذ فترة من الزمن، وأنتِ يا آنسة"، سأل بوارو كاثرين.

- "هل سمعتِ أو رأيتِ أي شيء غير عادي أثناء الليل؟

- لا شيء.

التفت بوارو إلى المفوض:

- يبدو لي أنه لا فائدة من احتجاز الآنسة أكثر من ذلك.

أعطت كاثرين للسيد كو اسم فيلا الليدي تامبلين.

- هل تسمحين لي بزيارتك يا آنسة ؟ سأل بوارو وهو يودعها ربما لديك الكثير من الأصدقاء لدرجة أن كل وقتك مشغول بالفعل ؟

- على العكس من ذلك سيكون لدي الكثير من وقت الفراغ المتبقي وسيسعدني أن أراكِ مرة أخرى،

- ممتاز. ستكون هذه القضية هي "قصتنا البوليسية" وسنعمل معًا على كشف الغموض و إنارة العدالة.

الفصل الثاني عشر

الفيللا المارغريتية

- إذن لقد كنتِ في خضم الحدث، عزيزتي كاثرين! لا بد أن ذلك كان مثيراً بالنسبة لكِ! فتحت الليدي تامبلين عينيها الزرقاوين الخزفيتين على اتساعهما وتنهدت بحسد، وأضاف السيد إيفانز:

- (لقد كانت جريمة قتل حقيقية!)

- (لم يكن تشابي يتخيل ما أراده البوليس. أرى فرصة رائعة لكِ) وأضافت الليدي تامبلين نظرة متأنية تخيم على عينيها الزرقاوين.

كانوا قد انتهوا من تناول الغداء وكانت كاثرين في حالة من عدم الارتياح تراقب ضيوفها تباعاً: الليدي تامبلين العملية والسيد إيفانز الذي كان يشرق بتأملات ساذجة، ولينوكس بابتسامة ماكرة على وجهها الأسمر.

- لقد كنت محظوظاً"، تمتم تشابي. ليتني كنت أستطيع أن أتبعك وأرى كل شيء. لم تقل كاثرين شيئاً. لم يطلب منها مفوض الشرطة أن تلتزم الصمت، وكان من المستحيل عليها ألا تكشف الحقائق البارزة للجريمة لمضيفتها. ـ

- نعم،" قالت السيدة تامبلين. قد يأتي شيء مثير من ذلك - مقال صغير ذكي. رواية أحد ركاب القطار الأزرق. "عندما كنت أتحدث إلى هذه المرأة، لم يكن لدي أي فكرة... " شيء من هذا القبيل.

- هراء"، قالت لينوكس.

- "ليس لديك أدنى فكرة عما تدفعه الصحف لمقال صحفي تكتبه سيدة من المجتمع الراقي. يمكنني تفهم ترددك يا عزيزتي كاثرين، ولكن أخبريني بالخطوط العريضة للمأساة وأعدك بأنني سأفعل شيئا جيدا جدا بها. السيد "هافيلاند" صديق جيد لي، ولدينا معاً مزيج صغير. انه رجل ساحر بالمناسبة، وليس صحفيا كبيرا. ما رأيك في فكرتي يا كاثرين؟

قالت الشابة بفظاظة: - أفضل ألا أتبعها.

هذا الرفض أربك السيدة تامبلين:

- قلت امرأة جميلة جدا؟ من يمكن أن تكون؟ هل تتذكرين اسمها؟

- لقد قيل أمامي، لكني لا أتذكر. كنت جد متأثرة.

- كان يمكن أن يكون أقل من ذلك"، يقول إيفانز؛ "لا بد أنها كانت ضربة قاسية بالنسبة لك.

وحتى لو كانت كاثرين تتذكر اسم الضحية، فربما لم تكن لتكشف عن اسمها، فقد أغضبها سؤال السيدة تامبلين. لينوكس، الموهوبة بحدس معين، لاحظت ذلك وعرضت على كاثرين أن تريها غرفتها فسمحت لها بالدخول بعد أن قالت لها:

- لا تعيري كلام ماما أي اهتمام. إنها لا تفوت فرصة لكسب المال. وعادت لينوكس إلى الطابق السفلي إلى غرفة الطعام حيث وجدت أمها و إيفانز يحكمان على الوافدة الجديدة. " قالت الليدي تامبلين:

- "إنها أنيقة وأنيقة جداً. "

سألها السيد إيفانز: - "هل لاحظت عينيها؟"

قالت الليدي تامبلين غاضبة: - "لا يهمني... ما الذي يهمني في عينيها؟

- حسنا"، قال السيد ايفانز وهو ينسحب داخل قوقعته.

- لا تبدو لي... طيّعة جدا. "

ترددت الليدي تامبلين في استخدام الكلمة. " علقت لينوكس متجهمة الوجه. - "أجدها ضيقة الأفق قليلا. " تمتمت لينوكس: "قد تحاول توسيع عقلها" ولكنك لن تنجح.

- لا أعتقد أنها بخيلة"، قالت الليدي تامبلين بأمل. عندما تتحدث إلى بعض الناس عن المال، يبدو أنهم يعلقون عليه أهمية كبرى.

- أوه، ستحصلين بسهولة على ما تريدينه منها" قالت لينوكس.

قال السيد ايفانز: - "على كل حال، لهذا السبب أحضرتها إلى هنا.

- أليست هي ابنة عمي؟

- ابنة عمك". في هذه الحالة، من الأفضل أن أناديها باسمها الأول.

- نادها باسمها الأول نادها بما تشاء أيها السمين

- جيد، قال السيد إيفانز هل تعرفين إن كانت تلعب التنس؟

- لا بالطبع لا، ألم أخبرك أنها كانت وصيفة؟ إن الوصيفات لا يلعبن التنس أو الغولف، على الأكثر يلعبن الكروكيه، لقد سمعت دائماً أنهن يقضين أيامهن في الحياكة وغسل الكلاب.

- حقاً! قال السيد إيفانز.

صعدت لينوكس إلى غرفة كاثرين.

- هل أستطيع مساعدتك؟ سألتها بكلمة شكلية متداولة. أنهت كاثرين ترتيب أغراضها وشكرت لينوكس التي جلست على حافة السرير وراقبتهما طويلا.

- لماذا أتيت إلى هنا؟ أقصد، لماذا وافقت على المجيء والبقاء معنا؟ نحن لسنا من نوعك المفضل.

- أردت فقط أن أكون في المجتمع، هذا كل ما في الأمر.

- لا تكوني سخيفة، أنت تعرفين ما أعنيه لم أتوقع أن أجدك هكذا أنتِ متأنقة أنا لا أحب التأنق ليس لدي أي أناقة. " تنهدت لينوكس.

قالت كاثرين: - "إنه لأمر مؤسف، لأنني أحب الثياب الجيدة"، ولكن حتى الآن لم ينفعني إعجابي بها.

- أنا معجبة بكِ يا كاثرين"، صرخت لينوكس في إحدى نوبات تعاطفها المفاجئة. لقد جئت إلى هنا لأحذرك من ماما، لكنني أرى أنه لا داعي لذلك. أنتِ صريحة جداً ومستقيمة جداً، ولديكِ الكثير من الخصال، ولستِ غبية. !

- أوه ماذا يريدون مني الآن؟ صوت السيدة تامبلين الحزين يناديها من الصالة:

- لينوكس! لقد اتصل ديريك للتو. لقد دعا نفسه للعشاء الليلة هل يمكننا أن نطلب منه الحضور؟ هل ترين أي سبب يمنع ذلك؟

وبعد أن طمأنتها لينوكس عادت إلى غرفة كاثرين ووجهها مشرق:

- إنني مسرورة جداً لرؤية ديريك العجوز مرة أخرى.

- من هو ديريك؟

- ابن اللورد لوكونبري. لقد تزوج من فتاة أمريكية غنية. كل النساء مجنونات به.

- لماذا؟

- دائماً لنفس السبب: إنه وسيم وموضوعه سيء.

- جميعهن معجبات به.

- وأنتِ؟

- أحياناً ـ أحياناً أفكر في الزواج من كاهن لطيف وأعيش في الريف وأزرع الزهور والخضروات في إطارات. إن كاهناً ايرلنديا سيناسبني أكثر، لأنه سيأخذني للصيد.

وبعد دقيقة أو دقيقتين، تحدثت لينوكس مرة أخرى عن ديريك:

- أجد ديريك غريباً بعض الشيء. كل الرجال في عائلته مقامرون حمقى. يبدو أن أسلافه كانوا يخاطرون بزوجاتهم وممتلكاتهم في القمار. كان ديريك ليكون رجل طريق سريع مثالي... مرحاً ومبتهجاً إلى حد كبير. نهضت لينوكس وتوجهت إلى الباب.

- أنا ذاهبة. انزلي متى ما أردت.

تركت كاثرين بمفردها، واستسلمت لأفكارها، وشعرت بعدم الارتياح في البيئة التي وقعت فيها للتو. لقد صدمتها الطريقة التي استقبل بها مضيفوها الأخبار المأساوية للجريمة، وفكرت طويلاً في النهاية الحزينة للمسافرة، وعلى الرغم من أن كاثرين شعرت بالأسف على المرأة منذ البداية، إلا أن طبيعتها الأنانية سرعان ما اتضحت لها. ومهما كان ما قررت المسافرة الثرية أن تفعله، فإن الموت قد دمر كل خططها. يا له من موت شنيع! تذكّرت كاثرين فجأة حقيقة صغيرة كانت قد غابت عنها أثناء استجوابها، والتي ربما كان عليها أن تخبر الشرطة بها. بعد كل شيء، هل كان ذلك مهماً؟ لقد ظنت أنها رأت رجلا يدخل مقصورة السيدة كيترينغ، ولكن سرعان ما وقع الخطأ. ومن يدرى ان كانت المقصورة التالية ؟ الرجل الذي رأته لا يمكن أن يكون سارق قطار. لقد تذكرت وجهه كما ظهر لها في مناسبتين أخريين - مرة في السافوى، والمرة الأخرى في منزل كوك. ولا شك أنها كانت متوهمة أن هذا الغريب لم يدخل مقصورة المرأة الميتة، وربما كان من الأفضل لها ألا تبلغ الشرطة بهذه التفاصيل. نزلت كاثرين إلى الشرفة حيث التقت بالآخرين. ومن خلال أغصان الميموزا، حدقت بنشوة في مياه البحر الأبيض المتوسط الزرقاء. ولم تستمع إلى أحاديث الليدي تامبلين إلا في أذنين شاردتين

لاهيتين فهنأت نفسها مرة أخرى على مجيئها إلى هذا البلد البهيج حيث كان من السهل عليها أن تنسى وجودها الكئيب في سانت ماري ماد. وكانت ترتدي هذا المساء الفستان البنفسجي الذي أطلقت عليه بائعة المتجر الذي كانت ترتدي قوام ماركيز عجوز اسم (تنهيدة الخريف). وبعد أن ابتسمت في المرآة التي كانت تنظر فيها إلى انعكاس صورتها، نزلت إلى الطابق السفلي وهي تشعر لأول مرة في حياتها بخجل خفيف. كان معظم ضيوف السيدة تامبلين هناك بالفعل. وكانت الضوضاء هي السمة الغالبة على الاجتماعات في فيلا مارجريت، وكان الضجيج قد بدأ بالفعل على قدم وساق. وأسرع تشابي إلى كاثرين وقدم لها الكوكتيل وأخذها تحت حمايته.

- آه، ها أنت ذا يا ديريك! صاحت الليدي تامبلين عندما فتح الباب أمام آخر ضيف. أخيرًا يمكننا الجلوس لتناول العشاء. إنني أتضور جوعاً! واتجهت نظرات كاثرين إلى الطرف الآخر من الغرفة. كان ديريك هناك إذن، وأدركت أنها لم تكن متفاجئة. فقد كانت تتوقع أن ترى هذا الرجل مرة أخرى، هذا الذي وضعته المصادفة الغريبة في طريقها ثلاث مرات. وبدا لها أنه تعرّف عليها. وتوقف فجأة وهو يتحدث إلى السيدة تامبلين ثم استأنف الحديث بجهد. وذهبا

إلى المائدة، ووجدت كاثرين نفسها جالسة بجانبه. والتفت إليها بابتسامة تعلو وجهه:

- كنت أعلم أني سأراك مرة أخرى قريباً يا آنسة، ولكني لم أكن أعلم أنها ستكون على هذه المائدة. كانت المرة الأولى في فندق سافوي، والثانية في مكتب كوك.. يقولون لا اثنان بلا ثالثه، لا تتظاهري بأنك لم تلاحظيني لقد رأيتك بالفعل، لكن هذه ليست المرة الثالثة إنها الرابعة لقد رأيتك في القطار الأزرق.

- في القطار الأزرق !

على الرغم من أنها لم تستطع أن تحدد طبيعة التغير الذي طرأ على الرجل، إلا أن كاثرين لاحظت أن كلماتها تركت انطباعاً معيناً في نفسه، فسألها ديريك بلا مبالاة:

- ماذا حدث هذا الصباح؟

قالت كاثرين ببطء: - "نعم، لقد ماتت امرأة في القطار الأزرق. حادث مثل هذا يؤدي إلى كل أنواع التعقيدات القانونية والدولية، وهذا يعطي الشركة عذراً ممتازاً لجعل القطار يصل متأخراً عن المعتاد؛ وكانت هناك امرأة أمريكية بدينة تجلس على الجانب الآخر من الطاولة تتحدث إليه بنبرة واثقة:

- سيد كيترينغ أظنك نسيتني يا سيد كيترينغ، لقد أذهلتني بالفعل، لقد كنت رجلاً شهماً!. وانحنى ديريك إلى الأمام ليجيبها، فذهلت كاثرين، كيترينغ! لقد كان نفس الاسم! الآن تذكرت! يا له من موقف غريب! لقد رأت هذا الرجل يدخل مقصورة زوجته في الليلة السابقة. ولا بد أنه تركها في صحة جيدة، وكان يتناول عشاءه في هدوء دون أن يفكر في نهايتها المأساوية. وانحنى أحد الخدم على ديريك وسلمه ورقة وهمس في أذنه ببضع كلمات. وقرأ ديريك المذكرة فارتسمت على وجهه نظرة دهشة واستغراب، وقال لمضيفته:

- (هذا أمر عجيب) ثم قال: (معذرة يا روزالي ولكن يجب أن أذهب. مدير الشرطة يطلبني على وجه السرعة. اللعنة إذا كنت أعرف ماذا يريد !

- لقد لحقت بك خطاياك إلى هنا" علقت لينوكس.

- "ربما تكون مجرد شكليات إدارية غبية، ولكنني ذاهب إلى المحافظة الآن، قد يكون الأمر خطيراً، علق ضاحكاً، دفع كرسيه إلى الخلف ووقف وغادر غرفة الطعام.

الفصل الثالث عشر
فان ألدن يتلقى رسالة

في ظهيرة الخامس عشر من فبراير، هبط ضباب أصفر كثيف على لندن. كان روفوس فان ألدن مستقرًا في شقته في فندق سافوي مستفيدًا من الطقس بالعمل بجهد مضاعف عن المعتاد. وكان كنايتون مسروراً بذلك؛ فقد كان رئيسه لبعض الوقت يهمل العمل الذي بين يديه، وعندما طلب منه فان ألدن أن يحل المشكلة بسرعة، ردّ بكلمة مقتضبة. ولكن المليونير هذه المرة أقبل على المهمة بنشاط متجدد، واغتنم سكرتيره الفرصة لتخليص البريد المتراكم. وعلى الرغم من انشغالاته التجارية، فقد سمح فان ألدن لنفسه أن ينشغل بملاحظة عارضة من سكرتيره. واستمع إلى كلام كنايتون، وبدا مهتماً جداً كعادته، ولكن ما قاله دخل من أذن وخرج من الأخرى. أومأ برأسه بشكل ميكانيكي، وبينما كان كنايتون يملأ بعض الوثائق، سأله فان ألدن بصراحة:

- "سأل السكرتير الذي فوجئ بتقرير الشركة: "هل يمكن أن تكرر ما قلته سابقًا يا كنايتون؟

- "سأل السكرتير الذي فوجئ وهو يحمل تقريرًا للشركة.

- بأي حال من الأحوال ألم تقل أنك رأيت خادمة روث الليلة الماضية في باريس؟

- لا أستطيع تفسير هذا الاجتماع على الإطلاق. لابد أنك مخطئ.

- مستحيل يا سيدي حتى أنني تحدثت اليها.

- أين رأيتها ؟

- كنت قد غادرت زبائنك للتو وكنت عائدا الى فندق الريتز لأخذ حقيبة السفر قبل العشاء، لكى الحق بقطار الساعة التاسعة في محطة الشمال. وفي مكتب الفندق رأيت امرأة عرفتها في الحال على أنها خادمة السيدة كيترينغ فسألتها عما إذا كانت السيدة كيترينغ قد أقامت في الريتز، وهذا سؤال طبيعي أن تسأله. إذن فقد أخبرتك أن روث واصلت رحلتها الى الريفييرا وأرسلتها الى الريتز لتنتظر أوامرها؟

- تماما يا سيدى، تماما يا للغرابة! الا اذا كانت المرأة ربما كانت وقحة، وفي هذه الحالة كانت السيدة كيترينغ ستشكرها بالتأكيد وتدفع ثمن تذكرة عودتها الى إنجلترا. وبالتأكيد لم تكن لتتركها في فندق الريتز.

- لا، بل بالتأكيد. " تمتم المليونير وكان على وشك إضافة شيء آخر ولكنه توقف، فقد كان يقدّر كنايتون كثيراً ويثق به ثقة كبيرة، ولكنه لم يستطع مناقشة سلوك ابنته مع سكرتيره. لقد كان بالفعل يشعر بالخزي من عدم صراحة روث، وهذه المعلومة التي وصلته بالصدفة زادت من شكوكه. لماذا تخلصت روث من خادمتها في باريس؟ لبضع دقائق، فكر في المصادفات الغريبة التي تأتي بالصدفة. كيف خطر ببال روث أن يكون أول من تحدثت إليه خادمتها هو سكرتير أبيها؟ آه، هكذا يلعب القدر بخططنا وكيف تنكشف الأسرار. وارتجف من هذه الفكرة الأخيرة. هل كان هناك لغز ما كامن هناك؟ كان يخشى أن يسأل نفسه مثل هذا السؤال. لم يكن هناك شك في ذهنه أن مفتاح اللغز كان أرماند دي لا روش، وكانت خيبة أمل مريرة لفان ألدن عندما علم أن ابنته قد خُدعت من قبل مثل هذا الشخص. ومع ذلك، كان عليه أن يعترف بأنها كانت في صحبة جيدة: فقد وقعت نساء أخريات ذكيات ومتميزات في حب أساليب الرجل المخادع الساحرة. كان الرجال يستطيعون أن يروا من خلاله، ولكن ليس النساء، فبحث عن عبارة لتهدئة أي شكوك قد تراود سكرتيره. وعلق قائلاً:

- "روث تغير رأيها طوال الوقت". ثم أضاف في لامبالاة: هل أعطتك الخادمة أي تفسير لهذا التغيير في الخطة؟

فأجاب كنايتون محاولاً أن يبدو طبيعياً قدر الإمكان:

- (لقد أخبرتني أن السيدة كيترينغ قد التقت بأحد معارفها.)

- وقد التقطت أذن كنايتون المتمرسة نغمة قلق في صوت رئيسه:

- (رجل أم امرأة؟ أعتقد أنها أخبرتني عن رجل يا سيدي) وتأكدت مخاوف فان ألدن الرهيبة. نهض وسار من أحد طرفي الغرفة إلى الطرف الآخر، كما كانت عادته عندما يكون هائجاً. ولم يستطع أن يكظم غيظه أكثر من ذلك، فانفجر قائلاً: - "أين الرجل الذي يستطيع أن يجعل المرأة تصغي إلى صوت العقل؟ هذه المخلوقات مجردة من كل منطق سليم، لا أريد أن أسمع عن حدس المرأة! أي شخص لديه خبرة سيخبرك أن المرأة فريسة مثالية للمحتال. ولا واحدة من كل عشر نساء قادرة على كشف المحتال. لا يمكنهن مقاومة الأناقة أو الكلمات المعسولة لرجل وسيم. يا ليتني أستطيع أن أفعل شيئاً... قاطعه وصول خادم الفندق حاملاً برقية. فتحها فان ألدن وشحب وجهه.

فقال كنايتون وقد وقف على قدميه:

- (ما الأمر يا سيدي؟)

فصرخ فان ألدن بصوت أجش: - (روث!)،

- السيدة كيترينغ؟

- ميتة! حادث سكة حديد؟

فأومأ فان ألدن برأسه: طبقا لهذه البرقية، فقد تعرضت للسرقة أيضا، لم يقولوا هذا بوضوح، ولكن المسكينة قد قُتلت.

- يا الهي!

هذه البرقية مرسلة من نيس بواسطة البوليس. سوف أذهب الى هناك حالا.

استشار كنايتون الساعة بلهفة كالعادة، القطار يغادر محطة فيكتوريا في الساعة الواحدة سيدي.

- هذا صحيح. انت ستأتي معي يا كنايتون، لذا اخبر خادمي ارتشر وجهز حقيبتك. احرص على ترتيب كل شيء هنا بينما اقفز انا الى شارع كورزون.

رن جرس التليفون والتقط السكرتير السماعة:

- مرحبا من المتحدث ؟ ثم التفت الى فان ألدن:

- السيد غوبي يريد رؤيتك يا سيدي.

- غوبي؟ لا أستطيع رؤيته الآن... حسناً... لدينا متسع من الوقت. كان فان ألدن قد استعاد بالفعل هدوءه ونشاطه. وقليلون هم الذين لاحظوا ارتباكه

عندما رحب بالسيد غوبي: - "ليس لدي سوى بضع دقائق لأعطيك إياها يا غوبي، هل لديك شيء مهم تريد أن تخبرني به؟ سعل السيد غوبي: - "إنه بخصوص السيد كيترينغ. لقد طلبت مني أن أعطيك بعض المعلومات عنه.

- نعم تفضل!

- غادر السيد كيترينغ لندن صباح أمس متجهاً إلى الريفيرا.

فصاح السيد فان ألدن: - ماذا قلت؟

لا بد أن السيد غوبي قد صُعق من صوته. فقد الرجل الوقور رباطة جأشه المعتادة ونظر إلى المليونير. أي قطار استقله سأل فان ألدن:

- القطار الأزرق يا سيدي؛ سعل السيد غوبي مرة أخرى وأضاف وهو ينظر إلى الساعة على رف الموقد:

- إن الآنسة ميرال الراقصة في البارثينون استقلت نفس القطار.

الفصل الرابع عشر
شهادة آدا ماسون

- سيدي، لا يمكنني أن أعبر لك بما فيه الكفاية عن رعبنا وفزعنا وتعاطفنا العميق معك. بهذه الكلمات خاطب السيد كاريج قاضي التحقيق فان ألدن. وبإيماءة مقتضبة، نحى فان ألدن الرعب والفزع والتعاطف جانباً. كان المشهد هو مكتب قاضي التحقيق في نيس. وبالإضافة إلى السيد كاريج والسيد كو وفان ألدن كان هناك شخص آخر في القاعة تكلم:

- السيد فان ألدن يريدنا أن نتصرف بسرعة. قال المفوض:

- "معذرةً، لم أقدمك بعد: السيد فان ألدن، هذا هو السيد هيركيول بوارو، الذي أنا متأكد أنك سمعت عنه من قبل.

على الرغم من أنه متقاعد منذ عدة سنوات، إلا أن سمعته تضاهي أشهر محقق في عصرنا هذا.

- يسعدني أن أتعرف عليك يا سيد بوارو"، قال السيد فان ألدن وهو ينطق بشكل آلي تلك العبارة المبتذلة التي كان قد وضعها جانباً منذ فترة طويلة. إذن انت لم تعد تمارس مهنتك بعد الآن؟ بالطبع يا سيدى أنا أستمتع بهذا

العالم"، قالها الرجل الصغير بإيماءة متكلفة. قال المفوض: "السيد بوارو كان مسافراً على متن القطار الأزرق، وكان كريماً بما فيه الكفاية ليساعدنا بخبرته.

- سيد بوارو، أنا غني جداً ويبدو أن الرجل الغني يظن أنه يستطيع شراء الكون. أنت مخطئ في حالتي، أنا رجل عظيم، ولا يوجد ما يمنع رجلاً عظيماً من أن يطلب معروفاً من رجل عظيم آخر.

أومأ بوارو برأسه موافقاً: - "أحسنت القول يا سيد فان ألدن، قال الأخير: - "شكراً لك. يمكنك أن تتصل بي وقتما تشاء، ولن تندم على ذلك. والآن أيها السّادة المحترمون لنبدأ العمل!

- لنبدأ باستجواب الخادمة آدا ماسون"، اقترح المشرف. هل هي هنا ؟ فأجاب فان ألدن: - "نعم". لقد أحضرناها معنا عندما مررنا بباريس. لقد أزعجها موت سيّدتها، ولكنها أعطتنا رواية غير متماسكة للأحداث. "

قال السيد كاريج: "أدخلوها" وضغط على زر النداء، وبعد دقائق قليلة دخلت آدا ماسون إلى المكتب، وكانت ترتدي ملابس سوداء لائقة، وكان طرف أنفها أحمر. وبدلاً من القفازات الرمادية التي كانت ترتديها في الرحلة، ارتدت زوجاً من القفازات السوداء المصنوعة من جلد الغزال. وسرعان ما

هدأت الخادمة من روعها بفضل الأخلاق اللطيفة التي كان قاضي التحقيق يتحلى بها؛ وقد ساهم بوارو الذي كان يقوم بدور المترجم الفوري في ذلك إلى حد كبير وطمأن السيدة الإنجليزية بموقفه الطيب.

- اسمك آدا ماسون، أليس كذلك؟

- آدا بياتريس هو اسمي في المعمودية. أجابته ماسون بتكلف.

- حسناً... نحن نفهم أن هذه المأساة قد أزعجتك.

- أوه، نعم يا سيدي. لقد خدمت العديد من السيدات، ولا أعتقد أن أحدا قد اشتكى مني أبدا. لم أكن لأتصور أبداً أن مثل هذا الأمر يمكن أن يحدث لي في أي مكان كنت.

- لا، بالطبع لا. ردد قاضي التحقيق.

- بالطبع، لقد قرأت قصصاً مشابهة في صحف الأحد. لذلك كنت أتصور دائماً أن هذه القطارات الأجنبية... وفجأة كتمت تدفق كلماتها، وتذكرت أن الرجال الذين كانت تتحدث إليهم ينتمون إلى نفس البلد الذي تنتمي إليه هذه القطارات.

قال السيد كاريج: - دعينا نأخذ القضية من البداية. كما فهمت، لم تكن هناك مسألة توقفك في باريس عندما غادرت لندن؟

- لا يا سيدي. أنا وسيّدتي كان علينا الذهاب مباشرة إلى نيس.
- هل هذه هي المرة الأولى التي ترافقين فيها سيّدتك إلى الخارج
- نعم يا سيدي.
- هل كانت تبدو في حالتها الطبيعية في بداية الرحلة؟
- كانت تبدو قلقة. كان كل شيء يزعجها وكانت متطلبة جداً.
- في أي مرحلة تم إبلاغك بأنك ستقيمين في باريس؟
- في مكان يسمى "ڤار دي ليون" (أي محطة مدينة ليون). أرادت سيّدتي النزول من القطار والمشي على طول الرصيف. وما كادت تخرج إلى الممر حتى أطلقت صيحة تعجب وعادت إلى المقصورة مع أحد السادة. وأغلقت الباب الواصل بين مقصورتينا، حتى لا أرى ولا أسمع شيئاً مما حدث بينهما. وفجأة فتحت الباب مرة أخرى وأخبرتني أنها غيرت رأيها. أعطتني بعض المال، وطلبت مني النزول من القطار والذهاب إلى الريتز. وأضافت أنهم يعرفونها جيداً في هذا الفندق حيث سيوفرون لي غرفة بسهولة. كان عليّ أن أنتظر تعليماتها التي سترسلها لي عبر الهاتف. بالكاد كان لدي الوقت لجمع أمتعتي والقفز من القطار قبل أن يبدأ في التحرك مرة أخرى. كان علي أن أسرع:

- أين كان هذا السيد بينما كانت السيدة كيترينغ تتحدث إليك؟

- في المقصورة الأخرى يا سيدي.

- هل يمكنك ان تعطينا أوصافه ؟

- حسنا يا سيدى، لم أتمكن من رؤيته جيدا. كان ظهره لي طوال الوقت تقريبا. لقد كان رجلا طويل القامة ذو شعر داكن، وبقدر ما أتذكر كان يرتدي معطفاً أزرق غامق اللون وقبعة رمادية اللون.

- هل سافر هذا الرجل على متن القطار من قبل؟ اعتقد انه جاء لمقابلة السيدة كيترينغ أثناء مرورها في محطة ليون. ولكنى لست متأكدة من ذلك. وقد تطرق السيد كاريج الى موضوع آخر:

- في وقت لاحق من ذلك المساء، طلبت سيدتك من الموظف ألا يوقظها في الصباح التالي مبكرا. هل كان من عادتها الاستيقاظ متأخراً؟ - نعم يا سيدي. لم تتناول السيدة الإفطار قط. ولم تكن تنام كثيراً في الليل وكانت تحب أن تبقى في الفراش في الصباح.

- وكان من بين أمتعتها حقيبة جلدية حمراء، أليس كذلك؟ حقيبة مجوهرات كبيرة؟

- نعم يا سيدي.

- هل أخذت هذه الحقيبة إلى الريتز؟

- لا يا سيدي.

- هل تركتها في القطار؟

- نعم يا سيدي.

- هل تعرفين ما إذا كانت سيدتك قد أخذت الكثير من المجوهرات معها؟

في بعض الأحيان كنت منزعجة من ذلك، مع كل تلك القصص السيئة عن قطاع الطرق التي تقرأها في الصحف. أعلم أن المجوهرات كانت مؤمنة، ولكن مع ذلك بدا لي أن حمل هذه الحقيبة في رحلة محفوفة بالمخاطر جد سيء. أخبرتني سيدتي أن الياقوت وحده يساوي مئات الآلاف من الجنيهات.

- الياقوت! أي ياقوتات؟" صرخ فان ألدن.

فالتفتت إليه ماسون وقالت: "أعتقد أنك أعطيتها إياها يا سيدي منذ فترة قريبة جدا.

- ماذا! تقولين هل أخذت هذه الياقوتات معها؟ لقد أوصيتها أن تأخذها إلى البنك.

فأطلقت ماسون سعالاً خفياً، ويبدو أنها كانت إحدى حيل مهنتها كخادم في غرفة النوم. هذه المرة كانت تنطق بالكثير لقد أوضحت أن سيّدتها لم تكن تستمع إلا لنزواتها فقط، فما الذي كان يدور في رأسها؟ وبدوره أطلق السيد كاريج سعالاً خفيفاً لا يقل دلالة عن ذلك لفت انتباه فان ألدن إلى نفسه. قال السيد كاريج لماسون:

- هذا كل ما نود أن نسألك عنه في الوقت الحالي يا آنسة. إذا أردت الدخول إلى الغرفة المجاورة فسوف نقرأ عليك الاستجواب الذي ستوقعين عليه.

غادرت ماسون الغرفة يرافقها أحد الموظفين فسأل فان ألدن القاضي: - "حسناً؟ "

ففتح السيد كاريج أحد أدراج مكتبه وأخرج رسالة وسلمها إلى فان ألدن.

- هذا ما وجدناه في حقيبة يد السيدة فقرأ فان ألدن:

صديقتي العزيزة،

سأطيعك وأسعى أن أكون حذرا وكاتما... أشياء بغيضة جداً بالنسبة لصديق. ربما لم يكن من الحكمة أن نستقر في باريس، ولكن الجزر الذهبية بعيدة جداً عن عالمنا، اطمئني إلى أن أحداً لن يعرف عنها شيئاً، أنت لطيفة جداً لاهتمامك ببحثي في هذه المجوهرات الشهيرة. في كتابي، خصصت فصلاً

كاملاً عن "قلب النار". سيكون امتيازاً نادراً لي أن أرى وألمس هذه الجواهر التاريخية. حبيبتي، سنعيش بسعادة معاً، وسأبذل قصارى جهدي لأجعلك تنسين سنوات الفراق الطويلة هذه.

من يعشقك

أرماند

الفصل الخامس عشر

الكونت دي لا روش

قرأ فان ألدن هذه الرسالة في صمت. احمر وجهه من الغضب. رأى الرجال الذين كانوا يراقبونه عروق جبهته منتفخة ويديه الكبيرتين متشابكتين. أعاد الرسالة دون أن ينطق بكلمة واحدة. نظر السيد كاريج إلى مكتبه بانتباه، ورفع السيد كو عينيه إلى السقف، وأزال السيد بوارو ذرة غبار من كم معطفه بعناية فائقة. ولم ينظر أي من هؤلاء السادة المحترمين إلى فان ألدن مظهراً لباقة تامة. أما السيد كاريج فقد كان حريصاً على أداء واجبات مهنته، فتطرق إلى الموضوع الحساس:

- "سيدي، ربما تعرف كاتب هذه الرسالة؟ "

- نعم، أعرفه"، أجاب فان ألدن، فوقع جوابه على المستمعين كالمطرقة الثقيلة، فنظر قاضي التحقيق إلى فان ألدن نظرة استغراب:

- "إنه محتال يسمي نفسه الكونت دي لا روش. " وساد صمت. ثم انحنى السيد بوارو إلى الأمام، وعدل من وضع المسطرة على مكتب القاضي، وقال للمليونير:

- "سيد فان ألدن، نحن نتفهم كل الألم الذي تشعر به في الحديث عن هذه الأشياء؛ ولكن صدقني يا سيدي العزيز، لقد انتهى وقت التحفظ. إذا كنت تريدنا أن نعثر على الجاني، فأخبرنا بكل ما تعرفه. لحظة واحدة من التفكير تكفي لإقناعك بهذه الضرورة. للحظة صمت فان ألدن.

- انت على حق تماما يا سيد بوارو. ما تطلبه فظيع، ولكن لا يجب أن أخفي شيئا عن القانون. تنفس المفوض الصعداء. انحنى قاضي التحقيق إلى الوراء في كرسيه وأعاد ضبط عدسته المكبرة على أنفه الطويل الرفيع. - سيد فان ألدن، ربما توافق على أن تخبرنا بكل ما تعرفه عن هذا الرجل؟

- القصة تعود إلى عشرات السنين، فـ "روث" الصغيرة رومانسية مثل كل الفتيات الصغيرات في سنها، وقعت في حب الكونت دي لا روش خلال إقامتها في باريس. ربما تعرفون هذا الشخص؟ أومأ المفوض وبوارو برأسيهما موافقين على ذلك. وتابع فان ألدن قائلا: "إنه يطلق على نفسه اسم الكونت دي لا روش، ولكنني أشك كثيرا في أحقيته بهذا اللقب، إن اسمه بالتأكيد لا يوجد في ملفات صفوة المجتمع" الثوثا"، وعلق المفوض قائلا:

- "هذا الرجل ليس سوى وغد. إنه وسيم المظهر، وهو مفتون بالنساء. "
واصل فان ألدن:

- سرعان ما وقعت روث في غرامه، ولكني وضعت حداً لذلك.

- أوه، إننا نعرف الكونت دي لا روش منذ زمن طويل" أكد ذلك المراقب. نود أن نحبسه، لكنه مراوغ. إنه دائما ما يلاحق سيدات المجتمع الراقي. و إذا ابتزهن لا يتفاخرن بذلك ولا يجرؤن على الشكوى خوفاً من أن يظن بهن أنهن مجنونات في نظر العالم؛ والغريب أن هذا الشخص كما تقول له سلطة كبيرة على النساء.

- قال المليونير أعتقد ذلك. وكما شرحت لكم من قبل، فقد أجبرت ابنتي على الانفصال عن هذا الوغد. وبعد عام، قابلت ابن اللورد لوكونبري وتزوجته. لقد تخيلت أن كل شيء انتهى بين الكونت وابنتي عندما ذهبت لرؤيته قبل أسبوع. واكتشفت أن ابنتي استمرت في رؤيته وأنهما كثيراً ما كانا يلتقيان في لندن وباريس. لقد عاتبتها على حماقتها، لأنه يجب أن أخبركم أيها السادة أنه بناء على نصيحتي قررت ابنتي أن ترفع دعوى طلاق ضد زوجها.

- هذا أمر مثير للاهتمام"، تمتم بوارو وعيناه مرفوعتان إلى السقف، فنظر إليه فان ألدن قبل أن يكمل: "لقد أشرت عليها بالحماقة التي ترتكبها

برؤيتها الكونت مرة أخرى نظراً للظروف التي كانت تعيشها. لا فائدة من خداع أنفسنا. من الواضح أن روث قامت بترتيبات للقدوم إلى باريس لمقابلة الكونت دي لا روش وبعد تحذيراتي لها كتبت إلى الكونت لتقترح عليه مكاناً آخر للقاء.

- ولم يكن في وسعهما أن يختارا مكاناً أكثر سحراً وشاعرية من هذه الجزر الصغيرة قبالة هيير. " صرخ فان ألدن بمرارة:

- "كيف يمكن لروث أن ترتكب مثل هذا العمل المتهور؟

إن الفقرة الواردة في الرسالة التي تشير إلى دراسة المجوهرات تقودني إلى الاعتقاد بأنه كان يسعى وراء القلادة منذ فترة طويلة.

- هذه الياقوتات مشهورة عالمياً"، علق بوارو. لقد كانت في الأصل جزءًا من جواهر التاج الروسي؛ وهي فريدة من نوعها وتساوي مبالغ خيالية. تقول الشائعات أنها أصبحت ملكاً لأحد الأمريكان. هل نستنتج يا سيدي أنك أنت المشتري؟

- نعم. لقد اشتريتهم في باريس منذ عشرة أيام.

- معذرة يا سيدي، لكن يبدو لي أن المفاوضات كانت جارية منذ فترة؟ لأكثر من شهرين.

- لماذا تسأل يا سيد بوارو ؟

- لأن هذه المماطلة تسمح لعصابة النصابين الدوليين الذين هم دائما بالمرصاد، بالحصول على بعض المعلومات المثيرة للاهتمام. قال فان ألدن:

- "أتذكر أنني عندما أعطيت هذا العقد لابنتي نصحتها مازحا بألا تأخذه معها إلى الريفيرا لأنني لم أردها أن تتعرض لخطر السرقة والقتل بسببه، فقد كان ذلك من باب المزاح. من كان يظن أن مخاوفي ستتحقق؟

بعد صمت عاطفي للحظات، قال السيد بوارو في جو من الانفصال:

- دعنا نرتب أفكارنا. وفقا لفرضيتي، هذا هو تسلسل الأحداث. الكونت دي لا روش كان يعرف أنك أنت مشتري القلادة. وبحيلة بسيطة اقنع السيدة كيترينغ ان تأخذ مجوهراتها معها. ولذلك كان الرجل الذى رأته ماسون في القطار في باريس هو الكونت دى لاروش، وقد أومأ الثلاثة الآخرون بالموافقة على ذلك، وقد كانت السيدة كيترينغ في البداية محرجة من رؤيته. ولكنها سرعان ما حلت المشكلة. فقد تخلصت من ماسون وطلبت غداء معبأ، وطبقا لأقوال السائق، فإن هذا الموظف لم يجهز إلا المقصورة الأولى ولم يدخل المقصورة الأخرى، حيث كان من الممكن أن يكون الرجل مختبئا فيها. حتى الآن لم ير الكونت سوى السيدة كيترينغ. وقد حرص على إخفاء

وجهه عن الخادمة. كل ما تستطيع قوله هو انه كان طويل القامة وأسمر اللون، وهو وصف تتفق معي على انه من النوع المبهم. كانا بمفردهما... وهرب القطار في الليل. لا صراخ، ولا مقاومة، لأن هذا الرجل، كما ظنت، كان يحبها... نظر بوارو إلى فان ألدن نظرة تعاطف. الموت يا سيدى كان فورياً لن نصر على ذلك التقط الكونت الحقيبة الحمراء التي كان يعرفها بالفعل. وسرعان ما وصل القطار إلى ليون.

- في هذه المحطة كان من السهل عليه الهرب". نزل السائق وغادر القاتل القطار دون أن يراه أحد. ويستقل قطاراً آخر إلى باريس أو أي وجهة أخرى. تمت الخدعة، وألقي اللوم في الجريمة على لصوص القطار العاديين. ولولا الرسالة التي عثر عليها في حقيبة يد السيدة كيترينغ لما كنا نتحدث عن الكونت.

- لابد أنه نسي أن يفتش الحقيبة. " قال المفوض: "لابد أنه ظن أنها أتلفت الرسالة. " كان من الحماقة أن يحتفظ بها. " كان يجب على الكونت أن يتوقع هذا الاحتمال. " نحن نتفق أن الكونت كان يعرف الكثير عن النساء. وبما أنه كان يعرف هذا الموضوع عن ظهر قلب، فكيف لم يكن يتوقع أن تحتفظ السيدة كيترينغ برسالتها؟

- نعم... نعم... هناك بعض الحقيقة في ذلك" قال قاضي التحقيق. ولكن في مثل هذه الأوقات يفقد الإنسان السيطرة على نفسه، ولا يعود قادراً على التفكير بدم بارد، فإذا كان المجرمون قد احتفظوا برأيهم وتصرفوا بتأمل، فكيف سنتمكن من القبض عليهم؟

ابتسم بوارو وقال القاضي: - "تبدو لي القضية واضحة جداً ولكن من الصعب إثباتها". سوف يفلت الكونت من بين يديك، ما لم تتمكن الخادمة من التعرف عليه...

- وهو أمر مستبعد، علق بوارو

- في الواقع... في الواقع... تمتم السيد كاريج. ـ أنا أتوقع العديد من الصعوبات.

- إذا كان هو القاتل... بدأ بوارو... فقاطعه السيد كو ـ إذا... وضعت كلمة إذا؟

- نعم أيها المفوض، أقول إذا. حدق الرجل الآخر فيه لفترة طويلة.

- قال في النهاية أنت على حق. دعنا لا نتسرع في الأمور. قد يكون الكونت قد أعد حجة غياب، وفي هذه الحالة سنبدو كالحمقى، لا يهمني ذلك! إذا

كان قد ارتكب الجريمة، فمن الطبيعي أن يكون لديه حجة غياب. رجل كهذا لا يدخر جهداً في ذلك. لقد قلت "إذا" لسبب مختلف تماماً ـ

- أي سبب؟

ـ سبب نفسي كما قال السيد بوارو بشكل قاطع ـ

- فسر لي ـ فسّر لي ذلك ـ

- لقد ثبت أن علم النفس غير موجود في هذه القضية ـ الكونت محتال... نعم محتال... رجل يسرق من النساء... نعم ثانية. لقد كان يطمع في مجوهرات السيدة كيترينغ. لاشك في هذا هل هو رجل يرتكب جريمة قتل ؟ أؤكد لك انه ليس كذلك شرير من نوعه هو جبان طوال حياته. انه يتصرف بحكمة فقط، ويمارس حيله بأمان، ولكنه لا يقتل! كلا، مائة مرة كلا! كرر السيد بوارو ذلك وهو يهز رأسه باستياء، ولم يبد أن قاضي التحقيق يميل إلى الموافقة على ذلك:

- (عاجلاً أو آجلاً يفقد هؤلاء الناس عقولهم ويذهبون بعيداً جداً) علق بحكمة، هذا هو الحال بلا شك مع الكونت. دون أن أرغب في مخالفتك يا سيد بوارو...

- لقد كنت أعرض رأيي فقط، أوضح بوارو أن القضية قد أوكلت إليك لتقوم أنت برعايتها ويمكنك أن تفعل باقتراحي كما تراه مناسبا...

- في رأيي كما قال السيد كاريج أن الكونت دي لا روش هو الرجل الذي يجب أن نجده. ـ ألا تتفق معي أيها المفوض؟ ـ

- بالتأكيد ـ وأنت يا سيد فان ألدن؟ ـ

- نعم، أنا مقتنع بأن هذا الرجل وغد ـ

- أخشى أنه سيكون من الصعب القبض عليه، قال القاضي: "ولكننا سنبذل قصارى جهدنا". ـ سيتم إرسال التعليمات الهاتفية فوراً.

ـ اسمحوا لي أن أوفر عليكم العناء ـ قال بوارو.

ـ حدق الثلاثة الآخرون في السيد بوارو الذي كانت ابتسامته مشرقة.

ـ إن عملي يتطلب مني معرفة الكثير من الأشياء. الكونت رجل ذكي جداً. إنه في الوقت الحالي في أنتيب في فيلا استأجرها، فيلا مارينا.

الفصل السادس عشر

بوارو يناقش القضية

نظر قاضي التحقيق والمفوض إلى المحقق الصغير بدهشة ممزوجة بالاحترام، فقد سبقهما بوارو بالتأكيد إلى القضية. قال المفوض ضاحكاً: "أنت تعرف أكثر من الشرطة يا سيد بوارو". نظر بوارو إلى السقف، في تواضع، ماذا تريد؟ لدي هوس الاهتمام بشؤون الآخرين. لا ينقصني الوقت أنا لست مثقلاً بالعمل، فهز المشرف رأسه وأحنى كتفيه تحت عبء همومه الثقيلة وقال: "هذه ليست قضيتي"، فالتفت بوارو إلى فان ألدن:

- "سيدي، هل أنت متأكد من أن الكونت دي لا روش هو القاتل؟

- نعم، يبدو أن كل شيء يشير إليه، وقد لفتت إجابة الأمريكي المترددة انتباه القاضي. وشعر فان ألدن بنظرات القاضي الفضولية عليه، فبذل جهده ليسأل:

- هل رأيت صهري؟ لقد علمت أنه في نيس في الوقت الحالي. لابد أنك أخبرته بالأخبار؟

- بالتأكيد يا سيدي. هل كنت تعلم أن السيد كيترينغ كان مسافراً على متن القطار الأزرق في تلك الليلة، لقد علمت بذلك وأنا مغادر لندن، وأضاف

القاضي قائلاً: (لقد ادعى أنه لم يكن على علم بوجود زوجته في القطار، وأنا أصدقه) فأجاب فان ألدن:

- (لقد كان ذلك في نيس) لقد فوجئ بمقابلة زوجته أثناء الرحلة، فنظر إليه الرجال الثلاثة باستغراب، سأتكلم بصراحة أيها السادة. لا أحد يدري ما هي الإهانات التي عانت منها ابنتي المسكينة، لم يكن ديريك كيترينغ مسافراً وحده. لقد كانت معه امرأة، نعم ميرال. راقصة معروفة في لندن. السيد كاريج والمفوض تبادلا نظرات ذات مغزى اتكأ السيد كاريج على كرسيه وشبك يديه معاً وتنهد قائلاً: "آه! كل شيء يظهر في النهاية! وقد أفسدت عدداً لا بأس به من الرجال"، أضاف السيد بوارو بهدوء، فاحمر وجه فان ألدن. وانحنى إلى الأمام، وضرب بقبضته على الطاولة: "إن زوج ابنتي وغد!" ومضت عيناه بغضب وهو يلاحظ تأثير كلماته على جمهوره: "بالطبع، إنه يتمتع ببنية جسدية جميلة وأخلاق ساحرة. لقد انخدعت به بنفسي، لا بد أنه كان يتصرف بحزن عندما أخبرته بوفاة زوجته، إلا إذا كان يعلم بالفعل عن المأساة - وقد بدا عليه الاستغراب والجزع - ذلك المنافق اللعين! أفترض أنه أبدى قدراً كبيراً من الحزن؟ أجاب المراقب بحذر: - (ليس في رأيي).

- سيد فان ألدن، هل لى ان اسأل ان كان السيد كيترينغ سيكسب شيئا من وفاة زوجته ؟

- نعم، انه سيكسب مليوني جنيه استرليني. مليونا جنيه استرليني فعلا لقد أعطيت هذا المبلغ لروث يوم زفافها. إنها لم تكتب وصية، وبما أنها لم تترك أولاداً، فإن المهر، طبقاً للقانون الإنجليزي، يذهب إلى زوجها الذي كانت على وشك الطلاق منه".

- تمتم بوارو

- التفت المفوض إلى المحقق ماذا قلت؟

- لا شيء. انا فقط اعرض الحقائق، هذا كل شيء، فان ألدن كان يراقبه. وسرعان ما نهض الرجل الصغير واقفاً قال وهو ينحني بأدب للقاضي: - "أيها القاضي، أنا لست ذا فائدة كبيرة لك الآن".

- هل تتكرم بإبقائي على علم بالأحداث؟

- بالتأكيد يا سيدي بالتأكيد.

وقف فان ألدن بدوره.

- ـ ألا تحتاجني بعد الآن؟

- لا يا سيدي، هذه المعلومات كافية في الوقت الراهن، وفي هذه الحالة سأرافق السيد بوارو، إذا لم يكن لديه مانع ـ أجاب المحقق بلطف ـ أشعل فان ألدن سيجارا ضخما وعرض سيجارا على بوارو. فرفض ودخن واحدة من سجائره الصغيرة. وبدا أنّ فان ألدن قد استعاد هدوءه المعتاد بعد أن وهبه الله قوة شخصية مدهشة. وبعد أن مشى في صمت لدقيقة أو دقيقتين قال المليونير لرفيقه:

- إذن يا سيّد بوارو لم تعد تزاول مهنتك كمحقق؟

- في الواقع يا سيدي أنا أستريح الآن.

- ولكنك الآن كنت تساعد البوليس في تحرياته.

- سيدي هل كان الطبيب الذي شهد حادثاً يمر به يقول: (لقد تركت مهنتي، وأنا أواصل سيري) بينما كان عند قدميه رجل مضرّج بالدماء؟ أليس كذلك؟ آه، لو كنتُ قد نُصِّبتُ بالفعل في نيس وجاءت الشرطة لتطلب مني مساعدتها، لرفضتُ رفضًا قاطعًا. ولكن يبدو ان الله قد وضعني هناك في اللحظة المناسبة. لقد كنت في القطار، كما قلت ؟ إذن قمت بزيارة المقصورة ؟ أومأ بوارو برأسه بالإيجاب،

- ولا شك أنك اكتشفت بعض التفاصيل المهمة ؟

- نعم.

- هل تفهم ما أقصده ؟

ذنب الكونت دي لا روش يبدو معقولا، ولكنى لست ساذجا يا سيد بوارو لقد كنت أراقبك منذ ساعة وأظن أنك لسبب ما لا يعرفه أحد سواك تتبع أثراً مختلفاً ـ ربما أكون مخطئاً ـ سيد بوارو، هل توافق على العمل لحسابي؟

ـ لحسابك شخصياً؟

ـ هذه فكرتي ـ

ظل بوارو صامتاً للحظة، ثم سأل المليونير:

ـ ألا تخشى نتائج تحقيقي؟

ـ قبل كل شيء، أريد أن أعرف من هو القاتل.

ـ جيد. أنا موافق، بشرط أن تجيب على أسئلتي بصراحة، وهذا أمر بديهي.

غير بوارو موقفه وأصبح فجأة رجل أعمال عملياً.

- هل أنت من دفع ابنتك إلى طلب الطلاق؟

- نعم

- متى؟

- منذ حوالي عشرة أيام. اشتكت في إحدى رسائلها من سوء سلوك زوجها. فذهبت لرؤيتها وأخبرتها أن الطلاق هو العلاج الوحيد الناجع:

- ماذا كان لديها لتعاتب زوجها به؟

- لقد كان دائماً يتباهى بصحبة امرأة معروفة منحلة، تلك التي كنا نتحدث عنها من قبل ميرال.

- آه، الراقصة! وهل أساءت السيدة كيترينغ؟ وهل كانت تحب زوجها؟ لم يكن قلبه هو الذي عانى من ذلك بل كان كبرياءه: هكذا تحكم عليه، أليس كذلك؟ نعم، هذا صحيح.

- من المحتمل أن زواجهما لم يكن زواجا سعيدا منذ البداية؟ إن ديريك كيترينغ شرير في الأساس وغير قادر على إسعاد امرأة. باختصار، إنه مولى حزين يمكنك أن تسميه هكذا، جيد إذن، انت تنصح السيدة كيترينغ بالطلاق، وهى توافق. وتستشير رجال أعمالك متى سمع السيد كيترينغ هذا الخبر ؟

- لقد اتصلت به لأخبره بنفسي بالقرار الذي اتخذته.

- وماذا قال ؟

- لقد اسود وجه فان ألدن من ذكرى موقف ديريك الوقح ـ لقد كان وقحا بشكل شيطاني ـ عفوا يا سيدي، ولكن هل ألمح الى الكونت لاروش؟ ـ بدون أن يسمي ذلك الشخص، لقد أوضح أنه كان على علم بالعلاقة الغرامية.

- و إذا لم يكن لديك مانع من سؤالي فهل لك أن تخبرني عن حالة السيد كيترينغ المالية في ذلك الوقت؟

سأل فان ألدن بعد تردد قصير: - (كيف تريدني أن أعرف؟) فقال:

- (كان من الطبيعي أن تكون قد علمت بهذا الأمر) أنت على حق، لقد علمت ذلك، وقيل لي إن كيترينغ كان في أسفل الكومة والآن ورث مليوني جنيه! إن الحياة غريبة... ألا تظن هذا؟

- ماذا تقصد؟

- أنا أتفلسف في هذه اللحظة". ولكن دعنا نعود الى السيد كيترينغ. هل قبل بفكرة طلاقه عن طيب خاطر ؟ لم يجب فان ألدن على الفور، لا اعرف ماذا كانت نواياه ألم تره ثانية ؟ توقف فان ألدن ثانية، قالها في النهاية، لا، توقف بوارو قليلا، ثم خلع قبعته ومد يده الى اللقاء يا سيدى سأل فان ألدن بغضب:

- لا يوجد ما يمكنني أن أفعله لك.

- ماذا تقول ؟

- إذا لم تتحدث معي بصراحة فلن أستطيع أن أقدم لك الخدمة التي تتوقعها مني، لا أعرف ما الذي ترمي إليه، أنت تفهمني جيدا يا سيد فان ألدن، أريدك أن تعرف أنه يمكنك الاعتماد كليا على تحفظي. إذن ! هذا مفهوم لقد كنت مترددا إلى حد ما في الإجابة على سؤالك الأخير، أعترف بذلك ولكى اكون اكثر دقة، فقد أرسلت سكرتيري الميجور كنايتون وقد عرض عليه نيابة عني مبلغ مائة ألف جنيه استرليني اذا سمح بالطلاق دون الدفاع عن قضيته.

- لقد كان مبلغا كبيرا ماذا كان رد صهرك؟

- لقد قال لي اذهب الى الشيطان !

لم يفاجئ بوارو. ان السيد كيترينغ اخبر البوليس انه لم ير زوجته او يتحدث اليها أثناء الرحلة. هل انت مستعد للاعتراف بهذا يا سيد فان ألدن ؟

- بالتأكيد. بل لابد انه كان حريصا جدا على تجنبها.

- لماذا ؟

- لأنه كان بصحبة هذه المرأة ميرال ؟

- بالضبط، كيف عرفت هذا ؟

- لقد راقبته وعلمت انهما غادرا على نفس القطار، فهمت في هذه الحالة، لم يكن ليحاول مقابلة السيدة كيترينغ ثانية. وظل الرجل الصغير صامتا للحظة وتركه فان ألدن لتأمله...

الفصل السابع عشر
رجل أرستقراطي

- جورج، هل زرت الريفيرا من قبل؟ سأل بوارو خادمه في صباح اليوم التالي، فأجابه جورج وهو إنجليزي أصيل ذو وجه جامد:

- نعم يا سيدي. لقد ذهبت إلى هناك منذ سنتين، عندما كنت في خدمة اللورد إدوارد فرامبتون.

- واليوم - تمتم سيده - أنت تقيم مع هيركيول بوارو.

لم يرد الخادم على هذه الملاحظة. وبعد وقفة معقولة، سأل:

- "هل سيرتدي السيد بدلته البنية؟ فالرياح باردة قليلاً هذا الصباح، وهناك بقعة دهن على الصدرية، فاعترض بوارو قائلاً:

- "لقد جرفت قطعة من سمك على طريقة جانيت يوم الثلاثاء الماضي عندما كنت أتناول الغداء في الريتز.

- لم تعد البقعة موجودة يا سيدي، لقد أزلتها، لقد كانت هناك بقعة دهن على الصدرية".

- جيد جدا! انا مسرور بك يا جورج، شكرا لك يا سيدى.. اعذرني يا جورج"، وتابع بوارو حديثه وهو يبدو حالما.. لنفترض انك تحتل نفس المرتبة الاجتماعية التي كان يحتلها سيدك السابق اللورد ادوارد فرامبتون. ثم تتزوج من امرأة غنية جداً، ثم تطلب زوجتك الطلاق لأسباب وجيهة جداً. ماذا كنت ستفعل؟

- سأحاول أن أغير رأيها يا سيدي.

- بأي وسيلة؟

بدا جورج مرتبكاً:

- معذرة يا سيدي، ولكن الرجل الأرستقراطي النبيل لا يتصرف كصاحب متجر في وايتكابيل.

- هل تعتقد ذلك يا جورج؟

- لست متأكداً من ذلك، ولكن ربما كنت محقاً. كان هناك طرق على الباب. فتحه جورج بضعة سنتيمترات. وتلا ذلك حوار بصوت منخفض، ثم عاد الخادم إلى بوارو.

- رسالة لك يا سيدى بوارو.

فتحها. لقد كانت من مركز الشرطة، نحن ذاهبون لاستجواب الكونت دي لا روش، والقاضي يريدك أن تحضر، بسرعة.

- يا جورج! أنا في عجلة من أمري.

بعد ربع ساعة، دخل بوارو مكتب قاضي التحقيق، وكان المفوض هناك بالفعل، وكان يرتدي بدلة بنية اللون. استقبل السيد كاريج والسيد كو بوارو بلهفة. اعترف السيد كو بأن هذه القضية محيرة.

- يبدو أن الكونت وصل إلى نيس قبل يوم من وقوع الجريمة. أجاب كاريج: "لا يمكننا أن نقبل حجة الغياب هذه إلا بعد تحقيق جاد"، ثم هز الجرس على مكتبه، وسرعان ما دخل رجل أسمر الشعر ذو بنية ممشوقة ومظهر متأنق وأناقة راقية. كان الكونت يتمتع بهيئة أرستقراطية إلى درجة أنه كان يبدو لك أن تهمس بأنه ابن تاجر بذور مغمور من نانت... وهو ما كان في الواقع. لو نظرت إليه لأقسمت أن أسلافه قد هلكوا على المقصلة أثناء الثورة.

قال الكونت بغرور: - "ها أنا ذا أيها السادة".

- "اجلس من فضلك يا كونت" قالها قاضي التحقيق.

- انه بخصوص وفاة السيدة كيترينغ ؟

- انا لا افهم يا سيدى.

- أنت تعرف هذه السيدة على ما أعتقد يا سيد الكونت؟

- في الواقع، كنت أعرفها. ولكنى لا أرى ما علاقة هذا بالموضوع ؟

عدل نظارته الأحادية وحدق في الحاضرين وتوقف نظره على بوارو الذى كان يراقبه بنوع من الإعجاب الساذج الذى كان يداعب غرور الكونت.

سأل السيد كاريج: - "سيدى الكونت ربما لا تعلم أن... السيدة كيترينغ قد قُتلت ؟

- قُتلت ؟ يا الهى إن هذا أمر فظيع.

لقد ظننت أنه كان صادقا في تظاهره بالدهشة والحزن ببراعة شديدة، لقد خنقت السيدة كيترينغ بين باريس وليون" وأضاف السيد كاريج قائلا: - "لقد سرقت مجوهراتها.

صاح الكونت قائلا: - "يا له من إهمال! البوليس يجب ان يعاقب هؤلاء اللصوص بشدة.

- لقد وجدنا في حقيبة يد السيدة كيترينغ خطابا كتبته لها. فهز الكونت كتفيه. ما الفائدة من محاولة إخفائها يا سادة؟

- لقد قابلتها في باريس وسافرتما معا أليس كذلك ؟ قال السيد كاريج هذه كانت خطتنا الأصلية ولكننا غيرناها بناء على طلب السيدة كيترينغ. لقد كنت سأذهب لمقابلتها في هيبريس.

- ألم تركب في مقصورتها في "ڤار دي ليون" مساء الرابع عشر من الشهر الجاري؟

- لا، بل في صباح نفس اليوم الذي هبطت فيه في نيس، وما تقوله مستحيل ماديا.

- هل لك أن تعطينا، لمجرد التسجيل، جدول مواعيدك في مساء الرابع عشر؟

فكر الكونت للحظة:

- تناولت العشاء في مونت كارلو، في مقهى باريس. ثم ذهبت إلى النادي الرياضي، حيث ربحت بضعة آلاف ثم عدت إلى المنزل في حوالي الساعة الواحدة صباحاً.

- كيف وصلت إلى المنزل؟

ـ في سيارتي الصغيرة ذات المقعدين.

- هل كنت بصحبة أحد؟ ـ هل يمكن لأحد أن يؤكد أقوالك؟

ـ لقد رآني عدة من أصدقائي في ذلك المساء. ـ

- هل فتح لك خادمك الباب عندما وصلت إلى المنزل؟

- لا، كان معي مفتاحي الرئيسي -

آه! مرة أخرى قرع القاضي جرسه. ففتح الباب وظهر الموظف.

- أرسل لي الخادمة الآنسة ماسون.

- نعم يا حضرة القاضي.

دخلت آدا ماسون.

- آنستي، هلا تكرمتِ بالنظر إلى هذا السيد؟ حاولي أن تتذكري إن كان هو الذي دخل مقصورة سيدتك في باريس.

درست المرأة الكونت لفترة طويلة. يا إلهي يا سيدي"، قالت ماسون أخيراً، "لا أستطيع أن أجزم بذلك. ربما يكون هو، وربما لا يكون هو، وبما أنني لم أره إلا من الخلف، فمن الصعب علي أن أتعرف عليه. ومع ذلك، يبدو لي أنه هذا الرجل المحترم.

- لكنك لست متأكدة؟

- لا... لا، أخشى أنني مخطئة!

- هل رأيت هذا السيد في شارع كورزون؟

هزت ماسون رأسها. - لم أر إلا زوار سيدتي فقط إذا كانوا يقيمون في المنزل.

لقد قلتها أنت" تمتم السيد كاريج "، فعبس ديريك متسائلاً:

- "هل تريدني أن أخبرك برأيي؟ أود أن أعرف، في رأيي أن الشرطة الفرنسية لديها سمعة مبالغ فيها. يجب أن يكون لديكم ملفات عن عصابات لصوص القطارات هذه. انه من غير المعقول ان تُرتكب مثل هذه الجرائم في قطار فاخر، وان البوليس عاجز عن القبض على القتلة.

- لا تقلق يا سيدي، سنقبض عليهم.

- يبدو ان السيدة كيترينغ لم تترك وصية ؟ لقد وضع أطراف أصابعه معا ونظر بعناية إلى السقف.

- لا أعتقد أنها كتبت وصية أبدا، أجاب كيترينغ لماذا تسأل؟

- سوف ترث ثروة كبيرة... مبلغ لطيف.

وبدون أن يبدو عليه ذلك، لاحظ بوارو الاحمرار المفاجئ الذي صبغ وجنتي ديريك كيترينغ.

- بهدوء، قام بوارو بفك ركبتيه، ثم رفع رأسه ونظر إلى محاوره.

- قال: اسمي هو هيركيول بوارو، وأنا بلا شك أشهر محقق في العالم، هل أنت متأكد تماماً أنك لم تر زوجتك في القطار؟

- هل تلمح إلى... أنني قتلتها؟ وفجأة انفجر ضاحكاً. أنا مخطئ في غضبي. هيا يا سيد بوارو، لا مزيد من النكات لو كنت قد قتلتها، هل كنت سأحتاج إلى سرقة مجوهراتها؟ كان ذلك سيكون سخيفاً بما أنني ورثتها.

- هذا صحيح"، تمتم بوارو وقد بدا عليه الاكتئاب. لم أفكر في ذلك. لو كانت هناك جريمة بدافع السرقة، فهذه هي الجريمة. !روث المسكينة تلك الياقوتات اللعينة قد ضاعت منها لقد تم اكتشاف أنها أخذتها معها يُقال أن هذه الأحجار الشهيرة كانت السبب في عدة جرائم قتل. قفز بوارو على قدميه. ولمع بريق أخضر أضاء عينيه. سؤال آخر يا سيد كيترينغ.

- هل لك ان تخبرني متى كانت آخر مرة رأيت فيها زوجتك ؟

- انتظر... منذ اكثر من ثلاثة أسابيع. أجاب المحقق بفظاظة:

- "لا يهم". هذا كل ما أريد معرفته.

- جيد هل انتهى الأمر هذه المرة؟ سأل السيد كيترينغ بفارغ الصبر مستجوباً السيد كاريج الذي نظر إلى بوارو ليجيبه، وأومأ برأسه: - "نعم يا سيد كيترينغ، لن نبقيك أكثر من ذلك. مع السلامة "!

وانصرف كيترينغ مغلقاً الباب، فانحنى بوارو إلى الأمام، وما إن اختفي الشاب حتى قال بصوتٍ متسلط:

- "أخبرني. متى أخبرت السيد كيترينغ عن هذه الياقوتات؟

قال السيد كاريج: - "لم أخبره. لقد سمعنا عن هذه المجوهرات من السيد فان ألدن بعد ظهر الأمس فقط.

- نعم ولكن سبق ان ذكرها الكونت في خطابه، فبدا السيد كاريج مستاءا، انا بالتأكيد لم أخبر السيد كيترينغ عن هذا الخطاب. كان يمكن ان يكون هذا طيشا فظيعا، وقد نقر بوارو على المنضدة وهو يناجى كيف عرف ان زوجته لديها هذه القطعة من المجوهرات ؟ لا يمكن ان تكون السيدة كيترينغ قد أخبرته، لأنه لم يرها منذ ثلاثة أسابيع. السيد فان ألدن لم يكن في وسع سكرتيره أن يخبره بذلك، لأن لقاءهما مع المستر كيترينغ كان موضوعه مختلفا تماماً. ونهض وأخذ قبعته وعصاه وخرج وهو يردد بصوت منخفض: - (من الذي يمكن أن يكون قد أخبره بذلك؟ يا ترى؟)

الفصل الثامن عشر

غداء كيترينج

ذهب ديريك كيترينج مباشرة إلى النجرسكو حيث طلب كأسين من الكوكتيل. وكان يراقب آلياً الحشد غير المتبلور من المتنزهين الذين كان منظرهم مؤلماً بالنسبة له. وسرعان ما غيّر رأيه: كانت امرأة شابة قد جلست للتو على طاولة قريبة. كانت ترتدي بدلة برتقالية وسوداء جميلة وقبعة رشيقة طغت على ملامحها. طلب ديريك مشروب كوكتيل ثالث ونظر مرة أخرى إلى البحر المشمس، وفجأة ذُهل. فاحت في أنفه رائحة مألوفة. نظر ديريك إلى المرأة الشابة، ورأى وجهها وتعرّف عليها إنّها ميراي.

تمتمت: - "ديريك". هل أنت مسرور لرؤيتي مرة أخرى؟

- كلا؟

- جاءت وجلست على نفس الطاولة التي جلس عليها.

- هيا! على الأقل قل لي مرحباً أيها الوحش الضخم.

- لم أكن أتوقع هذا اللقاء. متى غادرتِ لندن يا آنسة؟ ـ هزت كتفيها ـ

- منذ يوم أو يومين ـ والبارثينون؟

- لقد تركت كل شيء ورائي -

- حقاً؟

- أنت لست ودوداً يا بني

- كيف يمكن أن أكون كذلك؟ -

- أشعلت ميراي سيجارة وأخذت بعض النفخات.

- أنت لا تظن أنه ليس من الحكمة أن نلتقي معاً بهذه السرعة، أليس كذلك؟

نظر إليها ديريك وسألها بإيجاز:

- هل تتناولين الغداء هنا يا آنسة؟

- نعم، وفي صحبتك يا سيدي

- معذرة هذا مستحيل: - لدي موعد هام جداً

- يا إلهي! إن الرجال مزعجون جداً! ديريك، أنت تلعب دور الطفل المدلل؛ لقد كنت عابساً في وجهي منذ اليوم الذي تركتني فيه فجأة في لندن.

- عزيزتي، أنا لا أفهم أنينك، ألم نقل كلانا أن الفئران تهجر السفينة عندما توشك على الغرق؟ على الرغم من نبرته الساخرة، بدا ديريك قلقاً. مالت ميراي نحوه وهمست:

- "لا فائدة من محاولة خداعي" أعلم... أعلم ما فعلته من أجلي.

نظر إليها بصرامة. لقد صدمته كلماتها المليئة بالتحفظ. هزت رأسها: - "لا تخف! أنا التحفظ نفسه.

- أنتِ مثيرة للإعجاب!

- لقد أظهرت شجاعة بطولية! ففي النهاية، أنا من أوحى لك بهذه الفكرة، عندما أخبرتك في لندن أن الحوادث تقع عندما لا تتوقعها. أنت لست في خطر الشرطة لا تشتبه بك في أي شيء. ماذا على الأرض...

- صه! مدت يدها الطويلة النحيلة و إصبعها الصغير مزين بزمردة ضخمة.

- ديريك! أنا آسفة جداً كان يجب أن أبقي فمي مغلقاً في مكان عام. دعنا لا نتحدث عن ذلك بعد الآن. مشاكلنا المالية انتهت الآن سنعيش حياة الترف!... سيكون الأمر رائعاً !

- ضحك ديريك ضحكة مجبرة غير سارة.

- إذاً الفئران ستعود إلى السفينة الآن؟ مليونا جنيه إسترليني مبلغ كبير من المال!

- كان يجب أن أعرف. بدأ يضحك مرة أخرى أنت تحبين أن تساعديني في إنفاق رأس المال، أليس كذلك؟ لن يكون هناك من هو أفضل منك في ذلك، فضحك مرة أخرى. قالت الراقصة:

- صه! ما خطبك؟ الناس ينظرون إليك، أنا؟ أتريد أن تعرف ما خطبي؟ حسنا، لقد انتهيت منك، و إلى الأبد. لم تأخذ ميراي غضبه على محمل الجد. نظرت إليه للحظة، ثم ابتسمت قائلة: - "يا لك من طفل! أنت غاضب وغاضب لأنني أظهرت نفسي امرأة عملية. ألم أقل لك دائماً أنني أعشقك؟ مالت نحوه، أنا أعرفك جيداً يا ديريك الصغير. انظر في عيني إنها ميراي التي تتحدث إليك. كيف يمكنك أن تعيش بدونها؟ أنت تعرف كم أحببتك حتى الآن، وسأحبك مائة مرة أكثر من الآن فصاعداً. سأجعل حياتك أكثر جمالاً هل ستجد امرأة أخرى مثل ميراي؟ لقد التهمته بعينيها. وعندما رأته شحب لونه وكتم أنفاسه، شعرت ببهجة داخلية، وهي متيقنة من قوتها السحرية على الرجال، قالت بهدوء ضاحكة: (لقد حسمت المسألة) والآن يا ديريك ادعني إلى الغداء:

- كلا، أخذ نفساً عميقاً ووقف، معذرة، ولكن كما قلت لك من قبل أنا مشغول بالفعل.

- أنت تتناول الغداء مع شخص آخر. لا تحاول أن تخدعني يا ديريك.

- عفواً، أنا أتناول الغداء مع تلك السيدة التي ترينها هناك. عبر الغرفة وتوقف أمام شابة ترتدي ملابس بيضاء كانت قد دخلت للتو. سألها بصراحة.

- آنسة غراي، سيكون من دواعي سروري أن تتناولي الغداء معي. تذكري، لقد تقابلنا من قبل في منزل الليدي تامبلين. لقد حدقت كاثرين فيه للحظة بعينيها الرماديتين المعبرتين. - شكرا لك سيدي. أقبل بكل سرور.

الفصل التاسع عشر

زيارة غير متوقعة

كان الكونت دي لا روش قد انتهى لتوه من تناول غدائه الذي كان يتألف من عجة بالأعشاب الناعمة، و"انتريكوت بارنيز" و"سافارين الروم". مسح شاربه الأسود الناعم برفق بزاوية منديله، ثم نهض من على الطاولة. وبينما كان يعبر غرفة المعيشة في الفيلا، كان ينظر بتقدير إلى بعض التحف الفنية الموضوعة هنا وهناك: علبة سعوط لويس الخامس عشر، وحذاء ماري أنطوانيت الساتاني وغيرها من التحف التاريخية التي كانت جزءاً من ديكوراته. وكان يشرح لزواره الأنيقين أن هذه الهدايا التذكارية التي لا تقدر بثمن جاءت من أسلافه. وبعد أن مر إلى الشرفة، نظر الكونت إلى البحر الأبيض المتوسط، ولكن دون أن يراه. لم يكن في مزاج يسمح له بتذوق جمال الطبيعة. وكانت خطته الأخيرة التي وضعها بمهارة فائقة قد باءت بالفشل، وكان لا بد من وضع خطة جديدة. وكان الكونت مستلقياً على كرسي من الخوص وسيجارة بين أصابعه البيضاء يتأمل طويلاً، وسرعان ما أحضر له خادمه هيبوليت القهوة والمشروبات الكحولية. وبينما كان الخادم على

وشك المغادرة، استدعاه الكونت بإشارة منه. استدار هيبوليت وصحح وضعه. لم يكن في مظهره شيء جذاب، ولكن سلوكه الصحيح كان يعوض عن الانطباع السيئ الذي قد يكون أعطاه للوهلة الأولى: قال الكونت:

- ربما سيأتي إلى الفيلا بعد أيام قليلة زوار مجهولون. سيحاولون أن يجعلوك أنت وماريا تتحدثان مع بعضكما البعض، ويسألونك أسئلة مختلفة عني.

- جيد يا سيدي الكونت.

- ربما كان أحد ما هنا بالفعل.

- لا يا سيدي الكونت.

- هل أنت متأكد تماماً؟

- لم أر أحداً يا سيدي الكونت.

- هذا جيد. ومع ذلك، توقع هؤلاء الزوار. إنهم حتماً سيستجوبونك. راقب هيبوليت سيده بنظرة عارفة، فتحدث الكونت بهدوء دون أن ينظر إلى خادمه:

- "كما تعلم، لقد وصلت إلى هنا صباح الثلاثاء. إذا جاء شرطي أو أي شخص آخر للتحقيق، فلا تنس هذه الحقيقة المهمة. لقد وصلت صباح الثلاثاء الرابع عشر وليس الأربعاء الخامس عشر. ـ هل فهمت؟

- تماماً يا سيدي ـ لكي تحافظ على شرف المرأة يجب أن تعرف كيف تكون كتوماً وأنا متأكد يا هيبوليت أنك لن تفشل في هذا المبدأ ـ

- أنا أعرف كيف أحفظ لساني عندما أحتاج إلى ذلك يا سيدي.

ـ وماريا؟

ـ وماريا أيضاً.

إذن كل شيء على ما يرام"، تمتم الكونت. " عندما انسحب هيبوليت، ارتشف الكونت قهوته وهو يبدو متأملاً. عبس عدة مرات وهز رأسه. في هذه الأثناء، عاد هيبوليت إلى الظهور.

- طلبت سيدة رؤية السيد الكونت.

- سيدة؟ تفاجأ الكونت. لم تكن زيارة سيدة غير عادية في فيلا مارينا، ولكن في تلك اللحظة بالذات تساءل الكونت عن هوية هذه الزائرة. تمتم الخادم: "لا أعتقد أن سيادتك يعرفها" فزاد الكونت حيرة الكونت. أحضرها إلى هنا يا هيبوليت.

وما هي إلا لحظات قلائل، حتى أطل على الشرفة شبح مبهر من اللونين البرتقالي والأسود، وقد سبقها عطر عنيف من الزهور الغريبة:

- السيد الكونت دي لا روش؟

- قال الكونت وهو ينحني: مرحبا

- اسمي ميرال. ربما سمعت عني؟ كيف ذلك يا آنسة! من لم تسحره رقصات الآنسة ميرال الرشيقة؟ أنتِ رائعة! استقبلت الفنانة هذا الإطراء بابتسامة احترافية صغيرة، فبدأت قائلة:

- (لقد جئت إليك بدون مراسم) قال:

- (من فضلك يا آنسة اجلسي) همس الكونت وهو يحرك كرسي أمامها، وعلى الرغم من شهامة أسلوبه فقد كان يدرس الراقصة عن كثب. ولم يكن قد بقي لديه الكثير ليتعلمه عن الجنس اللطيف، ولكن دسائسه الكثيرة لم تكن قد جعلته حتى الآن على اتصال بهذا النوع من النساء اللاتي كن مثله يسعين وراء المال. وكان للراقصة والمحتال مواهب كثيرة متشابهة، وشعر الكونت أنه يضيع وقته في محاولة استعراض مهاراته الإغرائية أمام هذه المرأة، وكانت ميرال باريسية راقية حتى العظم، ولكنها لم تنجح في أن تخفي عن هذا الرجل الشعور الذي أملى عليه زيارته. وخمن الكونت في الحال أنه في حضرة امرأة غاضبة؛ والمرأة الغاضبة دائماً ما تقول الكثير، وقد يكون ما تبوح به مصدر ربح. وهكذا قال الكونت دي لا روش:

- آنستي، بماذا أدين لك بشرف زيارتك يا آنسة؟ إن لنا أصدقاء مشتركين في باريس، ولكنني جئت اليوم لرؤيتك لسبب مختلف تماماً. لقد قيل لي عنك مؤخرا في نيس. آه !

- إن صراحتي ستبدو لك وحشية، تابعت الراقصة، ولكن يجب أن تعلم أني أهتم بمصالحك في صميمي. أنت مشتبه بك في أنك قاتل السيدة الإنجليزية السيدة كيترينغ.

- أنا؟ قاتل السيدة كيترينغ؟ يا له من هراء !

لقد تكلم بدون سخط، ليثير ثغرات جديدة. وأصرت ميرال على ما تقول، وأصر الكونت بلا مبالاة: - "الناس يحبون النميمة". لا أريد أن آخذ مثل هذه الاتهامات على محمل الجد.

- أنت لا تفهمني قالت الراقصة وهي تميل إلى الأمام وتنظر إلى الشاب بعينيها السوداوين "إنها ليست مسألة نميمة مبتذلة... بل مسألة الشرطة... آه ؟ اعتدل الكونت في مكانه فأومأت ميرال برأسها في وقار.

- أنت تفهمني هذه المرة. إن لي أصدقاء في كل مكان، الوالي نفسه... لم تكمل الجملة، ولكنها هزت كتفيها بإشارة بليغة.

- كيف يمكن لأحد أن يخفي أسراراً عن امرأة جميلة؟ تمتم الكونت متملقاً.

- إن البوليس يشتبه في أنك قتلت السيدة كيترينغ ولكنهم مخطئون.

- بالتأكيد، وافق الكونت.

- نعم، ولكنك لا تعرف الحقيقة.

نظر اليها الكونت بفضول - هل تعرفين من قتل السيدة كيترينغ ؟ هل هذا ما قلته للتو يا آنسة؟

- بالضبط،

- من هو القاتل؟

- زوجها، أجابت ميرال وصوتها يهتز من الغضب. زوجها هو الذي قتلها. أما الكونت فقد كان جامداً، واتكأ على كرسيه بذراعه.

- دعيني أسألك من أخبرك بذلك؟

- من أخبرني بذلك؟

- لكنه تفاخر لي بذلك قبل أن يغادر إلى نيس. كان مفلساً ومثقل بالديون، ولم يخرجه من ورطته سوى موت زوجته. لماذا كان مسافرا على نفس القطار مع السيدة كيترينغ بدون علمها ؟ بكل بساطة ليذهب ويقتلها في منتصف الليل... آه! (أغمضت ميرال عينيها.) أستطيع أن أرى المشهد المروع! سعل الكونت.

- ربما... ربما... يبدو لي يا آنسة أنه لم يكن ليسرق المجوهرات.

- المجوهرات! آه نعم، الياقوتات!

أظلمت عينا المرأة. كان الكونت يراقبها، مظهراً مرة أخرى سحر الأحجار الكريمة للجنس الأضعف. ودعاها إلى العودة إلى الأمور العملية.

- ماذا تريدين مني يا آنسة؟

عادت سيدة الأعمال على الفور إلى ميرال.

- الأمر بسيط للغاية. سوف تبلغ البوليس ان السيد كيترينغ قتل زوجته.

- ماذا لو لم يصدقونى؟ لا أستطيع تقديم أي دليل، فابتسمت ميرال وارتدت معطفها.

- أرسل هؤلاء الغير مصدقين إليّ يا سيد الكونت سأعطيهم كل الإثباتات التي يريدونها.

بعد أن حققت ميرال هدفها، غادرت كالزوبعة المتهورة. رفع الكونت حاجبيه بدقة وراقبها وهي تغادر. إنها غاضبة. أتساءل لماذا. على أي حال، إنها تظهر يدها بوضوح شديد. هل هى حقا تشك في ان السيد كيترينغ قتل زوجته ؟ إنها تريدني ان اعتقد هذا. حتى إنها تود ان تقنع البوليس.

ابتسم الكونت دى لاروش. لم تكن لديه النية في التورط في هذه القضية. فقد كانت هناك احتمالات أخرى مفتوحة أمامه، وإذا حكمنا من خلال ابتسامته فقد كانت أكثر متعة. ولكن سرعان ما أظلم جبينه. وفقًا لميرال، اشتبهت به الشرطة. يمكن أن يكون هذا صحيحًا كما يمكن أن يكون خاطئًا. فالغضب الجامح لا يقلق كثيرًا بشأن صحة ادعاءاته. من ناحية أخرى، ربما كانت على علم جيد. وفي هذه الحالة...

وقد التوى فم الكونت في سخرية.

كان عليه أن يتخذ بعض الاحتياطات، فعاد إلى المنزل وسأل هيبوليت مرة أخرى عما إذا كان هناك أي غرباء قد جاءوا إلى منزله. صعد الكونت إلى غرفة نومه في الطابق العلوي وتوجه إلى مكتب قديم للكتابة على الحائط. ثم أزال الغطاء واستخدم أصابعه الرشيقة ليدير زنبركاً مخبأ في أسفل إحدى الحجرات. انفتح درج سري يحتوي على طرد صغير ملفوف بورق بني اللون. أخذه الكونت ووزنه في يده، وبتكشيرة خفيفة، انتزع شعرة من رأسه ووضعها على حافة الدرج الذي أغلقه بحذر، ثم هبط الدرج وهو يحمل الرزمة الصغيرة في يده وغادر المنزل متوجهاً إلى المرآب. وبعد عشر دقائق، كان في سيارته الحمراء الصغيرة ذات المقعدين، في طريقه إلى مونتي كارلو. وبعد أن

أمضى بضع ساعات في الكازينو، تجول في المدينة. ثم عاد إلى سيارته وتوجه إلى منتون. وفي وقت سابق من بعد الظهر، كان قد لاحظ سيارة رمادية اللون خلفه على بعد مسافة منه، والآن رآها مرة أخرى على الطريق. ابتسم الكونت وضغط بقوة على دواسة الوقود. كان يتسلق تلة طويلة شديدة الانحدار. كانت السيارة الحمراء الصغيرة، التي صنعها الكونت خصيصاً، ذات محرك أقوى من محرك أي سيارة. وبابتسامة عريضة على وجهه، نظر الكونت إلى السيارة الرمادية. كانت السيارة الحمراء الصغيرة المغطاة بسحابة من الغبار، تجري على طول الطريق بسرعة خطيرة، لكن الكونت كان يقودها بتحكم ورباطة جأش على غير عادية، كانت السيارة الصغيرة تنحدر في منحدر متعرج وسرعان ما تباطأت حتى توقفت أمام مكتب بريد. قفز الكونت من مقعده ورفع غطاء صندوق العدة والتقط الطرد الصغير الملفوف في ورقة بنية اللون وأسرع إلى المكتب، وبعد دقيقتين عاد إلى السيارة في طريقه إلى منتون. وعندما وصلت السيارة الرمادية إلى هذه المدينة كان الكونت جالساً على شرفة أحد الفنادق يستمتع بشاي الساعة الخامسة الإنجليزية. وفي ذلك المساء، عاد إلى مونتي كارلو لتناول

العشاء، وعاد إلى منزله في الحادية عشرة. جاء هيبوليت لمقابلته وقد بدا عليه الانزعاج الشديد:

- آه، ها هو السيد الكونت أخيراً. هل اتصل السيّد لو كونت هاتفياً في وقت سابق؟

أومأ الكونت برأسه بالنفي.

ولكن في الساعة الثالثة تلقيت مكالمة هاتفية من السيد لو كونت يخبرني أن آتي لمقابلته في نيس.

- في نيس حقاً؟

- نعم يا سيدى الكونت، ولكنهم لم يستطيعوا إعطائي أي معلومات في نيغريسكو السيد الكونت لم يكن هناك ولا شك أن ماري كانت تتسوق للعشاء في نفس الوقت؟

- نعم سيدى الكونت.

- لا تعذب نفسك يا هيبوليت صعد الكونت إلى غرفته وهو يبتسم لنفسه وأغلق الباب ونظر حوله بعناية. بدا كل شيء مرتباً فتح عدة أدراج. كانت الأغراض قد أعيدت كما وضعها بالضبط تقريباً، و إن لم يكن تماماً. اقترب الكونت من المكتب ونقر على الزنبرك السري. فُتح الدرج، لكن الشعرة لم

تعد في مكانها. تمتم الكونت: "إن شرطتنا مثيرة للإعجاب. لا شيء يفلت منهم. "

الفصل العشرون

كاثرين غراي

في صباح اليوم التالي كانت كاثرين ولينوكس جالستين في شرفة فيلا مارغريت. ولولا وجود لينوكس في الفيلا لكانت كاثرين قد وجدت الحياة هناك لا تطاق، فقد أثيرت قضية كيترينغ مراراً وتكراراً. وقد استغلت السيدة تامبلين بسخرية وضع ضيفتها فيما يتعلق بجريمة القتل. ولم تفلح مناوشات كاثرين المستمرة في نزع سلاح مضيفتها، وكانت لينوكس تتسلى بمناورات والدتها بينما كانت تحتفظ بتعاطفها مع كاثرين. وظل تشوبي، الذي لم تتغير بهجته الساذجة، يقدم الفتاة الصغيرة إلى كل من جاء إلى الفيلا:

- هذه هي الآنسة غراي. هل تعرفون دراما القطار الأزرق؟ لقد كانت هناك تتحدث مع روث كيترينغ قبل الجريمة بساعات قليلة. لقد كانت فتاة محظوظة، أليست كذلك؟

وقد أثارت هذه الملاحظات حفيظة كاثرين فغضبت وردت على الليدي تامبلين رداً لم تستسغه. وعندما أصبحت الفتاتان وجهاً لوجه مرة أخرى، قالت لينوكس بصوتها الرخيم:

- "ألم تعتادي أن يتم استغلالك يا كاثرين؟ لا يزال أمامك الكثير لتتعلميه.

- لم أستطع أن أحتوي نفسي يا لينوكس.

- لقد حان الوقت لكي تبدئي في المقاومة قليلاً، تشابي ليس لئيماً، إنه غبي. أما بالنسبة لأمي، فهي تطرحك أرضاً ولا تلاحظ حتى. و إذا رددت أنت، فإنها تفتح عينيها الزرقاوين الكبيرتين في رعب، ولكنها لا تلاحظ، أما كاثرين فلم تلاحظ هذه الانتقادات. تابعت لينوكس:

- أعترف أنني أشبه تشابي قليلاً. أحب أن أتحدث عن قضايا القتل هذه، خاصة وأنني هذه المرة أعرف زوج الضحية.

أومأت كاثرين برأسها: - "إذن، هل تناولتِ الغداء مع ديريك بالأمس؟ هل أنتِ معجبة به يا كاثرين؟ فكرت كاثرين للحظة.

- لا أعرف، أجابت: لا أعرف، إنه لطيف نعم يبدو لطيفاً جداً،

- ما الذي يزعجك فيه؟ لم تجب كاثرين على هذا السؤال، على الأقل ليس بشكل مباشر.

- لقد تحدث عن زوجته وأعلن بلا خجل أن موتها كان ضربة حظ عظيمة.

- هل صدمك هذا؟ توقفت لينوكس قليلاً. ثم أضافت بنبرة غريبة:

- "كاثرين، ديريك يحبك يا كاثرين.

- لقد قدم لي غداء ممتازاً على أية حال"، ردت كاثرين في مزاح طيب، ولم تدع لينوكس موضوع الحديث يفلت من يدها، وقالت بعد تفكير:

- "لقد لاحظت ذلك منذ الليلة الأولى التي وصلت فيها. كان لديه طريقة في النظر إليك! لكنك لستِ من نوعه المفضل، بل على العكس من ذلك. لا شك أن الحب، مثل الإخلاص، يأتيك في سن معينة.

- أعلنت ماري أن الآنسة مطلوبة على الهاتف. السيد هيركيول بوارو يريد التحدث اليها.

- الكثير من الدماء والكثير من جرائم القتل! بسرعة يا كاثرين، اذهبي يا كاثرين وتحدثي مع المحقق الخاص بكِ. وصل صوت السيد بوارو إلى أذن كاثرين بصوت عالٍ وواضح:

- "هل أنت معي على الهاتف يا آنسة غراي؟ جيد يا آنسة، انا اتصل بالنيابة عن السيد فان ألدن والد السيدة كاترينج. انه يريد رؤيتك إما في فيلا مارجريت أو في فندقه في نيس، كما تريدين.

بعد التفكير، لم ترغب كاثرين في استقبال السيد فان ألدن في فيلا مارجريت. لا تستطع السيدة تامبلين أن تكتم فرحتها، لأنها لن تفوت فرصة الاختلاط مع أصحاب الملايين، لذلك أجابت كاثرين بوارو بأنها ستذهب إلى نيس.

- ممتاز يا آنسة سأقلك بنفسي في السيارة... بعد ثلاثة أرباع الساعة. هل يناسبك هذا ؟

- جيد.... أراك قريبا !

في الوقت المحدد، وصل بوارو. كانت الآنسة غراي في انتظاره وغادرا في الحال كيف حالك يا آنسة؟ نظرة فاحصة أكدت الانطباع الأول للفتاة الصغيرة كان السيد هيركيول بوارو رجلاً ساحراً:

- "هذه هي قصة الجريمة الحقيقية. لقد وعدتك بأننا سنقوم بالتحقيق معاً وكالعادة أوفي بوعدي.

- أنت لطيف جداً يا سيد بوارو أنت تسخر مني !

- هل تريدين معرفة تفاصيل القضية، نعم أم لا؟

اعترفت كاثرين بفضولها ورسم لها المحقق صورة الكونت دي لا روش.

- هل تعتقد أن هذا الرجل قتلها؟ سألت كاثرين.

- نحن نشك فيه، أجاب بوارو دون أن يساوم نفسه نعم، ولكن ألا تعتقدين أنتِ؟ أنا لم أعطِ رأيي بعد. وأنتِ يا آنستي، ما رأيك؟ هزت رأسها: - ماذا تريدني أن أعتقد؟ أنا لا أعرف أي شيء عن هذه الأشياء، ولكن يبدو لي...

حسناً؟ من الصورة التي أعطيتني إياها للتو عن هذا الرجل، أعتقد أنه غير قادر على ارتكاب جريمة.

- آه! نحن نتشارك نفس وجهة النظر. نظر اليها بوارو باهتمام شديد:

- اخبريني يا آنسة، هل رأيت السيد كيترينغ ؟

- نعم، لقد قابلته في منزل الليدي تامبلين وتناولنا الغداء معا بالأمس.

قال بوارو: - موضوع سيئ ولكن النساء يفضلن الرجال من هذا النوع، أليس كذلك ؟ ونظر الى كاثرين في خبث وأضاف:

- رجل كهذا لا يمر دون أن يلاحظه أحد. لا شك أنك لاحظته في القطار الأزرق؟

- ـ نعم

ـ في عربة المطعم؟

ـ لا لقد رأيته مرة واحدة فقط، عندما... كان يدخل مقصورة زوجته قصة مضحكة"، تمتم بوارو.

- آنستي، أتذكر أنكِ قلتِ أنكِ عندما وجدتِ نفسكِ مستيقظة في ليون، نظرتِ من نافذتكِ هل رأيتِ رجلاً أسمر طويل القامة مثل الكونت دي لا روش ينزل من القطار؟

- لا، لم أرَ أحداً. أو بالأحرى، نعم، كان هناك فتى يرتدي قبعة ومعطفاً نزل من العربة، ولكنني لا أعتقد أنه غادر المحطة، كان يأتي ويذهب على الرصيف. وكان هناك أيضاً رجل فرنسي سمين ذو لحية يرتدي معطفاً فوق بيجامته ويريد فنجان قهوة، وبصرف النظر عن هؤلاء، لم ألحظ سوى موظفي القطار، أومأ بوارو برأسه:

- "لقد تعقدت قضية الكونت دي لا روش بسبب حقيقة أن لديه حجة غياب. لا يوجد ما هو أكثر إيلاماً من حجة الغياب: فهي تفتح الباب أمام الشبهات. صعدا مباشرة إلى شقة فان ألدن حيث استقبلهما كنايتون. وقام بوارو بتقديمه لكاثرين. وبعد بضع جمل عادية، قال كنايتون:

- سأخبر السيد فان ألدن عن زيارة الآنسة غراي. ثم ذهب الى غرفة مجاورة. كانت هناك همهمة من الأصوات، ثم دخل فان ألدن إلى الغرفة وتقدم نحو كاثرين وهو يمد يده نحوها ويراقبها بنظرة فاحصة. قال:

- أنا سعيد برؤيتك يا آنسة غراي لقد كنت أتطلع إلى قدومك لأسمعك تتحدثين عن روث. لقد أسعد المليونير بأخلاقه البسيطة كاثرين كثيراً. فقد شعرت أنها كانت في حضرة ألم صادق، كان أكثر واقعية لأنه لم يعبر عنه بأي شكل من الأشكال، فقدم لها كرسيا وقال لها: اجلسي من فضلك وأخبريني

بما تعرفينه، فانسحب بوارو وكنايتون في تكتم إلى غرفة أخرى تاركين كاثرين وفان ألدن بمفردهما، ودون صعوبة كررت له حديثها مع روث كيترينغ كلمة بكلمة تقريبا. وقد استمع اليها في صمت وهو يغطى عينيه بيده. ولما انتهت قال بصوت هادئ:

- (شكراً جزيلاً يا آنسة).

وظلا صامتين لبضع دقائق. شعرت كاثرين أن كلمات التعزية لم تكن في محلها في هذه اللحظة. وسرعان ما تحدث المليونير ولكن بنبرة مختلفة: - "آنستي، كيف لي أن أعبر لك عن امتناني لك! لقد هدأت كلماتك الرقيقة بالتأكيد من روح روث المسكينة في الساعات الأخيرة من حياتها. اسمحي لي أن أسألك سؤالاً. لقد أخبرك السيد بوارو عن الوغد الذي كانت ابنتي المسكينة مفتونة به، الرجل الذي كانت ستلتقي به. هل يبدو لك أنها غيرت رأيها بعد محادثتكما؟

- بصراحة، لا أستطيع الجزم بذلك. ومع ذلك، فقد بدت هادئة ومطمئنة عندما غادرت مقصورتها.

- ألم تخبرك أين كانت تنوي مقابلة هذا اللص: في باريس أم في هيير؟

- لا، لم تقل شيئاً عن ذلك.

- هذا هو بيت القصيد سيتم التعرف على الجاني في نهاية المطاف، ولكن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً. نهض فان ألدن وفتح باب الغرفة المجاورة، فظهر بوارو وكنايتون مرة أخرى، ودعا المليونير كاثرين إلى الغداء، ولكنها رفضت، ورافقها كنايتون إلى السيارة التي كانت تنتظرها خارج الفندق. وحينما عاد السكريتير وجد بوارو وفان ألدن مستغرقين في الحديث:

- "ليتني أعرف القرار الذي اتخذته روث "!

قال المليونير بتمعن: - "لو كنت أعرف فقط ما هو القرار الذي اتخذته ! ربما كانت تنوي أن تغادر القطار في باريس وتحذرني عن طريق البرق... أو ربما أرادت أن تلحق بالكونت في جنوب فرنسا لتستفسر منه عن الأمر... لا يمكننا أن نكون متأكدين من أي شيء. ومع ذلك، ووفقاً لإفادة الخادمة، فقد فوجئت روث وانزعجت من وصول الكونت غير المتوقع إلى محطة ليون في باريس. وهذا يشير بوضوح إلى أن اللقاء لم يكن مخططاً له. ما رأيك سيد كنايتون ؟

فانتفض السكرتير قائلا:

- "معذرة يا سيد فان ألدن، لم أكن أستمع. ـ لم أكن أستمع ـ

- هل كنت تحلم؟ هذا ليس أسلوبك. لا بد أن هذا الشاب قد أدار رأسك.

- احمر وجه كنايتون خجلاً.

- إنها لطيفة جداً ـ قال فان ألدن فأجابه كنايتون:

- "من الذي يمكن أن يفشل في ملاحظتها؟

الفصل الحادي والعشرون

في التنس

مر زمن ليس بالقليل... وفي صباح أحد الأيام، عادت كاثرين من نزهة لتجد لينوكس في انتظارها، وابتسامة غامضة على شفتيها.

- لقد اتصل بكِ معجب يا كاثرين.

- من تدعينه "معجبي"؟

- شخص جديد... سكرتير روفوس فان ألدن. يبدو أنك تركت انطباعاً ممتازاً لديه. لقد أصبحت محطمة قلوب حقيقية يا كاثرين. أولا ديريك كيترينغ والآن الشاب كنايتون. انا أتذكره تماما أثناء الحرب كان يعالج في المستشفى التي كانت تديرها امى.

- هل كانت إصابته بالغة ؟

- رصاصة في ساقه، ان كنت أتذكر جيدا. كان سيئ الحظ، الأطباء أكدوا له أنه لن يشرب الخمر، ولكن عندما خرج كان يجر ساقه بشكل فظيع. السيدة تامبلين جاءت لتنضم للفتاتين.

- لينوكس، هل أخبرت كاثرين عن الرائد كنايتون؟ يا له من فتى ساحر! لم أتذكره جيدا في البداية...

- لقد رأينا الكثير! قالت لينوكس: لقد كان تافها جدا بالنسبة لك، لتلاحظيه. أما الآن فهو سكرتير المليونير، وهذا تغيير كبير "!

- "هيا يا عزيزتي!" قالت الليدي تامبلين بنبرة عتاب غامضة "!

- "لماذا كان الرائد كنايتون يتصل بي؟ تساءلت كاثرين!

- سألني إن كنت تريدين لعب التنس اليوم، وعرض أن يقلك بسيارته. وقد قبلت أنا وأمي بسهولة نيابة عنك. بينما تتحدثين مع سكرتير السيد فان ألدن سأستغل الفرصة لأتعرف على المليونير، هل تفهمينني يا كاثرين. ربما يكون في الستين من عمره، وسيكون سعيدا ان يجد فتاة صغيرة لطيفة مثلى في الطريق، سأكون سعيدة جدا لرؤية السيد فان ألدن. انه حديث المدينة لقد أصر الرائد كنايتون على أن الدعوة جاءت من السيد فان ألدن". لقد كررها كثيرا لدرجة أنني بدأت أشم رائحة فأر. انت وكنايتون ستكونان ثنائيا رائعا. يا أطفال، أعطيكم مباركتي مقدما! انفجرت كاثرين ضاحكة وصعدت لتغير ملابسها. بعد الغداء بقليل، وصل كنايتون إلى فيلا مارجريت واستقبلته

الليدي تامبلين التي كانت مسرورة لرؤيته مرة أخرى. وفي الطريق، قال كنايتون لكاثرين:

- "السيدة تامبلين لم تتغير على الإطلاق!

- هل تقصد شكلها أم شخصيتها؟

- كلاهما. لابد وانها تجاوزت الأربعين من عمرها ومازالت جميلة بشكل ملحوظ، ووافقته كاثرين على ذلك بالفعل.

- انا سعيد جدا انك وافقت على المجيء للعب التنس اليوم. السيد بوارو سيكون هناك أيضا. انه رجل صغير غير عادي هل تعرفين الكثير عنه يا آنسة "غراي"؟

- لقد تقابلنا لأول مرة في القطار القادم الى هنا. كنت أقرأ قصة بوليسية وتظاهرت أن مثل هذه المآسي لا تحدث في الحياة الواقعية بطبيعة الحال، لم أكن أعرف مع من كنت أتعامل.

- إنه محقق ذكي للغاية. لديه موهبة رؤية التحقيق حتى النهاية دون أن يخمن أحد نواياه. أتذكر عندما كنت في يوركشاير، اختفت مجوهرات السيدة كلانرافون. في البداية كان يُعتقد أنها سرقة بسيطة، لكن الشرطة المحلية لم

تتمكن من القبض على المجرم. لقد اقترحت على السلطات استدعاء هيركيول بوارو، ولكنهم وضعوا كل ثقتهم في اسكوتلاند يارد، ماذا حدث ؟

- لم يتم العثور على المجوهرات.

- إذن أنت تثق في السيد بوارو ؟

ـ بالتأكيد ان الكونت دي لاروش صديق، وحتى الآن هو صديقه، ولكنه سيجد سيده في شخص هيركيول بوارو.

- هل تعتقد حقا ان الكونت دي لاروش هو الذى ارتكب هذه الجريمة ؟ - بالطبع وأنت ؟

- وكذلك انا أيضا، ولكن هذه ليست سرقة عادية، قد يكون المجرم سارق قطار عادي، ولكنى اعتقد ان ذنب دي لاروش في قضية السيدة كيترينغ لا شك فيه. ومع ذلك لديه حجة غياب، أوه، حجة غياب!" صرخ كنايتون وابتسامة تضيء ملامحه الشابة.

- آنسة غراي، انت التي تقرئين القصص البوليسية يجب ان تعرفي ان الرجل الذي يملك افضل حجة غياب هو دائما الشخص الأكثر عرضة للشكوك. ـ هل تعتقدين ان الأمر نفسه في الحياة الواقعية؟ ـ

- لم لا؟ إن الخيال مبني على الواقع، وهذه القصة أكثر دهشة"، أجابت كاثرين ربما. على أي حال، لو كنت قد ارتكبت جريمة، ما كنت لأريد أن يكون هيركيول بوارو في أثري.

- ولا أنا أيضاً"، ضحكت كاثرين.

عندما وصلا استقبلهما بوارو. وبما أنه كان يوماً حاراً جداً، فقد كان يرتدي ثياباً بيضاء مع زهرة كاميليا في طية صدره.

- صباح الخير يا آنسة. "أنا أبدو كرجل إنجليزي، أليس كذلك؟"

- أنت جميل هكذا، أجابت كاثرين بوداعة.

- "أنت تسخرين مني يا آنسة ولكن لا يهم. إنّ بابا بوارو دائما لديه الضحكة الأخيرة.

- أين السيد فان ألدن ؟ سأل كنايتون، سيأتي لمقابلتنا لاحقا. في الحقيقة يا صديقي، ان السيد فان ألدن ليس راضيا عنى. هؤلاء الأمريكان لا يعرفون الصبر أو الهدوء ولكي أرضيه يجب ان أطارد المجرمين في كل طريق في نيس وفي رأيي ان هذه فكرة جيدة، لاحظ كنايتون، وقد رد بوارو: "خطأ". في هذا النوع من القصص، لا يكفي أن تعرف كيف تهرب، بل يجب أن يكون لديك أنفاً للأشياء. والتنس مكان ممتاز للملاحظة، لأنك تقابل الكثير من

الناس. ها هو السيد كيترينغ قادم، وبالفعل، كان ديريك متجهاً نحوهم مباشرة. وكان هو وكنايتون يحيي كل منهما الآخر بشيء من البرودة، ولم يكن هناك سوى بوارو الذي حافظ على روح الدعابة والمزاح، وقد حاول أن يمدح الجميع في محاولة تستحق الثناء، فأخذ يوزع عليهم عبارات المديح والثناء:

- "اسمح لي يا سيد كيترينغ أن أهنئك: إنك تتحدث الفرنسية بشكل مثير للإعجاب، ويمكنك أن تتكلمها كما لو كنت من أهلها لو أردت ذلك. وقليل من الإنجليز هم الذين يستطيعون القيام بمثل هذا العمل الفذ، وأتمنى لو أستطيع أن أفعل مثل ذلك ولكني أدرك أن نطقي للفرنسية معيب تماماً. ثم وصلا إلى مقعديهما وجلسا. وعلى الفور تقريباً، رأى كنايتون رئيسه يلوح له من الطرف الآخر من القاعة. قال بوارو وهو يراقب السكرتير وهو يبتعد:

- "أعتقد أنه شاب محترم جداً". وأنتِ يا آنسة؟

- إنه يعجبني كثيراً، وأنت يا سيد كيترينغ؟ كان هناك رد حاد على وشك أن يخرج من شفتي ديريك ولكن شيئاً ما في النظرة الخبيثة في عيني البلجيكي الصغير جعله في حالة تأهب. فاختار كلماته بعناية وأجاب: - "كنايتون فتى طيب، لقد ظنت كاثرين أن بوارو قد خاب أمله فيك، إنه معجب بك يا سيد بوارو"، ثم أخبرته بما قاله لها كنايتون أثناء الرحلة بالسيارة. لقد كانت

مستمتعة جداً عندما رأت الرجل الصغير وهو يرفع نفسه وينفخ صدره وهو يتظاهر بتواضع زائف لا يمكن أن يخدع أحداً:

- "هذا يذكرني يا آنسة بأن لدي كلمة أريد أن أقولها لك. عندما كنتِ تتحدثين مع هذه السيدة المسكينة في مقصورتها، أسقطتِ علبة سجائرك، بدت كاثرين مندهشة. " فأجابته: "لا أعتقد ذلك. " فأخرج بوارو من جيبه علبة سجائر زرقاء من الجلد مكتوب عليها الحرف الأول من اسمها "ك" بالذهب.

- لا، هذا الشيء لا يخصني.

- أوه، اعتذاري. لابد أنها تخص السيدة. بالطبع، حرف "ك" يرمز إلى كيترينغ. ولكن كان لديها حقيبة أخرى في حقيبتها وهذا ما خدعنا. هل تعلم ان كانت هذه الحقيبة تخص زوجتك ؟ وقد فوجئ ديريك، وتمتم: - انا... لا اعلم ـ من المحتمل نعم ـ لا، لو كانت ملكي لما وجدتها في منزل زوجتي.

وبدا بوارو صريحا أكثر من أي وقت مضى، فقد قال بسذاجة:

- "لقد ظننت أنك أسقطته بينما كنت في مقصورة السيدة كيترينغ"، وأوضح ديريك بسذاجة أيضا:

- "لم أدخل هناك. لقد أخبرت البوليس مئات المرات، وألف اعتذار.

- لقد رأيتك يا آنسة غراي تدخلين"، قالها بوارو وقد بدا عليه التواضع والحرج، وظنت كاثرين أنها رأت وجه ديريك شاحبا؛ وربما كان ذلك محض خيال، لأنه ضحك وقال لها بصوت طبيعي جدا:

- "انت مخطئة يا آنسة غراي. لقد كنت في المقصورة المجاورة لمقصورة زوجتي... لم يكن لدي أي فكرة. لابد وانك رأيتني وانا ادخل مقصورتي الخاصة، وقد نهض فجأة عندما رأى فان ألدن يصل مع كنايتون. وتمتم:

- "سأتركك الآن". انا لا أريد ان أواجه حماي مقابل العالم، فان ألدن رحب بكاثرين بلباقة، ولكنه لم يخف مزاجه السيئ، هل يهمك التنس يا سيد بوارو ؟ تذمر المليونير، فأجابه بوارو، نعم، انا احب مشاهدة اللاعبين، من الجيد انك تعيش في فرنسا. في الولايات المتحدة، كنت سأخبرك أن العمل يأتي قبل المتعة. وبدلاً من أن يغضب، ابتسم بوارو في وجه الأمريكي سريع الغضب قائلاً:

- "أرجوك لا تغضب يا سيد فان ألدن. لكل شخص طريقته الخاصة في العمل. أما بالنسبة لي، فقد فضلت دائماً الجمع بين العمل والمتعة. نظر بوارو إلى كنايتون وكاثرين ولاحظ بارتياح أن الشابين كانا مستغرقين في حديثهما. ثم التفت بوارو إلى المليونير وقال بصوت منخفض:

- "أنا لست هنا من أجل المتعة فقط يا سيد فان ألدن. هل ترى، أمامنا، ذلك الرجل العجوز الطويل ذو البشرة الصفراء واللحية الموقرة؟

- نعم.

- حسناً

- هذا هو السيد بابوبولوس.

- يوناني؟

- يوناني... بالضبط، وتاجر مشهور في التحف. لديه متجر في باريس، ولكن الشرطة تشتبه في أن له مهنة أخرى:

- وما هي؟

- إنه تاجر في البضائع المسروقة، ولا سيما المجوهرات. إنه يعرف كل شيء عن قطع وترصيع الأحجار الكريمة. سيحولك إلى جوهرة في لمح البصر. وهو يتردد على الرؤساء المتوجين وله علاقات مع أحط العوالم السفلية. راقب فان ألدن بوارو بفضول: (ماذا إذن؟) ثم قال:

- (أنا هيركيول بوارو) وضرب المحقق الصغير على صدره في أسى ثم قال: (لماذا ظهر السيد بابوبولوس فجأة في نيس؟)

و إذا كان فان ألدن قد شك للحظة في كفاءة بوارو الذي اعتبره من الحمقى، فإنه سرعان ما غيّر رأيه:

- "أرجو أن تقبل اعتذاري يا سيد بوارو"، قالها وهو ينظر في عينيه مباشرة، فأشار بوارو بيده بإشارة عريضة:

- "لا يهم. اسمعني يا سيد فان ألدن. لديّ شيء جديد أريد أن أخبرك به. كان المليونير مهتماً جداً، ورمقه بنظرة مريبة. كما تعلم يا سيد فان ألدن فإن الكونت دي لا روش كان تحت المراقبة منذ أن استجوبه قاضي التحقيق. في اليوم التالي، بينما كان غائبا، قام البوليس بتفتيش فيلا مارينا.

- أراهن أنهم لم يجدوا شيئا ؟

انحنى بوارو: - أشيد بفطنتك يا سيد فان ألدن. كما هو متوقع، لم تعثر الشرطة على أي شيء مريب. الكونت دي لا روش لم يولد البارحة. هذا الرجل الداهية لديه خبرة كبيرة.

- جيد إذا كان الكونت لديه شيء يخفيه، أين سيخفيه؟

- ليس في منزله، فقد تم تفتيشه من أعلاه إلى أسفله؛ ولا في شخصه: فهو يعلم أنه يمكن أن يُقبض عليه في أي لحظة. الشيء الوحيد المتبقي هو سيارته. في ذلك اليوم، تبعه ضباط الشرطة حتى مونتي كارلو. ومن هناك

سلك الطريق إلى منتون. قاد سيارته الصغيرة والقوية للغاية بنفسه، وتجاوز مطارديه. ولمدة ربع ساعة فقدوا رؤيته تماماً.

- وخلال هذا الوقت هل تعتقد أنه أخفي شيئاً على جانب الطريق؟ تساءل فان ألدن:

- ليس على جانب الطريق! اقترحت على السيد كاريج أن يضع شخصا يعرف الكونت دي لا روش عن كثب في جميع مكاتب البريد في المنطقة. وافق قاضي التحقيق على فكرتي. في الواقع، إن أفضل طريقة لإخفاء شيء ما مؤقتا هو أن يعهد به إلى مكتب البريد.

- حسنا؟ - حسنا... هنا !

بحركة مسرحية، سحب بوارو من جيبه طردا ملفوفا بورق بني اللون مع إزالة الخيط.

- في الربع ساعة المذكور، أرسل رجلنا المحترم، السيد الكونت هذا الطرد الصغير.

- إلى أي عنوان؟

أومأ بوارو برأسه.

- لسوء الحظ، الوصف لا يخبرنا بالكثير. إنه أحد تلك المكاتب مثل الكثير من المكاتب الموجودة في باريس، حيث يتم الاحتفاظ برسائلك وطرودك مقابل أجر زهيد حتى تأتي لاستلامها.

- ماذا يوجد في الطرد؟ سأل السيد فان ألدن وهو يغلي من نفاذ الصبر، ففك بوارو الغلاف واكتشف صندوقاً كرتونياً مربعاً. نظر حوله:

- لقد حان الوقت المناسب. " كل العيون على اللاعبين. رفع غطاء الصندوق لجزء من الثانية. تعجب المليونير من المفاجأة وتحول وجهه إلى اللون الأبيض كالطباشير، يا إلهي إنها الياقوتة بدا فان ألدن مذهولاً من هول الصدمة، فأعاد بوارو الصندوق إلى جيبه مستمتعاً بانتصاره. وفجأة تعافي المليونير من انفعاله، وانحنى على المحقق الصغير وصافحه حتى تألمت يده. صرخ فان ألدن قائلا:

- "مبروك! السيد بوارو، أنا معجب بك يا سيد بوارو!" قال بوارو بتواضع:

- "على الرحب والسعة". النظام والمنهجية وتوقع كل الاحتمالات الممكنة هذا هو سر المهنة.

- إذن الكونت دي لاروش محبوس الآن ؟

- ليس بعد، أجاب بوارو... ملامح فان ألدن بدت عليها الدهشة الشديدة.

- لماذا ؟ ـ ماذا نحتاج أكثر من ذلك للقبض عليه؟ ـ حجة غياب الكونت لا تزال غير قابلة للتشكيك ـ هذا غباء ـ ربما. ـ لسوء الحظ، علينا أن ندمر حجة غيابه قبل أن نتمكن من القبض عليه.

ـ في هذه الأثناء، سوف يفلت من بين أصابعك.

ـ هز بوارو رأسه بقوة: لا. لا يمكن للكونت أن يضحي بحجة غيابه. الكونت لا يمكنه التضحية بمكانته الاجتماعية يجب أن يبقى في الريفيرا ويدفع ثمن وقاحته. هذا التفسير لم يرضي فان ألدن:

- أنا لا أفهمك...

رفع بوارو يده. قليل من الصبر يا سيدي لدىّ فكرة صغيرة يسخر الناس من أفكار هيركيول بوارو الصغيرة.

- جيد هيا، أخبرني بفكرتك الصغيرة.

توقف بوارو للحظة.

- سآتي لرؤيتك في فندقك غداً صباحاً في الحادية عشرة حتى ذلك الحين، لا تخبر أحداً بشيء.

الفصل الثاني والعشرون

زيارة صباحية

كان السيد بابوبولوس يتناول فطوره مع ابنته زيا عندما طرق الباب. دخل الخادم حاملاً بطاقة في يده. ناولها للسيد بابوبولوس الذي تفحصها ثم رفع حاجبيه وأعطاها لابنته: "هنا!" صرخ السيد بابوبولوس وهو يحك أذنه اليسرى بتمعن.

- هيركيول بوارو! ونظر الأب وابنته إلى بعضهما البعض، فقال السيد بابوبولوس:

- "لقد رأيته بالأمس في التنس.

- ألم يقدم لك خدمة جليلة ذات مرة ؟ تذكرت ابنته.

- هذا صحيح ولكنني سمعت أنه تقاعد ولم يعد ينتمي إلى الشرطة. تبادل السيد بابوبولوس وزيا هذه الأفكار بلغتهما الخاصة. ثم التفت الأب إلى خادم الفندق وقال بالفرنسية:

- أرشد هذا السيد إلى الأعلى، وبعد لحظات دخل هيركيول بوارو وهو يرتدي ملابس أنيقة جداً وفي يده عصاه.

- عزيزي السيد بابوبولوس.

- عزيزي السيد بوارو.

- صباح الخير آنسة زيا.

- انحنى بوارو انحناءة إجلال.

- قال السيد بابوبولوس وهو يصب لنفسه فنجاناً ثانياً من القهوة:

- اعذرنا فنحن نتناول الغداء. إن زيارتك...

- حسناً... مبكراً بعض الشيء، أعترف أنه من الطيش أن أزعج الناس في مثل هذه الساعة المبكرة، ولكن كما ترى، أنا في عجلة من أمري.

- آه! هل ما زلت تعمل؟ سأله السيد بابوبولوس.

- نعم، انا اعمل على قضية خطيرة جدا: قضية مقتل السيدة كيترينغ.

- انتظر... " قال السيد بابوبولوس وهو ينظر ببراءة الى السقف،

- "إنها عن الشخص الذى وجد ميتا في القطار الأزرق، أليس كذلك ؟ لقد قرأت عن ذلك في الصحف، ولكن لم يكن هناك أي شك في وجود جريمة، ومن أجل مصلحة العدالة كان من المفيد إخفاء الحقائق، كان هناك توقف، وسأل تاجر التحف بأدب:

- "كيف يمكنني أن أخدمك؟

- "قال السيد بوارو: "سأدخل مباشرة في صلب الموضوع. " ثم أخرج من جيبه الصندوق الذي كان قد أراه للسيد فان ألدن في مباراة التنس في كان، وفتحه وأخرج منه القلادة ووضعها على الطاولة أمام اليوناني. ثم راقب السيد بوارو الرجل العجوز. فأخذ السيد بابوبولوس الجوهرة وتفحصها بعناية، ولكن لم تتحرك عضلة في وجهه. ثم رفع عينيه ونظر إلى المحقق باستغراب، فقال بوارو:

- هذه الجوهرة رائعة أليس كذلك؟

- نعم، إنها قطعة رائعة أجاب السيد بابوبولوس.

- كم تبلغ قيمة هذه الجوهرة؟ تغيرت تعابير وجه اليوناني:

- هل تريد أن تعرف حقاً؟

- أنت رجل ذكي يا سيد بابوبولوس. لا، لا أريدك أن تجيب على سؤالي. هذه القلادة بالتأكيد لا تساوي خمسمائة ألف دولار، فانفجر بابوبولوس ضاحكا وانضم إليه بوارو. قال بابوبولوس وهو يعيد الجوهرة إلى بوارو: - "إنها قطعة فنية رائعة كما قلت لك سابقا". هل سيكون من الحماقة مني أن أسألك من أين أتت هذه القلادة؟

- لا على الإطلاق. أستطيع أن أقول لصديق قديم مثلك. "إنها تخص الكونت "دي لا روش.

عبس السيد بابوبولوس قائلا: "هنا!

- سيد بابوبولوس، سأضع أوراقي على الطاولة، إن "قلب النار"، الذي تعتبر هذه الجوهرة نسخة منه، قد سرق من السيدة كيترينغ في القطار الأزرق. أولا، دعني أقول لك إنني لا اعمل في العثور على القلادة، هذه مسألة تخص البوليس، وانا لا اعمل لحسابهم، ولكن بالنيابة عن السيد فان ألدن. انا أريد العثور على قاتل السيدة كيترينغ. الجوهرة تهمني فقط بقدر ما يمكن ان تساعدني في اكتشاف القاتل. لقد قال الكلمتين الأخيرتين بتركيز شديد. ثم قال السيد بابوبولوس ووجهه جامد:

- من المحتمل جدا يا سيدى ان الجوهرة قد انتقلت من نيس... ربما انتقلت بالفعل.

- أرجوك اكمل.

- آه! ارتشف السيد بابوبولوس قهوته وبدا اكثر نبلا وذكاءا من أي وقت مضى.

- صديقي القديم السيد بابوبولوس يقيم في نيس في الوقت الحالي. إنه سيساعدني.

- ماذا تقصد؟ سأله تاجر التحف بفتور.

- قلت في نفسي: لا بد أن السيد بابوبولوس في نيس في عمل.

- لا على الإطلاق. لقد جئت من أجل صحتي... بأمر من الكلية.

- قال بوارو دون اقتناع كبير - وقد سعل سعالا أجوف. ولكن دعنا نعود إلى العمل إذا أراد دوق كبير أو أرشيدوق النمسا أو أمير إيطالي أن يتاجر بمجوهرات عائلته، فإلى من يلجأ؟ إلى السيد بابوبولوس الذي اشتهر في جميع أنحاء العالم بكتمانه ومهارته.

"قال الرجل العجوز وهو ينحني: - "أنت تجاملني. " قال بوارو متمتماً - "الكتمان صفة لا تقدر بثمن. " "لقد كوفئ بابتسامة ماكرة أضاءت وجه اليوناني. "

قال المحقق - "أنا أيضاً أعرف كيف أكون كتوماً.

التقت عينا الرجلين، وتكلم بوارو ببطء وهو يزن كل كلمة يقولها:

- "فكرت مرة أخرى: إذا كانت القلادة قد انتقلت من يد إلى يد في نيس، فإن السيد بابوبولوس سيكون قد سمع عنها؛ فهو على علم تام بكل ما يجري

في عالم المجوهرات. " قال اليوناني وهو يتناول قطعة كرواسون: - "لا علاقة للشرطة بالأمر. إنها مسألة شخصية بحتة"، وأضاف السيد بوارو: - "بعض الشائعات تنتشر"، خاطر بابوبولوس دون أن يساوم نفسه كثيرا.

- أي شائعات؟ سأل بوارو:

- "هل من الضروري أن أكررها لك؟

- نعم.

- تذكر يا سيد بابوبولوس منذ سبعة عشر عاما، عهد إليك شخص بارز بحفظ جوهرة اختفت لسبب غير مفهوم. لقد كنت، أجرؤ على قولها، في حالة سيئة. التفتت عيناه إلى الفتاة الصغيرة. كانت قد أبعدت كأسها إلى الوراء، وكانت تضع مرفقيها على الطاولة وذقنها مستنداً على يديها، ولم تكن تفوّت كلمة واحدة. تابع السيد بوارو:

- "في ذلك الوقت، كنت في باريس. لقد أرسلت في طلبي. ووضعتِ مصيرك بين يدي، وأقسمت بأنك ستكون ممتنا لي حتى الموت إذا أعدت لك الجوهرة المفقودة. حسناً، لقد استعدتها بفضلي.

- لقد كانت أكثر اللحظات إيلاماً في حياتي المهنية"، تنهد اليوناني.

- سبعة عشر عاماً وقت طويل! ومع ذلك، أعتقد أنني محق في قولي أن من هم من عرقك يتمتعون بذاكرة جيدة،

- هل تتحدث إلى يوناني؟ سأل السيد بابوبولوس بابتسامة ساخرة.

- لا، أنا لا أتحدث إلى يوناني.

فاعتدل الرجل العجوز في اعتداله، وهو ممتلئ بالفخر.

- أنت محق يا سيد بوارو، أنا يهودي. وكما قلت للتو، فإن من هم من جنسنا لديهم ذاكرة أمينة.

- إذن هل يمكنني الاعتماد على مساعدتك؟

- فيما يتعلق بالجوهرة لا أستطيع أن أعدك بشيء. الرجل العجوز، مثل بوارو، اختار كلماته بعناية. أنا لا أعرف شيئا ولم أسمع شيئا.

- ومع ذلك، يمكنني أن أعطيك نصيحة جيدة وسبيلا صحيحا للبحث... إذا كنت مهتماً بالسباق.

- قال بوارو وهو ينظر بثبات إلى محاوره: "كل هذا يعتمد على الظروف".

- "في لونغشامب" في هذه اللحظة، هناك حصان يستحق الاهتمام. ولكن من المستحيل التأكد من أي شيء؛ فهذه المعلومات تمر عبر العديد من الأفواه، هل تفهم؟

توقف تاجر التحف الأثرية مؤقتاً، وهو يتفحص وجه بوارو ليتأكد من أن المحقق قد فهم المعنى الخفي لكلماته.

- تماماً، أجاب بوارو، استند السيد بابوبولوس إلى الوراء في كرسيه ووضع أطراف أصابعه معاً.

- هذا الحصان يدعى ماركيز. أعتقد أنه حصان إنجليزي، وأنت يا زيا ما رأيك؟

- أعتقد ذلك أيضاً.

فوقف بوارو، شكراً لك يا سيدي. لا يوجد شيء مثل ما يسميه الإنجليز "إكرامية من الإسطبل" - إلى اللقاء يا سيدي، وشكراً لك ألف مرة! التفت إلى الفتاة الصغيرة:

- إلى اللقاء آنسة زيا. يبدو لي أننا التقينا آخر مرة في باريس بالأمس. ولو نظرت إليك لأقسمت أن ذلك كان منذ سنتين على الأكثر، فشتان ما بين السادسة عشرة والثالثة والثلاثين. " تنهدت زيا قائلة:

- ليس في حالتك أنت، فقال بوارو وهو مليء بالشهامة:

- "لا يا آنسة زيا. "

فأجابته: - "لا. " ثم بالطبع، سنتحدث عن ذلك مرة أخرى. في هذه اللحظة، أنا ذاهب! وجد بوارو نفسه في الشارع، وكله سعادة. دخل إلى أول مكتب بريد رآه وأرسل برقية. استغرق منه الأمر بعض الوقت لكتابتها لأنه استخدم شفرة خاصة وكان عليه أن يستخدم ذاكرته. كانت البرقية تتعلق باختفاء دبوس ربطة عنق وكانت موجهة إلى المفتش جاب من سكوتلاند يارد، وبمجرد فك شفرتها، بدا المضمون دقيقاً في دقته: "أبلغني بما تعرفه عن رجل يحمل لقب "ماركيز".

الفصل الثالث والعشرون

نظرية جديدة

في تمام الساعة الحادية عشرة بالضبط، وصل بوارو إلى منزل فان ألدن وكان المليونير بمفرده في شقته. قال وهو ينهض لاستقبال المحقق: - "أنت دقيق في مواعيدك يا سيد بوارو".

- "أنا أراعي الدقة الشديدة. بدون نظام أو طريقة... توقف مؤقتا. من المحتمل أنني أخبرتك بهذه الأشياء من قبل.

- دعنا ندخل في صلب الموضوع، فكرتك الصغيرة؟

- نعم، إنها فكرتي الصغيرة"، كرر بوارو ضاحكاً. أولاً يا سيدي، أود استجواب الخادمة آدا ماسون مرة أخرى، هل هي هنا؟

- نعم سأرسل في طلبها، جيد. لقد راقب فان ألدن المحقق الصغير بفضول قرع الجرس وأرسل الخادم ليبحث عن ماسون واستقبلها بوارو بأدبه المعهود، والذي كان له دائما تأثيره على مدبرة المنزل.

- صباح الخير يا آنسة تفضلي بالجلوس إذا سمح لكِ السيد.

- تفضلي بالجلوس يا ماسون. " قال فان ألدن.

- "شكراً لك يا سيدي. " جلست ماسون ذات اليد اليسرى على حافة الكرسي. "

- "لقد بدت أكثر عظاماً وجفافاً من المعتاد. " قال لها بوارو: "سأطرح عليكِ بعض الأسئلة. يجب أن نصل إلى حقيقة هذه القضية. دائماً ما أعود إلى الرجل الذي كان على متن القطار. لقد عرض عليك الكونت دي لا روش. يبدو لك انه قد يكون هذا الرجل، ولكنك لست متأكدة.

- كما قلت لك يا سيدى، انا لم أر وجهه. لذا من الصعب علي أن أتعرف عليه. كان بوارو مسرورا، بالضبط أنا أتفهم الصعوبة يا آنستي يبدو لى انك كنت في خدمة السيدة كاترينج لمدة شهرين. كم مرة رأيت سيدك خلال هذه المدة ؟

- فقط مرتين يا سيدى.

- من بعيد او قريب ؟

- مرة واحدة يا سيدى، لقد جاء الى شارع كورزون. كنت في الطابق العلوي: انحنيت على الدرابزين بينما كان يعبر الصالة. كنت متشوقة لرؤيته، وأنا أعرف كيف تسير الأمور، وأنهت ماسون بسعال هادئ.

- والمرة الأخرى؟

- كنت أتمشى في الحديقة يا سيدي مع آني إحدى الخادمات الأخريات، وقد أرتني سيدتنا بصحبة سيدة غريبة.

- حسناً يا ماسون. ذلك الرجل الذي دخل إلى مقصورة سيدتك في محطة ليون، هل كان ذلك سيدك ؟

- لا أظن ذلك يا سيدي لست متأكدة ؟ حسنا، لم أعر الأمر اهتماما كبيرا يا سيدي بدأت ماسون مرتبكة تماما من هذا الاستجواب.

- سيدك كان مسافرا على نفس القطار كما تعلمين.

- ولكن الرجل الذي كان يتحدث مع سيدتي لابد أنه جاء من الخارج. كان يرتدي ملابس الشارع، ويرتدي معطفاً وقبعة مرنة.

- حسناً يا آنسة، ولكن فكري للحظة توقف القطار في محطة ليون. العديد من الركاب كانوا يتجولون على الرصيف. ـ كانت سيدتك تفكر في أن تفعل نفس الشيء وترتدي معطفها الفرو.

ـ نعم يا سيدي.

- في هذه اللحظة، ارتدى سيدك معطفه وقبعته، فعلى الرغم من دفء القطار، إلا أن الجو بارد في المحطة. ومشى السيد كيترينغ جيئة وذهاباً أمام العربة ونظر إلى النوافذ المضاءة، وفجأة رأى زوجته. وكان حتى ذلك الحين لا يدري

بوجودها في القطار، فركب القطار بطبيعة الحال وتوجه إلى مقصورة سيدتك. وعند رؤيتها له أطلقت صرخة من الدهشة وأغلقت الباب الموصل، إذ لا بد أن حديثهما كان ذا طبيعة حميمية إلى حد ما، فاستند بوارو إلى الوراء على كرسيه وراقب تأثير كلماته. انتظر بصبر، فالناس من طبقة ماسون لا يحبون أن يستعجلهم أحد وعليك أن تمنحهم الوقت للتخلص من أفكارهم المسبقة. وبعد ثلاث دقائق تكلمت أخيرًا:

- "حسنًا يا سيدي، ربما هكذا حدث الأمر. لم أفكر في ذلك في البداية. إن سيدنا طويل القامة وبنفس طول هذا الرجل تقريباً. عندما رأيت معطفه وقبعته ظننت أن الرجل جاء من الخارج. نعم، من الممكن أن يكون سيدنا، ولكنني لن أدلي بأي تصريحات.

- شكراً لكِ يا آنسة يمكنك المغادرة الآن تفصيل صغير آخر لقد أخرج من جيبه علبة السجائر التي سبق أن أظهرها لكاثرين. هل هذا الشيء يخص سيّدتك ؟ لا يا سيدى... على الأقل...

- على الأقل ؟ قال بوارو مشجعا.

- سيدى، لست متأكدة، ولكن يبدو لى أنها تشبه العلبة التي اشترتها سيّدتي لزوجها آه ! - لا أعرف ان كانت قد أعطتها له.

- حسنا يا آنسة، هذا كل ما أريد معرفته، وداعا يا آنسة.

انسحبت ماسون بحذر، وأغلقت الباب بهدوء خلفها، ونظر بوارو بابتسامة على شفتيه الى فان ألدن وهو مذعور، هل تعتقد... انك تشك في ديريك ؟ سأل المليونير رغم ان لديك دليل على ذنب الكونت:

- انت تعلم انه سرق الجوهرة ألم تخبرني... ؟

- ماذا ؟ قصة قلادة روث ؟

ـ حتى انك أريتها لى.

ـ لا لم أفعل، نظر فان ألدن في وجهه مباشرة.

ـ هل تقول أنك لم ترنى إياها.

ـ لا

ـ هل أنت مجنون أم أنا مجنون؟

ـ لا أحد منا مجنون ـ أنت تسألني سؤالاً وأنا أجيب عليه. هل تسألني ان كنت قد أريتك قلادة السيدة كيترينغ ؟ أؤكد لك إنني لم افعل إنها مجرد تقليد مثالي لهذه الجوهرة، ولا يمكن الا لخبير ان يتعرف عليها.

الفصل الرابع والعشرون
بوارو يدلي برأيه

صُعق المليونير من إيحاءات بوارو واستغرقه الأمر بضع لحظات ليستعيد عافيته. هذا يغير الوضع، لاحظ المحقق. تقليد! سيد بوارو، أنا أدرك أنك رفضت منذ البداية أن تنسب جريمة قتل ابنتي إلى الكونت رغم بعض الشكوك التي كانت تراودني في البداية لم أكن أتصور أن الكونت ارتكب جريمة قتل. ولكنك تعتقد أنه كان يفكر في سرقة القلادة؟ بالتأكيد ليس هناك شك في ذلك، اسمع، سأشرح لك الأمور كما أفهمها. إن الكونت كان يعلم ان السيدة كيترينغ لديها الياقوتة، وقد خطط لكل شيء. لقد اخبرها انه كان يؤلف كتابا عن المجوهرات ليغريها بأن تريه "قلب النار". ثم حصل على نسخة طبق الأصل من القلادة الشهيرة بقصد استبدالها بالقلادة التي كانت ترتديها ابنتك. ولم تكن السيدة كيترينغ، وهي ليست خبيرة في المجوهرات بأي حال من الأحوال، لتلاحظ السرقة إلا بعد ذلك بوقت طويل... وعندئذ لم تكن لترفع دعوى قضائية. وكان الكونت قد حصل على رسائل كثيرة منها و... لقد كانت خدعة ذكية، ولابد أن الرجل النبيل قد استخدمها أكثر من مرة

يبدو لي الأمر كله واضح جدا بالنسبة لي في الواقع ويستحق الكونت دي لا روش تماما أخبرني يا سيد بوارو ماذا حدث؟ هز بوارو كتفيه. الأمر بسيط جدا لقد سبق أحدهم الكونت إلى ذلك، ساد صمت طويل، وبدا أن فان ألدن كان يراجع الحقائق في رأسه، ثم سأل بصراحة:

- "منذ متى وأنت تشك في صهري؟

- منذ البداية تقريباً، كان لديه دافع قوي والفرصة كانت سانحة. لقد ظن الجميع، بمن فيهم أنا، في البداية أن الرجل الذي دخل مقصورة السيدة كيترينغ في باريس هو الكونت دي لا روش. وانا اعتقد هذا أيضا. ومع ذلك فقد سمعتك تقول فيما بعد انك أخطأت مرة في أن الكونت هو زوج ابنتك: واستنتجت من ذلك أنهما كانا بنفس الطول والبنية وكلاهما كان شعرهما بني اللون. وبما أن الخادمة لم تكن في خدمة ابنتك إلا لفترة قصيرة، فلا يمكن أن تكون قد عرفت السيد كيترينغ جيداً، لأنه لم يكن يعيش مع زوجته، والأكثر من ذلك أن الرجل كان حريصاً على أن يدير رأسه بعيداً.

- هل تتهمه بقتلها؟ سأل فان ألدن بصوت أجش: هل تتهمه بقتلها؟ فرفع بوارو يده.

- لا، لم أقل ذلك... ولكن هذا ممكن... ممكن جداً. كان قد نفذ منه المال وكان على وشك الإفلاس. لماذا أخذ حقيبة المجوهرات؟ ليجعلها تبدو كجريمة عادية ارتكبها لصوص القطار.

- إذا كانت فرضيتك صحيحة، فماذا فعل بالياقوت؟

- ما زال علينا معرفة ذلك. انا اعرف رجلا في نيس يمكنه مساعدتنا، الرجل الذى أريتك إياه في التنس.

وقف بوارو وتبعه فان ألدن ووضع يده على كتف المحقق الصغير وقال بصوت انفعالي:

- "اعثر لي على قاتل روث، هذا كل ما أطلبه منك.

اعتدل بوارو في مكانه بكل فخر واعتزاز:

- "دع هيركيول بوارو يتصرف ولا تخف. سأكتشف الحقيقة.

وبنقرة من معصمه أزال ذرة غبار من قبعته. ثم ابتسم ابتسامة مشجعة للمليونير وغادر الغرفة. غير أنه عندما هبط درج الفندق، تخلى عن ثقته الجميلة بنفسه وهو يهبط سلم الفندق، وقال لنفسه: (هذا كله جيد جداً، ولكن هناك مجموعة من العقبات في طريقي). وبينما كان يغادر الفندق ظل مشدوهاً. كانت سيارة متوقفة أمام الباب. وبعد دقيقة، انطلقت السيارة ووقف

ديريك كيترينغ على الرصيف يراقبها وهي تبتعد وعلى وجهه تعبير غريب. وفجأة هز كتفيه وتنهد تنهيدة عميقة واستدار ليجد نفسه وجهاً لوجه مع هيركيول بوارو. قفز لا إرادياً. حدق الرجلان في بعضهما البعض. كان بوارو هادئاً جداً وديريك في هدوء شديد مع بعض عدم الثقة. ثم رفع حاجبيه وقال للمحقق بصوت ساخر بعض الشيء:

- (أليست لطيفة؟)

- نعم أجدها لطيفة جداً، لا تقابل الكثير من أمثالها. أجاب بوارو بهدوء وكأنه يتحدث إلى نفسه، أومأ برأسه ثم انحنى نحو الشاب وقال بنبرة جادة وحادة لم يألفها ديريك كيترينغ بعد:

- سيدي، أعذر رجلاً عجوزاً إذا بدت كلماته طائشة. أود فقط أن أقتبس من أحد الأمثال الإنجليزية التي أقولها لمصلحتك:

- (قبل أن تلزم نفسك بحب جديد، تخلص من القديم) فسأل كيترينغ غاضباً:

- (ماذا تعني بحق السماء؟)، (هل أنت غاضب مني؟ فعلق بوارو بهدوء: - "لست مندهشاً". لو انك لم تفهم معنى كلامي، فابتعد يا سيدى. سترى عربة ثانية فيها سيدة أخرى. التفت ديريك إلى الوراء وقد اسود وجهه: -

"ميرال، فلتذهب تلك الآفة إلى الجحيم! أوقف بوارو ما كان يفعله، هيا، اهدأ، ولكن ديريك لم يكن في مزاج يسمح له بسماع النصيحة في ذلك اليوم.

- نعم، ولكن هل انفصلت عنك ؟

أطلق ديريك ضحكة مريرة:

- تلك المرأة لن تنفصل طواعية عن رجل يملك مليونين. إنها سوف تعطيه وقتا عصيبا.

رفع بوارو حاجبيه. - انت متهكم في الحكم على الشخصيات أليس كذلك؟

- لقد عشت طويلاً في هذا العالم بما فيه الكفاية لأعرف أن كل النساء متشابهات.

وفجأة خفتت تعابير وجهه:

- كلهن ما عدا واحدة، وتحدى بوارو بنظراته، وتردد للحظة، ثم بهزة من رأسه أشار إلى اتجاه الكابتن مارتن، وأضاف:

- "تلك المرأة" آه، إن عدم اكتراث بوارو الهادئ كان محسوباً جيداً لإثارة أعصاب ديريك الملتهبة.

- لا شك أنك ستقول لي أنه بالنظر إلى نوع حياتي فأنا لا أستحقها.

- أعلم أنه لا ينبغي لي أن أقول ذلك في حين أن زوجتي قد قُتلت للتو.
توقف لالتقاط أنفاسه، فانتهز بوارو الفرصة ليقول بصوت حزين: - "ولكنني لم أتهمك بشيء بعد، أليس كذلك؟ سيأتي ذلك قريباً.

- ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ إذا قلت لك أنني أنوي الزواج من كاثرين، هل ستدعوني أحمقاً؟

أجاب بوارو: - "لا على الإطلاق". سمعتك السيئة لا يجب أن تبعد النساء عنك، على الأقل ليس في المقام الأول.

- العكس. آه، لو كنت رجلاً نزيهاً، ذا أخلاق صارمة، تتبع دائماً الطريق الصحيح ولا تسمح لنفسك بأي هفوة أبداً، فنعم، كنت سأشك في نجاحك. لا يوجد شيء رومانسي في الصفات الأخلاقية، والأرامل فقط هن اللاتي يعرفن كيف يقدرن هذه الصفات الأخلاقية.

نظر إليه ديريك كيترينغ في ذهول، ثم استدار وسار نحو السيارة التي كانت لا تزال متوقفة، ورأى بوارو وجهاً جميلاً يميل من الباب، ولكن ديريك كيترينغ لم يتوقف. بل رفع قبعته وواصل طريقه. قال هيركيول بوارو: "هذا كل شيء!". لقد حان وقت عودتي للمنزل، فوجد جورج الوقور وهو يكوي بنطلونه، يا له من يوم جميل يا جورج! متعب قليلا، ولكنه كان مثمرا جدا

بالنسبة لي، وقد استقبل جورج هذه الملاحظات ببلغمه المعتاد جيد جدا يا سيدي، إن شخصية المجرم تكون أحيانا مثيرة جدا للدراسة. لطالما سمعت عن وداعة الدكتور كريب، ومع ذلك فقد قطع زوجته إلى قطع صغيرة. أنت دائماً ما تحسن اختيار أمثلتك يا جورج. ولم يرد الخادم بأي رد. ثم رنّ جرس التليفون والتقط بوارو السماعة مرحبا !

- مرحبا... نعم، انا هيركيول بوارو،

- انا كنايتون هلا انتظرت على الخط للحظة يا سيد بوارو ؟ السيد فان ألدن يرغب في التحدث اليك.. كان هناك لحظة صمت، ثم جاء صوت المليونير:

- هل هذا انت يا سيد بوارو ؟ كنت أريد ان أخبرك ان ماسون جاءت لرؤيتي من تلقاء نفسها بعد التأمل، إنها شبه متأكدة ان الرجل الذى تحدث الى ابنتي في باريس هو ديريك كيترينغ. في ذلك الوقت لم تتعرف على شكله، ولكنها الآن لم تعد لديها شكوك تقريبا.

- آه، شكرا لك يا سيد فان ألدن! نحن نتحرك نحو الضوء، فأغلق السماعة ووقف هناك لدقيقة أو دقيقتين وهو يبتسم، واضطر جورج أن يسأله نفس السؤال مرتين قبل أن يحصل على جواب: - (آه؟ ما الذي تسألني عنه.

هل سيتناول السيد الغداء هنا أم سيخرج، فأجابه بوارو: - "لا هذا ولا ذاك. أنا ذاهب إلى الفراش وسأتناول كوباً من شاي الأعشاب... إن تنبؤاتي تتحقق وهذا ما يزعجني دائماً قليلاً.

الفصل الخامس والعشرون

حذر

- عندما مر ديريك كيترينغ بالسيارة انحنت ميرال إلى الباب:

- (ديريك، أريد أن أتحدث إليك) فرفع الشاب قبعته وواصل طريقه، وعندما وصل إلى الفندق ناداه البواب:

- هناك رجل محترم في انتظارك.

- ما اسمه؟

- لم يقل يا سيدي، ولكن يبدو أن الغرض من زيارته مهم جداً لدرجة أنه لا بد أن يتحدث إليك.

- أين هذا الرجل المحترم؟

- في الصالة الصغيرة. لم يشأ أن يبقى في الصالة وطلب مني أن آخذه إلى مكان يستطيع أن يتحدث إليك فيه على راحته، فأومأ ديريك برأسه واستدار على عقبيه، ولم يكن في الصالة أحد غير الزائر الذي نهض وانحنى برشاقة عند دخول ديريك. ولم يكن كيترينغ قد رأى الكونت لاروش إلا مرة واحدة، ولكنه تعرف على الرجل الموقر دون صعوبة وعبس بغضب.

- أنت الكونت لا روش، أليس كذلك؟ أنا أحذرك أنك تضيع وقتك.

- لا أعتقد ذلك"، أجابه الكونت بصوت لطيف كاشفاً عن أسنانه البيضاء. لم يكن لأسلوب الكونت الساحر عموماً أي تأثير على الرجال الآخرين، فجميعهم بلا استثناء كانوا يكرهونه كرهاً شديداً، وكان ديريك كيترينغ يتحرق شوقاً للإمساك به من كتفيه وطرده من الفندق. فقط الخوف من الفضيحة كان يمنعه من ذلك. لم يستطع ان يفهم كيف وقعت روث في حب رجل كهذا.

- لقد جئت لمقابلتك في مسألة صغيرة وأنصحك، حرصاً على مصلحتك، أن تستمع إليّ بعناية. ومرة أخرى شعر ديريك بالحكة التي تدفعه إلى طرد هذه الشخصية من الباب، ولكنه امتنع عن ذلك. فقد استشعر تهديداً في صوت الكونت، ولكنه فسره بطريقته الخاصة. ولأسباب كثيرة وجيهة كان عليه أن يستمع إلى زائره، فجلس ديريك وضرب على الطاولة:

- "حسناً! ماذا لديك لتقول لي؟ لم يكن من عادة الكونت أن يدخل في صلب الموضوع مباشرة، اسمح لي يا سيدي أن أقدم لك التعازي على الفجيعة التي أصابتك للتو، فلتكن وقاحة أخرى وسأرميك من هذه النافذة.

والتفت إلى النافذة بجانب الكونت فبدا الأخير محرجاً فقال بغطرسة:

دي - (سأرسل لك شاهدي يا سيدي إذا كان هذا ما تريده) فضحك ديريك مبارزة؟ عزيزي إيرل، أنا لا آخذك على محمل الجد لأبارزك. ولكني سأكون سعيداً جداً بركل مؤخرتك في "نزهة البريطانيين".

أخفي الكونت استياءه. واكتفي برفع حاجبيه وتذمر قائلاً:

- إن الإنجليز همجيون، فماذا تريد مني؟

- سأكون صريحاً وأخبرك بالغرض من زيارتي دون مزيد من اللغط. سوف نتخلص منهم بسرعة، وابتسم مرة أخرى بلطف، فأمره ديريك بحدة: (تكلم!) ونظر الكونت إلى السقف، ووضع أطراف أصابعه معاً وهمس قائلاً: (لقد ورثت ثروة طائلة يا سيدي، فماذا يعنيك هذا؟، إن سمعتي في خطر شديد، إنني موضع شبهة، بل متهم بجريمة شنيعة، فعلق ديريك في جلادة: (إن هذا الاتهام لا يصدر عني(.

- أنا بريء!" قال الكونت: "أنا بريء!" "أقسم بالله!" ورفع يده إلى السماء، إن لم أكن مخطئاً فإن السيد كاريج هو قاضي التحقيق المسؤول عن القضية" تمتم ديريك كيترينغ بأدب، ولم يكترث الكونت بكلامه.

- ولم يقتصر الأمر على اتهامي زوراً بجريمة لم أرتكبها فحسب، بل إنني أعاني الآن من مشاكل مالية قاسية، فسعل وانتظر رد الرجل الآخر، فقفز

ديريك على قدميه: (لقد توقعت ذلك أيها المبتز لن تحصل مني على فلس واحد، أتسمعني؟ لقد ماتت زوجتي ولا يمكن أن تصل إليها الفضيحة الآن. لا شك أنها كتبت لك بعض الرسائل غير الحكيمة. ولو عرضت عليك أن أشتريها كلها بمبلغ كبير، فأنا متأكد من أنك ستحتفظ ببعضها عندك. دعني أقول لك، سيد دي لا روش، ان الابتزاز كلمة حقيرة في اللغة الإنجليزية كما هي في الفرنسية. ـ هذه هي إجابتي، وداعا ـ لحظة واحدة! ـ لقد مد الإيرل يده ليكبح جماح ديريك الذي كان متجها نحو الباب ـ أنت مخطئ يا سيدي! أنت مخطئ تماماً. فأنا أولاً وقبل كل شيء رجل شهم وأعتبر كل رسالة من امرأة مقدسة.

- لقد أرجع رأسه إلى الوراء في وقار، ولم يستطع ديريك أن يمنع نفسه من الابتسام، وأضاف الإيرل: (إن الاقتراح الذي كنت سأقدمه لك كان ذا طبيعة مختلفة تماماً. كما قلت لك منذ قليل، فأنا أعاني من نقص في المال، وقد يجبرني ضميري على تزويد الشرطة ببعض المعلومات القيمة. عاد ديريك ببطء إلى منتصف الغرفة.

- ماذا تعني بذلك؟ مرة أخرى ازدهرت ابتسامة الكونت لا داعي للخوض في التفاصيل. نقول دائماً في مثل هذه الحالات: اكتشف من المستفيد من الجريمة. لقد حصلت للتو على ثروة طائلة. أومأ الكونت برأسه.

إذن، هل أزعجتني من أجل أن تخبرني بهذا الخبر؟ ختم ديريك كلامه ضاحكاً انتظر يا سيدي العزيز. هل تتصور أنني كنت سآتي لو لم تكن لدي معلومات أكثر دقة؟ يجب أن تعترف يا سيدي أنه ليس من دواعي السرور أن يتم القبض عليك ومحاكمتك بتهمة القتل، فاقترب منه كان الغضب بادياً على وجه ديريك لدرجة أن الكونت تراجع لا إرادياً خطوة إلى الوراء.

- هل هذا تهديد؟ سأل ديريك:

- "لن تسمع المزيد عن هذا الأمر، لم أقابل مخادعاً من مستواك حتى الآن.

- أنت مخطئ" قال الكونت رافعاً يده البيضاء إنها ليست خدعة. ولكي أقنعك سأضيف هذا: لدي كل تفاصيل القضية من امرأة معينة ستقدم، عندما يحين الوقت المناسب، دليلاً دامغاً على إدانتك من هذه المرأة؟

- من هي هذه المرأة؟ الآنسة ميرال. تراجع ديريك إلى الوراء كما لو أنه ضرب بضربة. ميرال! كرر ما قاله، فظن الكونت أنه ربح اللعبة وأسرع إلى استغلال

الموقف، وقال: - مائة ألف فرنك فقط. أكرر، يا سيدي، أن مائة ألف فرنك تافهة ستخفف من تأنيب ضميري. بدا ديريك وكأنه يستجمع نفسه.

- أتتوقع مني أن أعطيك جواباً الآن؟ أرجوك يا سيدي، ها هو ذا اذهب واشنق نفسك في مكان آخر هل تفهم؟ تاركاً الكونت مذهولاً، ترك ديريك الصالون وخرج من الفندق، وبمجرد أن وصل إلى الرصيف أوقف سيارة أجرة أوصلته إلى فندق ميرال وهناك علم أن الراقصة قد عادت للتو. سلم ديريك بطاقته إلى البواب: "من فضلك خذ هذه البطاقة إلى الآنسة واسألها إذا كانت تريد رؤيتي. وبعد انتظار قصير، تبع ديريك خادم الفندق. ضربت موجة من العطور الغريبة أنفه وهو يعبر عتبة غرفة الراقصة. كانت أزهار القرنفل والأوركيد والميموزا واضحة من كل جانب، وكانت ميرال تقف أمام النافذة مرتدية رداء حمام من الدانتيل، فتقدمت نحوه ويدها ممدودة. آه! ديريك، كنت أعلم أنك ستعود إليّ.

فتجمد في مكانه ونظر إلى ميرال بصرامة:

- لماذا أرسلت لي الكونت دي لا روش؟

نظرت إليه بعينين مليئتين بالدهشة التي بدت صادقة:

- أنا؟ لا شك في أنه أرسلني لأغني.

فتحت عينيها على مصراعيها. ثم ابتسمت وأومأت برأسها:

- "بطبيعة الحال. هذا أمر متوقع من رجل كهذا. كان يجب أن أعرف أفضل من ذلك. لا، صدقني يا ديريك. أنا لم أرسله إليك، لقد أدار عينيها بنظرات فاحصة إليها، كما لو كان يحاول أن يخترق أفكارها سأخبرك بكل شيء، مما أثار حيرتي الشديدة. في ذلك اليوم كنت في حالة غضب عارم... (وقامت بحركة مسرحية.) وأنا بطبعي لست صبورة، ولكي أنتقم من انفصالك ذهبت إلى الكونت دي لا روش وطلبت منه أن أذهب إلى قسم الشرطة لأكشف حقيقة كذا وكذا. لكن لا تقلق يا ديريك، لم أكن مجنونة تماما. أنا وحدي لدي الدليل. الشرطة ستكون عاجزة إذا رفضت التحدث. هل تفهم؟ إذاً... تقدمت خطوة نحوه وهي تنظر إليه بعينين مليئتين بالحنان، فدفعها بعيداً بوحشية، وكان صدرها ينفرج، وعيناها نصف مغمضتين، وصرخت:

- (كن حذراً يا ديريك... فكر في الأمر. كلا، لقد انتهى كل شيء بيننا... إلى الأبد! كانت نظرة الراقصة تبدو عليها نظرة القطط الغاضبة وجفونها ترفرف، إذن فأنت تحب امرأة أخرى! تلك التي دعوتها للغداء في ذلك اليوم، أليس كذلك؟

- أنا أنوي الزواج منها.

تلك الفتاة الإنجليزية ذات الشعر السيء؟ وهل تعتقد أنني سأقبل بذلك؟ بالتأكيد لا، اسمعني يا ديريك تذكر محادثتنا في ذلك اليوم في لندن لقد أخبرتني بنفسك أن موت زوجتك هو الوحيد الذي سيخرجك من مأزقك لقد عاتبتها على صحتها المزدهرة. ثم خطرت لك فكرة وقوع حادث، أو شيء أكثر تطرفاً.

ـ هل كان هذا الحديث الذي كررته للكونت دي لا روش بلا شك؟

ـ سأل ديريك في استهزاء.

ـ فانفجرت ميرال ضاحكة:

ـ هل تحسبني حمقاء؟ ماذا ستفعل الشرطة بمثل هذه القصة الغامضة؟ اسمعني جيداً، سأعطيك القشة الأخيرة. اترك تلك المرأة الإنجليزية وعد إليّ. على هذا الشرط، يا عزيزي، لن أنبس ببنت شفة عن...

- عن ماذا؟

ضحكت

- إذن أنت تعتقد أن أحداً لم يرك؟

- ماذا تقصدين بذلك؟

- ببساطة شديدة لقد رأيتك يا عزيزي ديريك. رأيتك تخرج من مقصورة زوجتك قبل توقف القطار في ليون. وانا اعرف اكثر من ذلك أعرف أنك عندما غادرت مقصورتها كانت قد ماتت، فنظر إليها كما لو كان نائماً وتعلو وجهه تعابير الخوف، ثم استدار وترنح خارجاً.

الفصل السادس والعشرون

تحذير

- قال بوارو: "لقد أصبحنا صديقين حميمين لا يخفي أحدهما عن الآخر". أدارت كاثرين رأسها نحوه. كانا جالسين في الحديقة في مونتي كارلو. ولدى وصولهم كانت كاثرين وصديقاتها قد التقين كنايتون وبوارو. وكانت الليدي تامبلين قد استحوذت على الفور على انتباه الرائد كنايتون وكانا يتجاذبان مجموعة من الذكريات المشتركة التي كان معظمها من نسج خياله، وكان الزوجان قد ابتعدا قليلاً عن الآخرين، وكانت الليدي تامبلين تسير ويدها على ذراع الشاب، وكان كنايتون يرمقهما بنظراته من وقت لآخر، وكان بوارو يتألق شقاوة وهو يراقبهما.

- بالطبع نحن صديقان حميمان، هكذا أعلنت كاثرين منذ البداية، لقد كنا منذ البداية صديقين حميمين، نعم عندما أخبرتني أن في الحياة الواقعية تحدث أحياناً أشياء كما في القصص البوليسية ألم أكن محقاً؟ وأكد كلماته بتحدٍ ورفع سبابته في وجه كاثرين ها نحن أولاء قد انغمسنا في مأساة حقيقية. هذا طبيعي بالنسبة لي، بسبب مهنتي، ولكن الأمر ليس كذلك

بالنسبة لكِ. "وأضاف متأملاً: "نعم. ": "قضيتك تختلف عن قضيتي. " نظرت إليه باستغراب، وبدا لها أن بوارو كان يحذرها من خطر غير متوقع.

- لماذا تقول أنني في وسط مأساة؟ صحيح أنني أجريت محادثة مع السيدة كيترينغ قبل مقتلها بفترة وجيزة. ولكن كل هذا انتهى الآن.

- آنسه، آنسه، هل يمكن للمرء ان يقول: لقد انتهيت من هذا أو انتهيت من ذاك ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ لا شك أنك تحاولين أن تجعليني أنظر إلى المسألة من منظور جديد.

- ولكني لا أفهم التلميح بسهولة، فسر ما تقصده بوضوح، فنظر إليها بوارو بحزن: - إنها طريقة إنجليزية بحتة، هذه الطريقة في الرغبة في رؤية كل شيء بوضوح تام. ولكن لا شيء يحدث هكذا في الحياة. فبعض الأحداث تلقي بظلالها أمامها قبل أن تتحقق، فمسح جبينه بمنديله الحريري الكبير وغمغم: "أوه، الآن، هل سأكون شاعراً بأي حال من الأحوال؟ هيا، دعينا نلتزم بالحقائق. اعطني رأيك في الرائد كنايتون:

- انه يعجبني كثيرا. انه لطيف جدا.. تنهد بوارو تنهيدة..

- ما خطبك ؟ سألت كاثرين.

- انت تمدحينه بحماس شديد! لو كنتِ أجبتِ بنبرة منفصلة: "إنه ليس سيئاً"، لكنت راضية أكثر. لم ترد كاثرين. واصل بوارو حالمًا:

- "من يدري، بعد كل شيء؟ النساء لديهن طرق كثيرة لإخفاء انطباعاتهن... وربما كان الحماس حيلة أخرى لا تقل جودة عن أي حيلة أخرى. " بدأت كاثرين في الكلام، فقاطعها:

- "ربما تظنين أنني وقح بعض الشيء يا آنسة؟ أنا بالفعل رجل عجوز، ومن وقت لآخر، ألتقي بأشخاص يثيرون اهتمامي. نحن أصدقاء يا آنسة لقد قلت ذلك بنفسك وها هي أمنيتي: أريدك ان تكوني سعيدة. كاثرين كانت تحدق الى الأمام مباشرة. لقد سألتك سؤالا عن الرائد كنايتون والآن أجيبي على هذا السؤال:

- (هل تحبين السيد ديريك كيترينغ؟)

- أنا بالكاد أعرفه.

هيا، هذه ليست إجابة بالنسبة لي. فنظر إليها وقد أدهشته نبرة صوتها. ثم أومأ برأسه ببطء ووقار: - (ربما أنت على حق يا آنسة. اسمعي، لقد سافرت كثيراً حول العالم ووجدت أنه إذا كان الرجل المخلص يضيع حياته في الوقوع في حب امرأة سيئة، فإن العكس صحيح أيضاً. عندما تقولين عانيت...

- أنا أبدأ من وجهة نظره. "قالت كاثرين وهي تخفض صوتها:

- "أتريد أن تحذرني!

- إنني لا أستطيع قراءة قلبك يا آنستي، ولا شك أنك ستعترضين لو كانت لدي القدرة على ذلك. سأقول لكِ هذا فقط:

- إن بعض الرجال يمارسون سحراً غريباً على النساء.

- أتقصد الكونت دي لا روش؟

قالت كاثرين مبتسمة: - هناك رجال آخرون أخطر من الكونت دي لا روش. لديهم صفات مغرية: التهور والجرأة. أنتِ مفتونة يا آنستي، أرى ذلك، ولكنني آمل ألا يتعدى الأمر ذلك.

أكثر من ذلك. إن هذا الرجل الذي أشير إليه يكن لكِ مشاعر صادقة... ولكن... - ما الأمر؟ نهض وانحنى نحوها وقال بصوت منخفض واضح: - آنستي، لا بأس عليك أن تحبي محتالاً ولكن قاتلاً! استدار بوارو وتركها وحدها. سمع التنهيدة الخفيفة التي أطلقتها وتظاهر بأنه لم يلاحظها. لقد أخبرها بما كان يفكر فيه. والآن كان الأمر متروكاً لها أن تفكر، فخرج ديريك كيترينغ من الكازينو، ورآها جالسة على المقعد، وجاء لينضم إليها. وأعلن

ضاحكاً خفيفاً: "لقد قامرت، وخسرت كل ما كان معي على الأقل. " نظرت إليه كاثرين في حرج.

- أعتقد أنك لطالما أحببت المقامرة، لطالما كانت تجري في دمك.

- وكنت لأبيع آخر قميصي لأرضي هذا الشغف، أليس كذلك؟ أنت محقة بالتأكيد، ألا تفهم المتعة الهائلة التي تحصل عليها من المخاطرة بكل ما تملكه في هذا العالم؟ على الرغم من هدوئها المعتاد وحسها المرهف، لم تستطع كاثرين أن تكتم رعشة صغيرة. " وتابع ديريك:

- "أود أن أتحدث إليك. ومن يدري متى ستسنح لي الفرصة مرة أخرى؟ تقول الشائعات أنني قاتل زوجتي... لا، أرجوك، لا تقاطعيني. بالطبع، هذا الاتهام سخيف. توقف للحظة، ثم تابع بصوت أكثر حزماً:

- في تعاملاتي المختلفة مع الشرطة والسلطات المحلية، اضطررت إلى تبني... دعنا نقول، موقفاً معيناً. لكنني سأكون صريحاً معك. قبل كل شيء، كنت أبحث عن امرأة غنية. كنت أطارد المهور عندما قابلت "روث فان ألدن" لأول مرة. لقد شعرت بخيبة أمل مريرة: فقد كانت زوجتي مغرمة برجل آخر وقت زواجنا. لم يكن لديها أي صداقة بالنسبة لي. أنا لا أشتكي! كان زواجنا اتفاقاً مشرفاً جداً. أرادت زوجتي اللقب وأنا أردت المال. سوء حظنا جاء من

حقيقة أن روث كانت أمريكية. وبدون أن تشعر بأدنى عاطفة تجاهي طلبت مني أن أكون فارسها في درع لامع. وذهبت في عدة مناسبات إلى حد إخباري بأنها اشترتني وأنني ملك لها. ونتيجة لذلك، تصرفت معها بشكل بغيض. سيخبرك والد زوجتي ولن أثبت خطأه. في وقت وفاة روث، كنت مهددًا بخراب كارثي. يمكن للمرء أن يتوقع أسوأ الكوارث عندما يكون روفس فان ألدن خصمًا له.

- ثم سألت كاثرين: "ثم ماذا؟" فهز ديريك كتفيه، ثم قتلت روث بشكل برهاني... على الأقل بالنسبة لي، وانفجر ضاحكاً. ارتجفت كاثرين من الرعب: "لقد صدمتك يا آنسة. لكنني أقول الحقيقة فقط. اسمحي لي أن أدلي باعتراف. منذ اللحظة التي رأيتك فيها، أدركت أنك المرأة الوحيدة في العالم التي كانت تعني لي أي شيء. في البداية... كنت خائفا منك. ظننت أنك ستجلبين لي الحظ السيئ.

- أجلب لك الحظ السيئ؟

- لماذا تجيبين بهذه النبرة؟

- كنت أفكر في بعض الشائعات التي وصلت إلى أذني.

- ستسمعين عني الكثير من القصص يا صديقتي العزيزة والكثير منها سيكون صحيحاً لقد لعبت طوال حياتي لعبة كبيرة. دعينا ننسى الماضي. غير أن هناك نقطة واحدة لا أريدك أن تشكي في شيء منها: إنني أقسم لك أنني لم أقتل زوجتي! لقد بدا صادقاً في كلامه، ولكن كاثرين وجدت في أسلوبه شيئاً من المسرحية.

- أنت ترفضين تصديقي لأنني كذبت عليك في ذلك اليوم. لماذا ذهبت إلى هناك؟ من الصعب الشرح، سأحاول على أي حال. كنت أتجسس على "روث" بشكل أو بآخر وأختبئ منها في القطار. كانت ميرال قد أخبرتني أن زوجتي ستلتحق بالكونت دي لا روش في باريس، وعلى حد علمي لم يكن ذلك صحيحاً. خجلت من نفسي، ففكرت في الذهاب لرؤية زوجتي لأصحح الأمور بشكل نهائي. ففتحت الباب ودخلت فتمهلت قليلاً، قالتها كاثرين بلطف، وكانت روث نائمة مستلقية على السرير ووجهها موجه نحو الحائط، ولم أر منها إلا شعرها. كان بإمكاني إيقاظها. لكن حدث رد فعل مفاجئ في ذهني. ففي النهاية، ما الذي كان علينا أن نقوله لبعضنا البعض ولم نقله مئات المرات؟ بدت نائمة بسلام! غادرتُ المقصورة بهدوء،

- لماذا كذبتُ على الشرطة؟ سألت كاثرين.

- لأنني لستُ مجنوناً تماماً. منذ البداية، أدركت أنني من وجهة نظر الدافع، كنت أنا الجاني الواضح. إذا كنت قد اعترفت بأنني دخلت مقصورة زوجتي قبل الجريمة بقليل، فقد كنت متهماً بالجريمة بشكل واضح، أفهم ذلك، هل فهمت هي حقاً؟ لم تستطع أن تقول، فقد كانت تحت التأثير المغناطيسي لشخصية ديريك، ولكن غريزة سرية أبقتها على حذرها. - كاثرين !

- أنا...

- أنت تعلمين أنني أحبك... هل تحبينني؟

- لا أعرف"، فأجابت بصوت ضعيف، وهي تنظر حولها بيأس وكأنها تنتظر أن يأتي أحد لإنقاذها. واحمرّت وجنتاها عندما رأت رجلاً أشقر طويل القامة يعرج قليلاً قادماً نحوهما وهو الرائد كنايتون، فارتاحت كاثرين للمنظر، وحيّت سكرتير السيد فان ألدن بود غير عادي، فوقف ديريك غاضباً ووجهه مظلم كغيمة مستعدة للانفجار، وقال لها:

- إن السيدة تامبلين في نوبة. "سأعطيها وصفتي لذلك"، ثم استدار ومضى، تاركا كاثرين في مكانها. كان قلبها ينبض بسرعة وبشكل غير منتظم. واستعادت رباطة جأشها وهي تتجاذب أطراف الحديث مع الرجل الخجول الذي جلس بجانبها، وسرعان ما أدركت لدهشتها أن كنايتون كان

يكشف لها أسرار قلبه كما فعل ديريك للتو، ولكنه كان يفعل ذلك بمهارة أقل.

- منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها... أنا... أنا... لا يجب أن أتحدث إليك بهذه السرعة، ولكن السيد فان ألدن قد يغادر البلاد في أي يوم ولن تسنح لي الفرصة مرة أخرى. أعرف أنك لا يمكن أن تكوني مولعة بي... بهذه السرعة. هذا مستحيل، وسيكون من الوقاحة مني أن أصدق ذلك. لدي دخل صغير، أوه، ليس كثيراً... لا، لا تجيبي الآن. أنا أنتظر إجابتك أردت فقط أن أخبرك أني أحبك في حالة ما إذا غادرت بشكل غير متوقع. عندما رأته كاثرين متواضعاً ولطيفاً جداً، شعرت بالتأثر. أردت أن أخبرك بذلك... إذا وجدت نفسك في ورطة... اعتمدي علي. أخذ يدها وأمسكها بيده للحظة، ثم غادر بسرعة إلى الكازينو دون أن يلتفت، وبقيت كاثرين جالسة تراقبه وهو يغادر. ديريك كيترينغ... ريتشارد كنايتون... رجلان مختلفان عن بعضهما البعض؛ كنايتون بدا طيباً ومخلصاً، وديريك... فجأة انتاب كاثرين إحساس غريب بأنها لم تعد تشعر بالوحدة وهي جالسة على المقعد. كان هناك حضور غير مرئى لروث كيترينغ المرأة المقتولة. وأدركت كاثرين أيضاً أن روث كانت تحاول أن تخبرها بشيء ما. لم تستطع السيطرة على انفعالها. كانت تشعر أن

روث كيترينغ كانت تحاول أن تخبرها بشيء في غاية الأهمية. وقفت كاثرين وهي ترتجف قليلاً، ما الذي أرادت روث كيترينغ أن تخبرها

الفصل السابع والعشرون

ميرال

ترك كنايتون كاثرين وذهب ليبحث عن هيركيول بوارو فوجده في إحدى الغرف يخاطر بمبالغ صغيرة جداً في لعبة الروليت، وعندما اقترب منه الرائد أعلن الرقم ثلاثة وثلاثين.

- قال له كنايتون: "حظ سيء". هل ما زلت تلعب؟

- لا"، قال المحقق وهو ينهض على قدميه.

- هل تشعر بسحر القمار يا سيد بوارو؟

- ليس في لعبة الروليت.

فنظر إليه كنايتون بفضول وسأله باحترام:

- هل أخذت الكثير من وقتك يا سيد بوارو؟

- انا تحت تصرفك. هل نخرج؟

كان الجو جميلاً تحت أشعة الشمس، فسارا معاً وتنهد كنايتون قائلاً: - "أنا أحب الريفيرا". منذ اثنى عشر عاما، أثناء الحرب، كنت أعالج هناك في

مستشفى الليدي تامبلين. عندما جئت من فلاندرز ظننت أنني نُقلت إلى الجنة.

- أستطيع أن أفهم ذلك.

- كم تبدو الحرب بعيدة الآن!" تمتم كنايتون بحلم.

مشيا للحظة في صمت، قال بوارو:

- "هناك شيء ما يزعجك يا سيد كنايتون" فاندهش السكرتير الشاب فجأة، اعترف - "أنت محق ولكنى لا اعرف كيف لاحظت ذلك.

- انه واضح جدا، لم اكن اعرف إنني شفاف جدا. "

- مراقبة وجوه الآخرين جزء من عملي"، أوضح المحقق الصغير.

- ها أنت يا سيد بوارو أنت تعرف الراقصة... ميرال ؟

- نعم... صديقة السيد ديريك كيترينغ العزيزة تماما يمكنك بسهولة فهم تحامل السيد فان ألدن على هذه المرأة. لقد كتبت تطلب مقابلة وقد طلب منى الرد بالرفض القاطع، وهذا ما فعلته. وقد جاءت هذا الصباح الى الفندق وأرسلت بطاقتها مدعية أنه من الأهمية بمكان أن تقابل السيد فان ألدن فورا. غضب السيد فان ألدن وأرسلني إلى الطابق السفلي ليطلب منها المغادرة. لم أكن أرى الأمور من نفس الزاوية واعتقدت أن هذه المرأة يمكن أن تزودنا

بمعلومات قيمة. لقد كانت مسافرة على متن نفس القطار وربما تكون قد رأت أو سمعت شيئا، ألا تتفق معي يا سيد بوارو؟ - تماما لقد كان السيد فان ألدن - إذا جاز لي القول - يتصرف بغباء، أنا مسرور من طريقتك في النظر إلى الأمور.

- لقد كنت مدركا لسخافة موقف السيد فان ألدن لدرجة أنني قررت من تلقاء نفسي أن أجري مقابلة شخصية مع هذا الشخص، فماذا في ذلك؟ - لقد أصرت على مقابلة السيد فان ألدن. قمت بتخفيف الرسالة التي أعطاني إياها قدر الإمكان. في الواقع، قدمتها بشكل مختلف تمامًا. أخبرتها أن السيد فان ألدن مشغول للغاية بحيث لا يمكنها مقابلتها، ولكن يمكنها أن تطلب مني أن أوصل له أي اتصال. فرفضت بشدة وانصرفت، سيد بوارو، انا متأكد ان هذه المرأة تعرف الكثير عن قضية كيترينغ.

- هل تعرف أين تسكن ؟ سأل بوارو

- نعم، فأعطاه كنايتون اسم الفندق.

- حسنا، لنذهب الى هناك فورا، فبدا السكرتير مترددا، والسيد فان ألدن؟

- السيد فان ألدن رجل عنيد، قال بوارو. أنا لا أجادل العنيدين وأتصرف دون استشارتهم. دعنا نذهب الى منزل هذه المرأة وسأخبرها أننا جئنا بالنيابة عن

السيد فان ألدن. كان كنايتون لايزال مترددا، ولكن بوارو لم يكترث لذلك، وفي مكتب الفندق قيل لهم أن الآنسة في غرفتها. وأرسل بوارو بطاقته وبطاقة كنايتون مكتوب عليها: من السيد فان ألدن وبعد قليل قيل لهما أن الآنسة في انتظارهما، وعندما دخلا إلى غرفة الراقصة تحدث بوارو على الفور، وقال لها وهو يحييها بخفض صوتها:

- "لقد أرسلنا السيد فان ألدن.

- آه! لماذا لم يأت بنفسه؟

السيد بوارو كذب بوقاحة،

- انه ليس على ما يرام، ولديه التهاب في الحلق، ولكنه منحني والسيد كنايتون كامل الصلاحيات للتصرف نيابة عنه... إلا اذا كانت الآنسة تفضل بالطبع الانتظار أسبوعين"، وأضاف بوارو متأكدا مسبقا أن كلمة "انتظر" البسيطة ستجعل الراقصة تقفز.

- حسنا يا سادة سأتكلم! لقد انتظرت بما فيه الكفاية ومن أجل ماذا؟ ليتم إهانتي ورفضي. !كما لو كنتُ شيئاً يجب التخلص منه. هل يعتقد أنني سأدعه يعاملني هكذا؟ لم يخذلني رجل قط. لطالما كنت أنا التي اكتفيت أولاً. كانت ترتجف من الغضب، وأخذت تمشي في الغرفة جيئة وذهاباً.

اعترضت طريقها طاولة ذات قاعدة فألقتها على الحائط، حيث انقسمت إلى نصفين. هكذا سأعامله... خذ! أمسكت مزهرية زجاجية تحتوي على باقة من الزنابق وألقتها في المدفأة. فتحطمت إلى ألف قطعة، فنظر إليها كنايتون نظرة تأنيب وخجل وعدم ارتياح، أما بوارو فقد كان مستمتعاً بصراحة: - "إنها رائعة! إنكم ترون أن للآنسة مزاجاً متقلباً، فأنا فنان، وكل فنان حقيقي له مزاج، ولم يكترث ديريك لتهديداتي، وفجأة التفتت إلى بوارو:

- هل يفكر حقاً في الزواج من تلك المرأة الإنجليزية؟

- يبدو أنه مغرم بها بجنون، لقد قتل زوجته! هذه هي القشة الأخيرة! لقد أخبرني بنواياه الإجرامية. لقد وجد نفسه في وضع مالي سيئ جدا، فاختار الطريق الأسرع.

- أتقولين أنه قتل زوجته؟ نعم، نعم ونعم !

- أنا أقول لك! الشرطة ستطلب دليلا على... على هذا الاتهام.

- لقد رأيته يغادر مقصورة زوجته في تلك الليلة في القطار الأزرق.

- متى؟

- قبل توقف القطار في ليون بقليل.

- هل تقسمين على ذلك يا آنسة؟

في هذه اللحظة كان بوارو آخر يطرح الأسئلة بصوت واضح وقاطع. "أجابت ميرال: - "نعم!" نظرت الراقصة التي كانت تلهث وخائفة إلى الرجلين بريبة. " - هل فكرت في جدية الاتهام الذي وجهته للتو؟

ـ بالتأكيد يا سيدي. "

قال بوارو:

- "جيد. إذن أنتِ تفهمين يا آنستي أنه لا يجب أن نضيع الوقت. ربما يمكنك مرافقتنا فوراً إلى قاضي التحقيق؟ فوجئت ميرال، ترددت، ولكن، كما توقع بوارو، لم تعد قادرة على التراجع.

- انتظر، سأحضر معطفا.

وعندما انفردا ببعضهما البعض، نظر بوارو وكنايتون إلى بعضهما البعض. قال بوارو متمتما: - "لنضرب الحديد وهو ساخن". بمزاجها المتقلب، ستندم بعد ساعة على كلامها وتريد التراجع عن اعترافها. يجب تجنب ذلك بأي ثمن.

ظهرت ميرال مرة أخرى مرتدية معطفاً مخملياً "بيج اللون" مزركشاً بطبعة جلد النمر. بدت هي نفسها أشبه بوحش شرس. بعد بضع كلمات توضيحية

من بوارو، طُلب من الآنسة ميرال أن تكرر شهادتها. وقد فعلت ذلك، مستخدمة نفس الكلمات، ولكن بهدوء أكثر من ذي قبل كنايتون وبوارو.

قال مستر كاريج: - (هذه قصة عجيبة يا آنسة) ثم ألقى بنفسه على كرسيه وعدل كماشته وراح يراقب الراقصة؛ هل تزعمين أن السيد كيترينغ قد افتخر أمامك بالجريمة التي كان على وشك ارتكابها؟

- نعم، نعم! لقد قال إن زوجته كانت في افضل حالاتها الصحية و إنه لا يمكن ان يتسبب في موتها سوى حادث. هل تدركين يا آنسة، أنك بذلك تكونين شريكة في الجريمة ؟

- انا ؟ على الأقل لا يا سيدى. لم أعتقد أبداً أنه كان جاداً، انا اعرف الرجال يا سيدى، عندما يغضبون يقولون أشياء غبية، لو كان علينا ان نأخذ كل ما يقولونه على ظاهره، فأين سنكون ؟ رفع قاضى التحقيق حاجبيه: - إذن، يجب ان نفترض انك اعتبرت تهديدات السيد كيترينغ في هذا الوقت كلمات فارغة ؟ آنستي، هلا أخبرتني لماذا فسختِ ارتباطاتك في لندن وجئتِ إلى الريفيرا؟

نظرت إليه ميرال بعينين متلهفتين: - لأتبع خطى الرجل الذي أحببته. ما الذي يمكن أن يكون أكثر طبيعية من هذا؟ وتدخل السيد بوارو ببراعة في السؤال:

- إذن فقد كنتِ تطيعين رغبة السيد كيترينغ بمرافقته إلى نيس؟ ترددت ميرال

في الإجابة وهي محرجة. ثم أعلنت بلامبالاة فائقة: - في هذه الحالة، أنا أطيع هواه فقط.

ولم تكن هذه الإجابة إجابة على الإطلاق.

- ومتى اقتنعت بذنب السيد كيترينغ؟

- لقد أخبرتك من قبل يا سيدي. لقد رأيت السيد كيترينغ يخرج من مقصورة زوجته قبل وصول القطار الى ليون. كان لديه تعبير... اه، في هذا الوقت، لم افهم لماذا. لن انسى ابدا عينيه الشاحبتين.

وكانت تتكلم بصوت مرتفع وتلوح بذراعيها بإسراف، قال السيد كاريج:

- ثم عندما علمت بمقتل السيدة كيترينغ بعد مغادرة القطار ليون، اتضح لي كل شيء.

- ولم تذهبي لإبلاغ البوليس يا آنسة؟ قال المفتش بلطف، فحدقت ميرال في وجهه بوقار، وكانت تجد متعة حقيقية في الدور الذي تلعبه.

- هل يمكنني خيانة هذا الرجل؟ آه، لا، لا تطلب ذلك من امرأة! ومع ذلك، في تلك اللحظة... " قال السيد كاريج:

- "الآن الأمر مختلف. ! لقد خانني.

- حسناً، حسناً، حسناً يا آنسة"، تمتم القاضي بنبرة هادئة هل تودين أن تعيدي قراءة نص إفادتك لتري إن كان كل شيء صحيحاً وتوقيعك...

ـ لم تضيع ميرال الوقت في دراسة الوثيقة: - نعم، هذا ممتاز. ألستم بحاجة إليّ بعد الآن أيها السادة؟

- لا، ليس في الوقت الحالي يا آنسة ديريك سيتم القبض عليه؟ في الحال يا آنسة...

أطلقت ميرال ضحكة قاسية ولفّت نفسها بمعطفها المخملي كان يجب أن يكون أكثر حذراً قبل أن يهيننني.

- تفصيل آخر صغير يا آنسة، قال بوارو وهو يسعل قليلا:

- ما الذى جعلك تعتقدين ان السيدة كيترينغ كانت ميتة عندما غادر القطار ليون ؟ فتحت ميرال عينيها على مصراعيها، لقد كانت ميتة، حقا؟ بالطبع لقد توقفت فجأة وكان بوارو ينظر اليها باهتمام، ولاحظ بوارو القلق الذى ظهر في عيني الراقصة. لقد قيل لي الجميع يعرف ذلك هنا بدا لي أن هذه الحقيقة لم تذكر إلا في مكتب قاضي التحقيق، ففقدت ميرال رباطة جأشها، هذه الأمور تظهر في النهاية. على أي حال، لقد أخبرني أحدهم، لكني لا أتذكر من هو، توجهت إلى الباب. وأسرع السيد كاريج لفتحه. في تلك

اللحظة، قال صوت السيد بوارو اللطيف: - "والمجوهرات يا آنسة؟ هل تعرفين ماذا حدث لها؟ المجوهرات؟ ياقوتات كاثرين الروسية العظيمة. بما أنك قد سمعت عن أشياء كثيرة، فربما يمكنك أن تعطينا بعض المعلومات.

- أنا لم أسمع عن أي مجوهرات.

غادرت ميرال وأغلقت الباب خلفها، فاعتلى السيد كاريج كرسيه وتنهد قاضي التحقيق قائلاً: - "يا لها من خُطّافة! ولكن يا لها من شعلة! أتساءل عما إذا كانت تقول الحقيقة؟ على أي حال، جزء من أقوالها صحيح. لدينا تأكيد من الآنسة غراي. فقبل وصول القطار إلى ليون بقليل، نظرت إلى الممر ورأت السيد كيترينغ يدخل غرفة زوجته، ولا يمكن أن يكون هناك خطأ.

ـ إنه القاتل.

ـ أنا أستنكر ذلك.

ـ لماذا؟ ـ استفسر مدير البوليس.

ـ لماذا؟ ـ استفسر بوارو.

- الطموح الكبير في حياتي المهنية هو القبض على الكونت دي لا روش. لقد ظننت أنني نلت منه هذه المرة - ولكنني أحب القبض على الآخر أكثر من ذلك بكثير، فرك السيد كاريج أنفه وقال: - إذا أخطأنا في ذلك فسنكون

في ورطة. إن السيد كيترينغ عضو في الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية، وسوف تتناقل الصحف هذا الخبر. لنكن على حذر، وماذا عن المجوهرات؟ لقد أخذها لأنها كانت جزءا من خطته". لا بد أنه كان محرجاً جداً فابتسم بوارو:

- لدي رأيي في ذلك أخبروني أيها السادة، ماذا تعرفون عن شخص يسمي نفسه ماركيز؟

- ماركيز؟ ماركيز؟ ماركيز؟ كرر المفوض، مهتم بشدة.

- هل تظن أنه متورط في هذه القضية يا سيد "بوارو"؟

- أنا أسألك عما تعرفه عن هذا الرجل.

تجهم المفوض بشكل واضح. لسوء الحظ، ليس لدي معلومات كثيرة عنه كما أريد. إنه يعمل خلف الكواليس المرتزقة يقومون بالعمل القذر من أجله. نحن متأكدون من شيء واحد: إنه شخصية رفيعة المستوى لا ينحدر من دوائر إجرامية. ـ

- هل هو فرنسي؟

- نعم، على الأقل نفترض ذلك، ولكننا لا نستطيع التأكد من ذلك. لقد عمل في فرنسا و إنجلترا وأمريكا. وينسب إليه سلسلة كاملة من السرقات التي

وقعت في سويسرا في الخريف الماضي. إنه لا يزال رجلاً عالمياً يتحدث الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، ولكن أصوله لا تزال غامضة.

كان بوارو على وشك المغادرة.

- هل لديك أي شيء آخر لتخبرنا به يا سيد بوارو؟ سأل المفوض.

- لا في الوقت الراهن، ربما تنتظرني بعض الأخبار المثيرة للاهتمام في الفندق، بدا السيد كاريج محرجاً... قائلاً: إذا كان الماركيز متورطاً في هذه القضية... ثم قاطعه على الفور السيد "بوارو قائلا - ": "هذا يقلب كل فرضياتنا"، قال السيد "كاريج": - "ليس فرضياتي بل على العكس، هذا يتناسب مع آرائي.

وداعاً أيها السادة، قال بوارو، إذا تلقيت أي اتصالات مهمة، فسأنقلها إليكم دون تأخير. بدا عليه القلق، وعاد إلى الفندق الذي يقيم فيه، فقد وصلت برقية باسمه أثناء غيابه. فتحها. كانت رسالة طويلة. قرأها بوارو مرتين قبل أن يضعها في جيبه. في الطابق العلوي، كان جورج ينتظر سيده.

- أنا متعب يا جورج، متعب جدا. هل لك أن ترسل لي كوباً من الشوكولاتة؟

أحضرت الشوكولاتة التي طلبها على النحو الواجب، ووضعها جورج على طاولة صغيرة في متناول يد سيده، وبينما كان الخادم يهم بالمغادرة تحدث

إليه بوارو: - يبدو لي يا جورج أنك تعرف الأرستقراطية الإنجليزية جيداً؟ أجاب الآخر مبتسماً: - "أعتقد أنني أستطيع أن أقول ذلك".

- في رأيك يا جورج أن المجرمين يأتون دائماً من الطبقات الدنيا من المجتمع، أليس كذلك؟

- ليس بالضرورة يا سيدي. لقد تسبب أحد أبناء دوق ديفيز، الذي تلقى تعليمه في كلية إيتون، في متاعب جمة لوالده: فقد كان مذنبا بعدة سرقات ورفض البوليس قبول عذر هوس السرقة. لقد كان شاباً ذكياً جداً، ولكنه كان مصاباً بالرذيلة في جسده. نفاه الدوق إلى أستراليا، حيث أدين تحت اسم مستعار.

- قد يبدو الأمر غريباً، لكنه حقيقي. وغني عن القول أن الحاجة إلى المال لم تكن هي التي دفعت هذا الشاب إلى السرقة، بل حب المغامرة بلا شك، وكذلك شرخ في العقل، قال بوارو.

وتابع الخادم بحثاً عن الأسرار: - "أتساءل... سحب بوارو البرقية من جيبه وقلبها... أتذكر أيضاً ابنة الليدي ماري فوكس"، تابع الخادم بحثاً عن الأسرار. كانت تسرق الأغراض من المحلات التجارية برباطة جأش لا تهدأ.

هذه الحوادث المؤسفة تحدث كثيراً في العائلات الأرستقراطية. يمكنني أن أروي لك حالات أخرى غريبة...

- لديك خبرة واسعة بالعالم يا جورج. كيف انك لطالما ارتبطت بالطبقة الراقية وانحنيت لتدخل في خدمتي؟

- ليس بالضبط يا سيدي. عندما كنت أبحث عن منصب، قرأت في إحدى الصحف الاجتماعية أنه تم استقبالك في قصر باكنغهام. ويبدو أن صاحبة الجلالة كانت في غاية اللطف والإحسان نحوك وهنأتك على مواهبك.

- آه! أنا دائماً أحب أن أعرف لماذا وأين الأشياء، وبقي متأملاً للحظة، ثم أضاف: "هل اتصلت بالآنسة بابوبولوس؟

- نعم يا سيدي، إنها ووالدها سعيدان بتناول العشاء معك هذا المساء، حسناً، قال بوارو: "حسناً".

ثم ابتلع الشوكولاتة ووضع الصحن والكأس بعناية في وسط الصينية وتكلم بصوت منخفض مخاطباً نفسه لا خادمه: (إن السنجاب يا سيدي جورج الطيب يجمع البندق الذي يخزنه في الخريف ليجده فيما بعد.) ولكي يتطور الإنسان يجب أن يتعلم من إخوته الأدنى منه في مملكة الحيوان. لطالما اتبعت هذا المبدأ. فصرت كالقط الذي يبحث عن الفئران، وكالكلب الذي

يشم الرائحة دون أن ينظر إلى الأعلى، وأخيرًا كالسنجاب: لقد أكلت ما استطعت أكله هنا وهناك. والآن، سأعود إلى مخبئي وسألتقط حبة بندق... بندق وضعته جانبًا منذ سبعة عشر عامًا... لنرى...

- أجد صعوبة في تصديق أن البندق يمكن أن يبقى كل هذه المدة يا سيدي بوارو ونظر إليه بابتسامة...

الفصل الثامن والعشرون

بوارو يلعب في سكارو بوارو

غادر بوارو إلى موعده قبل ثلاثة أرباع الساعة من توقيته. وبدلاً من الذهاب مباشرة إلى مونت كارلو، توجه بنفسه إلى كيب مارتن، إلى منزل السيدة تامبلين وهناك طلب مقابلة الآنسة غراي. كانت السيدات ترتدين ملابسهن للعشاء. تم إدخال بوارو إلى غرفة جلوس صغيرة، وبعد انتظار دقيقتين أو ثلاث دقائق، رأى لينوكس تامبلين تدخل، قالت له: - "كاثرين" لم تجهز بعد. هل تريدني أن أبلغها ما تريده أم أنك تفضل أن تنتظرها؟ نظر إليها بوارو بتأمل وتردد قبل أن يجيب، وكأن قراره كان ذا أهمية قصوى، فقال أخيراً: - "لا، لا أعتقد أنه من المفيد انتظار الآنسة غراي. ربما سيكون من الأفضل ألا أراها. إن مهمتي حساسة جدا، انتظرت لينوكس بأدب، وحاجباها مرفوعان قليلاً، لدي بعض الأخبار لأخبرها بها.

- هل لك ان تخبري صديقتك ان السيد كيترينغ قد قُبض عليه هذا المساء بالذات بتهمة قتل زوجته ؟

- وأنت تطلب منى ان اخبر كاثرين بهذا ؟

كانت لينوكس تتنفس بصعوبة وكأنها كانت تركض لتوها، وقد وجدها بوارو شاحبة ومتعبة.

- أرجوك يا آنسة...

- لماذا؟ هل تخشى أن يزعجها هذا الخبر؟ هل تتصور أنها تحب هذا الرجل؟

- لا أعرف يا آنسة. في العادة لا يخفي عليّ شيء، ولكن هذه المرة، أعترف أنني لم أرها بوضوح، ربما أنتِ تعرفين أفضل مني، نعم يا آنسة لينوكس، ولكنني لن أخبركِ بذلك، صمتت للحظة وحاجباها الداكنان معقوفان:

- هل تعتقد أنه مذنب في جريمة كهذه؟

هز بوارو كتفيه: - حسناً، الشرطة تتهمه ولكن ليس أنت. أنت تفتقر إلى الأدلة، فسألها بوارو بصوت خافت: - "أنت تعرفين ديريك كيترينغ منذ زمن طويل، أليس كذلك؟

- منذ أن كنت طفلة.

فأومأ بوارو برأسه عدة مرات دون أن يتكلم، وبحركة مفاجئة تحركت لينوكس إلى الأمام وجلست، وقد أسندت مرفقيها على الطاولة ووضعت ذقنها على راحتي يديها، ثم قالت: - "ما هو الأساس الذي استندت إليه في اتهامه

بارتكاب الجريمة؟ ما هو أساس القبض عليه؟ لا شك أن موت زوجته قد جعل ديريك ثرياً بلا شك؟

- نعم، لقد ورث مليونين.

- ولو لم تمت لكان قد أفلس.

- بالتأكيد.

- لابد أن يكون هناك شيء آخر"، أصرت لينوكس. أنا أعلم أنه كان مسافرا على نفس القطار مع زوجته، ولكن هذا ليس سببا كافيا.

- في مقصورة السيدة كيترينغ وجدنا علبة سجائر عليها الحرف الأول من اسم كيترينغ وهو ليس ملكا للضحية. بالإضافة إلى أن هناك شخصين شاهدا السيد كيترينغ يدخل ويخرج من هذه المقصورة قبل توقف القطار في ليون مباشرة.

- من هما هذان الشخصان؟

- صديقتك الآنسة غراي والراقصة الآنسة ميرال.

- وماذا كان موقف ديريك ؟

- لقد أنكر بشكل قاطع أنه دخل مقصورة زوجته.

- يا له من أحمق! هل ذهب قبل ليون مباشرة ؟ هل نعرف متى ماتت؟

- لا يستطيع الأطباء أن يجزموا بذلك، ولكنهم يعتقدون أنها ماتت قبل وصول القطار إلى ليون. ونحن نعلم أنه بعد مغادرة القطار ليون بفترة وجيزة ماتت السيدة كيترينغ.

- كيف عرفت ذلك؟

قال بوارو بابتسامة صغيرة غريبة: "لقد دخل أحدهم المقصورة ورآها" ولم يتم تنبيه موظفي القطار؟

- لا، ولماذا كان ذلك؟

- لأسباب ربما كانت شخصية.

- هل تعرف ما هي هذه الأسباب؟

- أعتقد أنني أستطيع تخمينها، كانت لينوكس تفكر وبوارو يراقبها في صمت، وسرعان ما استقامت، ثم ما لبثت أن رفعت رأسها.

- وفقاً لما ذكرته أنت، فقد قتلها أحد المسافرين، ولكن هذا ليس بالضرورة صحيحاً. ربما صعد أحدهم إلى القطار أثناء توقف القطار في ليون ودخل إلى مقصورة السيدة كيترينغ وقتلها ثم أخذ حقيبة المجوهرات ونزل من القطار دون أن يراه أحد. ربما قتلت أثناء توقف القطار في ليون. في هذه الحالة،

كانت ستكون حية عندما ذهب ديريك لرؤيتها، وميتة عندما وجدها الشخص الآخر.

استند بوارو على كرسيه وتنهد تنهيدة عميقة: - آنسة، إن تفكيرك سليم جدا... مقبول جدا. لقد كنت أكافح في الظلام وأنتِ أنرتِ لي الطريق، فوقف. سألته لينوكس: - وديريك ؟

- من يدري ؟ قال بوارو وهو يهز كتفيه، دعيني أخبركِ يا آنسة أنني لست فخوراً بنفسي لا، أنا، هيركيول بوارو، ليس لديّ سبب لأفتخر ببراعتي هذه المرة. ربما سأتعلم شيئا جديدا لاحقا. على أي حال، سأفعل ما بوسعي هل لديك موعد؟

- نعم

- آمل ذلك. يجب أن لا نترك حجراً على حجر وداعاً آنستي، رافقته لينوكس إلى الباب:

- هل قدمت لكِ أي مساعدة؟

سألته وقد خفّت حدّة بوارو وهو ينظر إلى الفتاة الشابة الواقفة على العتبة:

- نعم، آنستي، لعل هذا يريحك.

عندما انطلقت السيارة مرة أخرى، استغرق بوارو في تأملاته. وظهرت لمعة انتصار صغيرة في عينيه... وصل بعد دقائق قليلة إلى مكان اللقاء. وكان السيد بابوبولوس وابنته قد وصلا قبله. فأسرف في الاعتذار، متجاوزاً نفسه في الأدب والاهتمام الرقيق بمضيفيه. وفي تلك الأمسية بدا اليوناني نبيلاً ولطيفاً بشكل خاص، وكان يبدو أباً حقيقياً غلبه سوء الحظ في نهاية حياة لا يمكن إصلاحها. وكانت زيا الكريمة مليئة بالبهجة ومحبة للمحادثة، وأظهر بوارو حيوية متألقة في إلقاء النكات ومضاعفتها و إغداق المديح على زيا بابوبولوس. كانت قائمة الطعام مختارة بشكل جيد والنبيذ ممتاز، وفي نهاية الوجبة، سأل السيد بابوبولوس بأدب: - "ماذا عن الخيط الذي أعطيتك إياه؟ هل أعطاك الحصان القليل من التشويق؟

أجاب بوارو: - أنا على اتصال مع... إيه... مع وكيل المراهنات"

- حصان معروف؟

- "إنه ما يسميه أصدقاؤنا الإنجليز "الحصان الأسود". آه! والآن دعنا نذهب إلى الكازينو ونطلب من عجلة الروليت أن تعطينا التشويق"، اقترح بوارو بمرح.

في الكازينو، رافق بوارو زيا بينما كان بابوبولوس يبتعد، كان بوارو غير محظوظ، لكن زيا التي كانت محظوظة سرعان ما ربحت بضعة آلاف، قالت لبوارو بفظاظة: - "من الأفضل أن أتوقف الآن"

- أنتِ مدهشة!" صرخ المحقق.

- آنسة زيا، لقد عرفت فيك ابنة والدك. قال بوارو: "أنا لا أرى والدك"، إذا أردتِ يا آنستي، سأذهب لأحضر معطفك ونخرج إلى الحديقة، لكن بوارو لم يذهب مباشرة إلى غرفة المعاطف، فقد رأى السيد بابوبولوس يغادر قبل وقت قصير وتساءل ماذا حل باليوناني. لقد وجده في قاعة المدخل. كان اليوناني واقفاً بجانب أحد الأعمدة، وكان يتحدث إلى امرأة وصلت للتو: ميرال.

ودار بوارو حول الغرفة وجاء ليقف على الجانب الآخر من العمود دون أن يراه الشخصان الآخران. كانت الراقصة تتكلم بحماسة بينما كان بابوبولوس ينطق من حين لآخر بمقطع واحد مصحوباً بإيماءات. قالت ميرال: - "أمهلني الوقت الذي أحتاجه" انتظر وسأجد المال.

- الانتظار... هذا أمر فظيع!" رد اليوناني وهو يهز كتفيه.

- لن تضطر للانتظار طويلاً، أعدك بذلك. أسبوع... عشرة أيام على الأكثر... هذا كل ما أطلبه. لا تقلق أنت ستحصل على المال. بابوبولوس.

مضطرب، نظر حوله... ورأى بوارو واقف هناك، يبدو بريئا تماما.

- آه! هناك أنت، السيد بابوبولوس. لقد كنت أبحث عنك هل تسمح لي أن أتمشى قليلاً مع الآنسة زيا؟ مساء الخير آنستي، واعذريني لعدم رؤيتك على الفور"، أضاف منحنياً لميرال.

كان من الواضح أن الراقصة منزعجة من هذه المقاطعة، وردت ببرود على تحية بوارو. لاحظ بوارو ذلك. كان بابوبولوس قد أجاب بالفعل "بالتأكيد، ولكن بالتأكيد" على الطلب الذي تقدم به للتو، لذلك انسل المحقق بعيداً. وأعاد معطف زيا ثم تجول الاثنان في الحدائق، فلاحظت الفتاة الصغيرة أن هذا هو المكان الذي تحدث فيه حالات الانتحار، فارتجف بوارو من ذلك، يبدو أن الأمر كذلك. الرجال أغبياء، أليس كذلك يا آنسة؟ انه من الجيد جدا ان تأكل وتشرب وتتنفس هواء نظيفا. يجب أن تكوني مجنونة لتتركي كل هذا خلفك لأنك لا تملكين المال... أو لأن قلبك مكسور. إن الحب يصنع الكثير من الدراما، أليس كذلك؟ فانفجرت زيا ضاحكة.

- لا تسخري من الحب يا آنسة"، قال بوارو مهدداً إياها بإصبعه: "أنتِ شابة وجميلة...

- ربما جميلة. ولكنك نسيت أنني في الثالثة والثلاثين من عمري يا سيد بوارو. انا صريحة معك سأضيع وقتي في محاولة إخفاء عمري عنك. كما قلت لبابا، لقد مضى سبعة عشر عاما بالضبط منذ أن أسديت له خدمة في باريس، وعندما أنظر إليك يبدو لي أن عمرك أقل من ذلك بكثير.

قال بوارو: - لم تتغيري كثيراً... ربما كنتِ أنحف قليلاً، وأكثر شحوباً وجدية. لقد كنتِ في السادسة عشرة من عمركِ وتخرجتِ للتو من المدرسة الداخلية: لم تكوني الإوزة البيضاء الصغيرة ولم تكوني امرأة بعد. لقد كنتِ مبهجة يا آنسة زيا. وقد شاطرني الآخرون رأيي بالتأكيد: - "في السادسة عشرة، نحن سذج وأغبياء بعض الشيء".

- ربما، في السادسة عشرة، تستمعين إلى أول شخص يأتيك.

وعلى الرغم من أنه لاحظ النظرة الجانبية التي رمقته بها الفتاة الصغيرة، إلا أنه تجاهلها وتابع حالمًا.

- الأمر برمته يبدو غريباً جداً بالنسبة لي.

ـ حقا؟

ـ يمكنني أن أخبرك عندما سألني عن التفاصيل، قلت له بالحرف الواحد: "لتجنب أي فضيحة، أحضرت لك الجوهرة. لا تسألني أي أسئلة". آنسة، هل تعرفين يا آنسة لماذا تحدثت إليه بهذه الطريقة؟

- ليس لدي أدنى فكرة.

- ببساطة لأنني كنت معجبا بفتاة صغيرة شاحبة وتبدو في غاية الجدية. - لا أعرف ماذا تقصد! صاحت زيا.

- هيا يا آنسة! لقد نسيت أنطونيو بيريتسيو، أليس كذلك؟ وكتمت زيا صرخة صغيرة: - (لقد كان ذلك الشاب يعمل في دكان أبيك. ولتحقيق غاياته، نظر إلى ابنة رئيسه في العمل. لقد كان شاباً قوي البنية، حسن الهيئة، سلس الكلام، وكان من حقه أن يكون كذلك، أليس كذلك؟ ولما كان العشاق لا يستطيعون الحديث عن الحب في كل وقت، فقد كانت هناك مواضيع أخرى مثيرة للاهتمام في أحاديثهم... وذات يوم دار الحديث عن الجوهرة الرائعة التي كان والدك يملكها مؤقتاً. وكما قلتِ يا آنستي، فالشباب حمقى ومرتابون. وكان سهلاً على الخاطب الوسيم أن يكسب ثقة الآنسة الشابة التي أطلعته للحظة على الجوهرة الشهيرة، ودلته على المخبأ الذي خبأتها فيه. وذات يوم

اختفي الكنز. عندما حدثت هذه الكارثة التي لا تصدق، أصيبت الفتاة المسكينة بالذهول ولم تعرف إلى أي طريق تتجه. هل تتكلم أم تصمت؟ عندها فقط، يظهر هيركيول بوارو الممتاز على الساحة. كما لو كانت معجزة، كل شيء في مكانه الصحيح. فقد أعيدت الجوهرة التي لا تقدر بثمن إلى السيد بابوبولوس، الذي لم يكن عليه أن يسأل السيد بوارو أي سؤال، فالتفتت إليه زيا وقد بدت عليها ملامح الغضب:

- كيف! هل كنت تعلم بهذا الأمر؟ من أخبرك؟ هل كان أنطونيو؟

كلا، لم يخبرني أحد بشيء. تخميني صحيح، أليس كذلك يا آنسة؟ لا فائدة من محاولة أن تصبح محققاً إذا لم تكن لديك موهبة قراءة نفوس الآخرين. ولبضع دقائق، سارت الفتاة الصغيرة في صمت.

- ماذا ستفعل الآن؟ هل ستخبر أبي بكل شيء؟

- كلا، لا تقلقي. نظرت إليه باستغراب:

- هل تريد مني شيئاً؟

- أنا أطلب منك أن تساعديني يا آنسة زيا.

- ما الذي يجعلك تعتقد أنني أستطيع مساعدتك؟

- أتمنى ذلك فقط.

- ماذا لو رفضت؟ هل ستخبر أبي؟

- لا، لا تخلصي من هذه الفكرة يا آنسة أنا لست مبتزاً أنا لا أهددك بكشف سرك لأي أحد. أنتِ ترفضين وهذا كل ما في الأمر، لماذا إذن؟

- سأشرح لكِ يا آنسة. النساء بشكل عام كريمات ويرغبن في مساعدة من ساعدهن في الخروج من المشاكل. لقد كنت شهمًا تجاهك ذات مرة. وصمتّ عندما كان في استطاعتي أن أتكلم، وبعد صمت قصير قالت له الفتاة الصغيرة: - لقد أعطاك أبي (مكافأة) في ذلك اليوم نعم لقد كان كريماً جداً، ولا أظن أن هناك ما يمكنني أن أقوله لك أكثر من ذلك، فإذا كان بوارو قد خاب أمله ولم يظهر ذلك. حسناً، قال بمرح "دعينا نتحدث عن شيء آخر". وبدأ يمزح في مزاح جيد. ومع ذلك، كانت زيا مشتتة الذهن وأجابت على أسئلة بوارو بشكل ميكانيكي. وعندما اقتربا من الكازينو قررت أخيرا أن تتكلم:

- سيد بوارو؟

- نعم يا آنسة.

- يسعدني أن أسدي لك خدمة في المقابل.

- أنت لطيفة جدا يا آنسة. كان هناك توقف آخر. دون أن ينفد صبرها، تركها بوارو تأخذ وقتها.

- باه! لماذا أخفيها عنك، بعد كل شيء؟ قالت، أبي مرتاب ولكنى اعرف أننا معك يمكننا ان نرتاح بسهولة. ألم تخبرنا بأنك كنت تبحث ببساطة عن القاتل وأن المجوهرات كانت ذات أهمية ثانوية؟ انا أصدقك يا سيد بوارو، لقد كنت محقا في افتراضك إننا في نيس بسبب الياقوت. لقد تم إعطاؤها لنا ووالدي أعطاك بعض المعلومات في ذلك اليوم عن عميلنا الغامض "الماركيز" تمتم بوارو :

- نعم الماركيز هل رأيتِ الماركيز يا آنسة "زيا"؟

- مرة واحدة ولكن ليس بوضوح تام... من خلال ثقب المفتاح.

قال بوارو متعاطفا: - "هذه الطريقة في النظر دائما ما تمثل صعوبات"، ولكنك في النهاية رأيته فهل كنت ستتعرفين عليه؟

- لا، لقد كان يرتدي قناعا" قالت بتعاطف.

- هل كان شابا أم عجوزا؟

- كان شعره أبيض، ربما كان شعرا مستعارا، كان يناسبه جيدا، ولكنه لم يكن رجلا عجوزا، كان له مظهر وصوت شاب.

- الصوت؟ آه، هل كنت ستتعرفين على صوته إذا سمعته؟

- ربما...

- إذن كنت مهتمة جداً بهذا الرجل، لذلك راقبته من ثقب المفتاح؟

- نعم، كنت متشوقة لرؤيته. كان هناك الكثير من الكلام عنه إنه ليس لصاً عادياً... إنه أشبه ببطل في رواية. نعم... نعم... ربما هذا هو الأمر. لكن لدي شيء آخر لأخبرك به: حقيقة صغيرة قد تكون مفيدة.

- ما هي؟

كما قلت لك، لقد أُعطي الياقوت لوالدي، هنا في نيس. أنا لم أر الشخص الذي أعطاهم له، ولكن... أعرف ذلك...

- حسناً؟

- كانت امرأة!

الفصل التاسع والعشرون

رسالة من سانت ماري ماد

عزيزتي كاثرين،

أنت الآن تعيشين بين الناس في العالم، وأتساءل عما إذا كنت ستهتمين بسماع أخبارنا. ومع ذلك، بما أنني لطالما اعتبرتك شخصًا عاقلًا، آمل ألا تكوني قد سمحت لنفسك بأن تنجرفي مع الحظ. كل شيء هنا هو العمل كالمعتاد. لقد أحدث وصول الكاهن الجديد ضجة في البلاد، لأنه متكبر ومزدري. في رأيي، يجب أن يكون كاهن الكنيسة الرومانية. الجميع يشكو إلى الكاهن من الكاهن، ولكنك تعرفين إحسانه المسيحي الذي يمنعه من الحكم على جاره. لقد سببت لي خادماتي طوال هذه الأيام الكثير من المتاعب، ولكنك لا تستطيعين أن تقولي لهن شيئاً. ولم تكن آني الصغيرة جيدة، فقد كانت تنورتها تصل إلى ما فوق ركبتيها؛ وتصوري أنها كانت ترفض لبس الجوارب الصوفية في الشتاء؛ وكنت أعاني من الروماتيزم معاناة شديدة حتى نصحني الطبيب بالذهاب إلى أخصائي في لندن؛ فأشرت عليه بأن ذلك سيكلفني ثلاثة جنيهات إسترلينيه زيادة عن تكلفة الرحلة؛ ولكني

بانتظار حتى يوم الأربعاء حصلت على تذكرة بسعر مخفض. عبس الأخصائي في وجهي وتكلم معي بلغة رطانة غير مفهومة، دون أن يريد أن يخبرني بصراحة ما هي المشكلة، حتى قلت له: (يا دكتور، أنا امرأة بسيطة وأحب أن يتحدث معي أحد ببساطة). كان عليه أن يخبرني بالحقيقة. وعدني بأنني سأشفي خلال عام دون معاناة كبيرة. أعتقد أنني أستطيع أن أتحمل ذلك مثل أي مسيحي آخر، لكنني أشعر بالوحدة أحياناً، لأن كل أصدقائي ماتوا أو تركوا سانت ماري ماد. أؤكد لك أنني سأكون سعيدة بوجودك معي يا صغيرتي العزيزة. ولو لم تكوني قد ورثت الثروة التي مكنتك من التردد على المجتمع الراقي، لكنت عرضت عليك ضعف الأجر الذي أعطتك إياه المسكينة جان، حتى تتمكن من الاعتناء بي، ولكن ما الفائدة من طلب المستحيل؟ ومع ذلك، قد ينقلب القدر ضدك... هل يمكنك التنبؤ بالمستقبل؟ إن كثيراً من المغامرين الذين يدعون أنهم من أصحاب الألقاب يتزوجون من وريثات أغنياء ويتخلون عنهن يوم زفافهن ويهربون بالغنائم. أنت أعقل من أن يصيبك مثل هذا الحظ العاثر. ولكن من يدري؟ بما أنك لم تكوني محبوبة كثيرًا من الرجال حتى الآن، فيمكن أن تنخدعي بسهولة بالوعود الجميلة. إذا وجدتِ نفسك في مثل هذا الموقف، فلا تنسي أنه

سيكون لكِ دائمًا مكانًا معي. أنت تعرفينني: أنا دائماً أقول ما أفكر فيه، وهذا لا يمنعني من أن يكون لي قلب طيب.

صديقتك القديمة الحنون أميليا فينر.

ملاحظة - لقد قرأت في الجريدة خبراً صغيراً عنك وعن ابنة عمك الفيكونتيسة تامبلين في الجريدة، فقصصته ووضعته في دفتر القصاصات، وفي يوم الأحد دعوت الله أن يحفظك من كل غرور وكبرياء.

قرأت كاثرين هذه الرسالة مرتين بتفاصيلها اللذيذة ووضعتها على طاولتها. ونظرت من نافذة غرفة نومها بقلب حزين إلى مياه البحر الأبيض المتوسط الزرقاء، وفجأة أثارت قراءتها لهذه الرسالة في نفسها رغبة الحنين إلى رؤية قرية سانت ماري ماد الصغيرة مرة أخرى، ويا ليت أنها بكت من قلبها وهي تدفن رأسها بين ذراعيها، فدخلت لينوكس في تلك اللحظة وأخرجتها من أفكارها الحزينة:

- صباح الخير يا كاثرين. ما خطبك هذا الصباح؟

- لا شيء، لقد حشرت رسالة الآنسة فينر في حقيبة يدها، تبدين بخير. اسمعي، أرجو ألا تفهمي هذا خطأ، ولكنني اتصلت بصديقك السيد بوارو

هاتفياً ودعوته لتناول العشاء معنا في نيس. لقد خشيت ألا يكلف نفسه عناء المجيء خصيصاً من أجلي، فقلت له أنك تريدين التحدث معه. فأجابتها كاثرين:

- نعم. أنا مغرمة به. لديه عينان خضراوان كالقطط. حسنا، هيا بنا نذهب" قالت كاثرين بلا مبالاة، فقد كانت تشعر بالضجر. لقد كان اعتقال ديريك كيترينغ حديث البلدة، ولغز القطار الأزرق كان يثار دائما، وكان على كاثرين أن تتحمل الأسئلة الطائشة من محامي الليدي تامبلين. - لقد طلبت السيارة بحجة ما". لا استطيع ان أتذكر بالضبط ماذا قلت لأمي ولكن لا يهم، فهي لن تتذكر. ولو أنها كانت تعلم أننا ذاهبان لمقابلة السيد بوارو لأصرّت على مرافقتنا لنعرف منه بعض الأخبار.

وعند وصولهما إلى نغرسكو وجدت الفتاتان المحقق في انتظارهما، وكان متلهفاً ومهذباً، وأغدق عليهما من المجاملات والإطراء ما لم تستطع الفتاتان أن تكتم فرحهما. وظلت كاثرين حالمة ومشتتة الذهن، وغالباً ما تركت لينوكس المحادثة تطول.

وبينما كانا يجلسان لتناول القهوة على الشرفة، سألت بوارو بصراحة: - "كيف تسير القضية؟

- العدالة تأخذ مجراها.

- وأنتِ لا تفعلين شيئاً لمنعه من ارتكاب مثل هذا الإثم؟

- أنتِ شابة يا آنسة. هناك ثلاثة أشياء يجب أن تسمحي لها بالحدوث ببطء: الله، والطبيعة، وكبار السن.

- سيد بوارو، أنت تتكلم هراء! انت لست عجوزا على الإطلاق !

- كم هو ساحر منك ان تقولي لى هذا !

- ها هو السيد كنايتون"، أعلنت لينوكس. " نظرت كاثرين جانبا، ثم أدارت رأسها بحدة. " وتابعت لينوكس: " انه برفقة السيد فان ألدن" أود ان اتحدث مع الميجور كنايتون. هل تسمحا لي ؟ سأعود بعد قليل، بقي بوارو وحيدا مع كاثرين، انحنى نحوها وهمس لها:

- "آنستي، أنتِ مشتتة... أفكاركِ تسافر بعيدا عن هنا، أليس كذلك؟ إلى إنجلترا، لا أبعد من ذلك.

ثم أخذت، مدفوعة بدافع مفاجئ، الرسالة التي وصلتها في ذلك الصباح وسلمتها إلى بوارو: (هذه أول أخبار تصلني من إنجلترا، تذكرني بعملي السابق... أنا آسفة جداً على كل حال.

- وأنت ستعودين إلى سانت ماري ماد؟

ـ لماذا يجب علي ذلك؟ ـ

- عفواً، نهض بوارو وذهب لينضم إلى لينوكس التي كانت تتحدث مع فان ألدن وكنايتون. بدا الأمريكي عجوزاً وقد بدا عليه التعب، وأومأ برأسه للمحقق، وعندما التفت المليونير ليرد على ملاحظة أبدتها لينوكس، جذب بوارو كنايتون جانبا، وقال له: - "السيد فان ألدن يبدو مريضا"، هل يفاجئك هذا ؟ لقد كانت الفضيحة التي سببها اعتقال ديريك كيترينغ قد أثرت عليه. القبض على ديريك كيترينغ قد قضى عليه. انصحه بالعودة الى إنجلترا، سنرحل بعد غد هذا ممتاز، وبعد دقيقة من التردد، نظر الى الشرفة حيث تجلس كاثرين. اخبر الأنسة غراي بالأخبار، أي أخبار ؟

- أي أخبار ؟

ـ أخبرها أنك... أو بالأحرى أن السيد فان ألدن سيعود إلى إنجلترا ـ كنايتون بدا عليه الحيرة قليلا، ولكنه ذهب إلى الفتاة الصغيرة، فنظر إليها بوارو وهو يهز رأسه في ارتياح، ثم انضم إلى لينوكس والأمريكي. وبعد بضع دقائق، اتجه ثلاثتهم إلى مائدة كاثرين وكنايتون حيث أصبح الحديث عاما، وبعد قليل، وبعد أن أخذ المليونير وسكرتيره في الانصراف، استعد بوارو للمغادرة.

- أشكركم جزيل الشكر على هذا الغداء الساحر يا سيداتي. حسناً، لقد كنت في حاجة ماسة إلى التشجيع ونفخ صدره.

- أنتِ تنظرين إلى أسد... عملاق آه، آنسة كاثرين، أنت لم تريني في العمل بعد! أنتِ تعرفين فقط "هيركيول بوارو" الوديع والهادئ لكن هناك "هيركيول بوارو" آخر إنه الآن سيطلق التهديدات ويقذف الرعب في قلوب من يستمعون إليه! نظر هيركيول بوارو وهو يبدو مسروراً بنفسه، إلى الفتاتين الصغيرتين اللتين بدا عليهما التأثر الشديد بموقفه، رغم أن لينوكس كانت تعض على شفتها السفلى وكاثرين كانت تلوي زوايا فمها بطريقة غريبة: "وسترين"، وأضاف في وقار: "سأفي بوعودي وسأنجح! لم يكد يخطو بضع خطوات حتى نادته كاثرين:

- "سيد بوارو، لقد كنت محقاً قبل قليل. سوف أعود إلى إنجلترا قريباً. " خجلت الفتاة الشابة من نظرة المحقق المدققة. " قال بوارو:

- "أنا أفهم. "

- "لا، أنت لا تفهمني. "

- "أنا أعرف أكثر مما تظنين يا آنسة. " وبابتسامة على شفتيه ترك بوارو كاثرين. " ركب سيارة أجرة متجهاً إلى أنتيب. "

كان هيبوليت، الخادم الوقور للكونت دي لا روش، ينظف بلورات سيده الرائعة في فيلا مارينا. " كان الكونت يمر من هنا ويقضي اليوم في مونتي كارلو. وعندما ألقى هيبوليت نظرة خاطفة من النافذة بالصدفة، رأى هيبوليت رجلاً يخطو نحو الباب الأمامي. وعلى الرغم من كل خبرته، لم يتمكن هيبوليت من تصنيف هذا الزائر ذي المظهر غير العادي. نادى زوجته ماري التي كانت مشغولة في المطبخ، ولفت انتباهها إلى ما أسماه "ذلك الرجل". سأل ماري وهو مليء بالقلق:

- "إنه ليس من الشرطة هذه المرة؟" انظري، ذهبت ماري إلى النافذة. في الواقع، إنهم لم يزعجونا كثيراً". لولا تحذير الكونت ما كنت لأشك في ذلك الغريب أحمر الشعر الذي كان في المقهى، رن جرس الباب فذهب هيبوليت، وقد بدا عليه الوقار، ليفتح الباب، فظهر القادم،

- سيادته ليس في المنزل يا سيدي.

فابتسم الرجل الصغير ذو الشارب العريض وقال بهدوء:

- أعرف ذلك. اسمك "هيبوليت فلافيل"، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي،

- واسم زوجتك "ماري فلافيل"؟

- نعم يا سيدي. قال الغريب وهو يمر بجانب الخادم: "أود أن أتحدث معكما. زوجتك بلا شك في المطبخ؟ سأذهب إلى هناك. وقبل أن يستعيد هيبوليت رباطة جأشه، خرج الزائر من الردهة إلى المطبخ دون أن يذهب إلى الباب الخطأ، حيث توقفت ماري وفمها فاغر لتنظر إليه. قال الغريب وهو جالس على كرسي: - "ها أنا ذا. أنا هيركيول بوارو.

- من هذا يا سيدي؟

- ألا تعرفين هذا الاسم؟

- إنها المرة الأولى التي أسمعه.

- قال هيبوليت - دعني أخبرك، لقد أخطأت في اسمك.

- إن هيركيول بوارو اسم رجل عظيم.

فتنهد، وطوى يديه على صدره، فنظر إليه هيبوليت وماري في ارتباك، ولم يعرفا ماذا يصنعان بهذا الزائر غير المتوقع...

- "السيد يرغب... " تمتم هيبوليت بشكل ميكانيكي.

- أريد أن أعرف لماذا كذبت على الشرطة.

- "سيدي! أنا كذبت على الشرطة! أنا لم أفعل شيئاً كهذا من قبل.

هز السيد بوارو رأسه: - اسمح لي أن أعارضك لقد كذبت في عدة مناسبات، لحظة واحدة أخرج دفتراً صغيراً من جيبه وراجعه. نعم: على الأقل سبع مرات. سأشرح لك الملابسات. وبصوت هادئ سرد المرات السبع التي خدع فيها الخادم الشرطة، فذهل هيبوليت، ولكني لست هنا لأحدثك عن هذه الأكاذيب السابقة. ومع ذلك، يا صديقي العزيز، أنصحك بألا تتلاعب معي. والآن إلى الكذبة التي تهمني:

- أنت تدعي أن الكونت دي لا روش وصل إلى هنا صباح يوم 14 يناير.

- إنها ليست كذبة يا سيدي. إنها الحقيقة الكاملة لقد وصل سيادته إلى هنا في صباح يوم الخميس الرابع عشر، أليس كذلك يا ماري؟

ـ نعم، هذا صحيح أنا أتذكر ذلك تماماً.

- آه! وماذا قدمت على الفطور لسيدك الطيب في ذلك اليوم؟ أنا... توقفت ماري وحاولت أن تستعيد رباطة جأشها...

- من الغريب كيف نتذكر بعض الأشياء... وكيف ننسى أشياء أخرى"، لاحظ بوارو. انحنى إلى الأمام وعيناه ملتهبتان بالغضب وضرب بقبضته على الطاولة. نعم، أكرر. أنت تكذب وتعتقد أن لا أحد يعرف شيئاً عن ذلك. أنا أخبرك أن هناك اثنان منا يعرفان... نعم، اثنان: - السيد الطيب... رفع يده

إلى السماء، ثم انحنى إلى الوراء في مقعده وأغمض عينيه وتمتم... وهيركيول بوارو.

- أؤكد لك يا سيدي أنك مخطئ. لقد غادر السيد الكونت باريس مساء الاثنين...

- نعم، بالقطار السريع، قال بوارو. أنا لا أعرف أين توقف في الطريق. والحقيقة أنه وصل إلى هنا صباح الأربعاء وليس صباح الثلاثاء. قالت ماري بعناد: - "لقد أخطأ السيد بوارو"...

قفز بوارو واقفاً... القانون سيأخذ مجراه إذن...

- ماذا تقول يا سيدي؟" سألت ماري متأثرة قليلاً...

- سيتم القبض عليكما وسجنكما كشريكين في جريمة قتل السيدة كيترينغ السيدة الإنجليزية التي قتلت...

- قتلت! كان وجه الخادم قد شحب وارتجفت ركبتيه. وأسقطت ماري دبوس الشوبك وبدأت تبكي: (ولكن هذا مستحيل... مستحيل. ما دمت مصراً على كذبتك، فليس لديّ ما أقوله أكثر من ذلك. كان متجهاً إلى الباب عندما سمع صوت يناديه:

- سيدي! سيدي! انتظر لحظة من فضلك. لم يكن لدي أي فكرة أنه كان أي شيء من هذا القبيل. لقد ظننت فقط أنها قضية امرأة، فقد كان للكونت عدة مشاكل مع الشرطة بسبب النساء في الماضي. صرخ بوارو ملوحاً بقبضته في وجه هيبوليت، لقد بدأ صبري ينفذ هل سأقضي اليوم كله في الجدال مع أحمقين مثلكما؟ كل ما أريده هو الحقيقة متى كانت آخر مرة وصل فيها السيد الكونت إلى فيلا مارينا يوم الثلاثاء أو صباح الأربعاء؟

- يوم الأربعاء"، تلعثم الرجل، ومن خلفه أومأت ماري برأسها موافقة، فنظر بوارو إليهما لدقيقة أو دقيقتين، لقد أحسنتما قول الحقيقة. لقد كنت قريباً جداً من الوقوع في ورطة! غادر بوارو فيلا مارينا في مزاج منتعش وهو يحدث نفسه:

- هذا يؤكد إحدى فرضياتي. لنرى إن كان حظي سيصمد.

كانت الساعة السادسة عندما تسلمت ميرال بطاقة هيركيول بوارو. بعد لحظة من التفكير، وافقت على مقابلته.

عندما دخلت المحقق كانت تسير في الغرفة بشكل محموم.

- ما الجديد؟ ألم تعذبني بما فيه الكفاية؟ لقد جعلتني أخون ديريك المسكين ماذا تريد أكثر من هذا ؟

- سؤال بسيط يا آنسة عندما غادر القطار ليون ودخلت مقصورة السيدة كيترينغ...

- ماذا ؟ نظر اليها بوارو بعتاب، عندما دخلت مقصورة السيدة كيترينغ...

- هذا ليس صحيحا وانك وجدتها...

- لا! لا! لا !

- آه، على سبيل المثال! سار نحوها وصاح بنبرة متغطرسة:

- هل تكذبين علي، أنا هيركيول بوارو؟ أنا أعرف ما حدث كما لو كنت هناك. لقد ذهبت الى مقصورتها ووجدت السيدة كيترينغ ميتة. أنا أقول لك إنني اعرف انه من الخطر ان تكذبي عليّ، كوني حذرة يا آنسة ميرال. تحت نظرات المحقق المدققة تراجعت وخفضت عينيها.

ـ أنا... أنا لم أدخل.

ـ بقيت نقطة واحدة فقط محل شك إنني أتساءل يا آنستي، هل وجدتِ ما كنتِ تبحثين عنه أم...

- أم ماذا؟

- أم أن أحداً سبقك إلى ذلك.

- لا أريد أن أجيب على أي من أسئلتك !

- صاحت الراقصة وهربت من قبضة بوارو الذي كان يمسكها من الخلف، وألقت بنفسها على الأرض وهي تصرخ وتنتحب. وهرعت خادمة مذعورة إلى داخل الغرفة، فهز هيركيول بوارو كتفيه، ورفع حاجبيه وانسلّ بهدوء، وبدا مسروراً جداً بزيارته، ثم انصرف بهدوء.

الفصل الثلاثون

الآنسة فينر تعطي نصيحتها

كانت كاثرين متكئة على نافذة غرفة نوم الآنسة فينر تراقب المطر الغزير وهو يهطل بإصرار متواصل. ومن هذه النافذة كانت ترى الممر المؤدي إلى البوابة، بين أحواض الزهور الأنيقة حيث تتفتح الزنابق الزرقاء والوردية في الربيع، وكانت الآنسة فينر مستلقية على سريرها الفيكتوري الكبير، وقد وضعت صينية تحتوي على بقايا فطورها على غطاء السرير المبطّن وكانت تقرأ مراسلاتها وهي تدلي بتعليقاتها اللاذعة أحياناً. حملت كاثرين رسالة مفتوحة في يدها وقرأتها للمرة الثانية.

عزيزتي الآنسة كاثرين،

آمل أن تكوني في صحة ممتازة وأن عودة الشتاء الإنجليزي لم تحبطك كثيراً. أما بالنسبة لي، فأنا أواصل تحقيقي بأقصى درجات الاجتهاد، فلا تظني أنني هنا لأستريح. يجب أن أذهب إلى إنجلترا قريبا، وآمل أن أسعد برؤيتك مرة أخرى. ستفعلين، أليس كذلك؟

سأكتب لك حالما أصل إلى لندن. تذكري أننا نعمل معا في هذه القضية مع احترامي لكِ آنستي،

هيركيول بوارو

عبست كاثرين قليلا، فقد تركتها محتويات الرسالة في حيرة من أمرها.

- "نزهة لفتيان جوقة الأبرشية!" صاحت الآنسة فينر. نعم، بشرط أن يستثنى تومي سوندرز وألبرت دايكس و إلا لن أعطي فلساً واحداً. لم يكن تومي ليفتح فمه للغناء في الكنيسة يوم الأحد، ولو لم يكن ألبرت دايكس يمص نعناعاً لوجدت أنفي في منتصف وجهي. إنهما فظيعان، هذان الطفلان!" وافقت كاثرين على ذلك. فتحت الفتاة الرسالة الثانية التي استلمتها فاحمرّت وجنتاها فجأة. وعندما عادت كاثرين إلى الواقع كانت الآنسة فينر قد أنهت للتو جدالاً طويلاً، فأجابت: - لا على الإطلاق، الآنسة غراي هي ابنة عم الليدي تامبلين. إذن، آنسة فينر، أنت تدافعين عن قضيتي. هذا لطف منك، هذا لطف كبير منك، لو أحببت انا لا يهمني ان كانت زوجة الكاهن أم لا، فهي سليطة اللسان، لقد كانت تلمح الى انك يجب أن تدفعي المال ليستقبلك شخص يحمل لقب سيدة ربما لم تكن مخطئة كثيرا، كان يمكنك بسهولة أن تعودي الى الريف بمظهر السيدة العظيمة ولكنك بدلاً

من ذلك، احتفظت ببساطتك القديمة وارتديت جوارب صوفية جيدة وحذاءً معقولاً. بالأمس فقط قلت لهيلين: (انظري إلى الآنسة غراي؛ لقد كانت في العالم الكبير وهي لا ترتدي تنانير طويلة إلى الركبة، أو جوارب حريرية تنخلع عند النظر إليها، أو أحذية سخيفة كحذائك) ابتسمت كاثرين وهنأت نفسها على أنها ارتدت ملابس تتفق مع تحيزات الآنسة فينر. وتابعت السيدة العجوز: (لقد سرني أن أرى أن الحظ لم يدر رأسك. في ذلك اليوم كنت أبحث في قصاصات الجرائد التي لدي. لدي العديد منها عن السيدة تامبلين ومستوصفها العسكري، ولكني لم أجدها في أي مكان. عزيزتي، هلاّ أخذتهم؟ إنهم في صندوق في درج المكتب نظرت كاثرين إلى الرسالة التي في يدها وكانت على وشك أن تتكلم، ولكنها أوقفت نفسها وذهبت إلى المكتب. التقطت صندوق الملاحظات وبدأت تتصفحها. منذ عودتها إلى سانت ماري، تعجبت الآنسة كاثرين من شجاعة الآنسة فينر ورزانتها وكانت قد صادقتها. لم يكن بوسعها أن تفعل الكثير لتجعلها تشعر بتحسن، لكنها كانت تعرف من خبرتها الأهمية التي يعلقها كبار السن على آلاف الأشياء الصغيرة في الحياة اليومية.

- هاك واحدة" وسرعان ما أعلنت كاثرين أن الفيكونتيسة تامبلين التي حولت فيلتها في نيس إلى مستشفى عسكري، قد وقعت للتو ضحية سرقة كبيرة ومن بين المجوهرات المفقودة زمرد عائلة تامبلين الشهيرة، ولعلها مصنوعة من البات دي فير، مثل معظم مجوهرات عائلة هؤلاء السيدات في العالم! وها هي صورة أخرى مع صورتها: صورة ساحرة للفيكونتيسة تامبلين وابنتها لينوكس، قالت الآنسة فينر: "مرريها لي. بالكاد يمكنك رؤية الصغيرة هذا جيد الطبيعة تحب التناقضات وغالبا ما تنجب النساء الجميلات أطفالا قبيحين. لقد أدركت المصورة ذلك، فضحكت كاثرين. من بين النساء الأنيقات اللاتي يقضين الموسم في الريفيرا الفيكونتيسة تامبلين التي تملك فيلا في كاب مارتان. صاحت الآنسة فينر: "هذه هي التي كنت أبحث عنها". لا بد أن صورتك قد ظهرت في إحدى الصحف، ولا شك أنها قد مرت بي دون أن أراها. أنت تعرفين ما أعنيه: "السيدة أونيتيل تقضي الموسم في مكان كذا وكذا. تظهر وهي تلوح بعصا الغولف وترفع ساقها. لم ترد كاثرين. وبدا عليها الحرج، فأخرجت الرسالة الثانية التي تلقتها من مظروفها ونظرت إليها مرة أخرى. ثم التفتت إلى صديقتها القديمة:

- آنسة فينر، شخص قابلته في الريفيرا يريد أن يأتي لرؤيتي هنا.

- رجل؟

- نعم. –

من هو؟ -

سكرتير السيد فان ألدن المليونير الأمريكي.

- ما اسمه؟

- كنايتون، الرائد كنايتون.

- آه... سكرتير المليونير. انه يريد ان يأتي الى هنا، اسمعينى يا كاثرين، سأعطيك بعض النصائح انت لطيفة وعاقلة، ورغم أنك حكيمة، دعيني أقول لك ان كل امرأة ترتكب حماقة مرة واحدة على الأقل في حياتها. أراهنك بعشرة إلى واحد أن هذا الرجل يسعى وراء أموالك. بإيماءة منها رفضت الإجابة التي كانت كاثرين على وشك أن تعطيها إياها، كان ذلك متوقعاً. ففي النهاية، من هو سكرتير المليونير؟ تسع مرات من عشرة، شاب متميز يحب الحياة السهلة المترفة ولكنه لا يملك المبادرة، و إذا كان هناك منصب أحلى من منصب سكرتير المليونير فهو أن يكون زوجاً لامرأة ثرية. أنا لا أقول إنك لا تستطيعين أن تثيري الحب في الرجل، ولكنك لم تعودي شابة، وعلى الرغم من نضارة بشرتك فأنت لست جميلة. أود أن أحذرك. إذا قررتِ

فعل شيء أحمق، فاحرصي على أن تبقى ثروتك باسمك. هذا كل ما في الأمر.

- هل تمانعين لو جاء لرؤيتي؟

- أنا أغسل يدي منه. خذي بنصيحتي أو لا تأخذي بها، هذا عائد لكِ هل تريدين الاحتفاظ به للغداء أو العشاء؟ هيلين يمكنها إعداد وجبة محترمة... إذا لم تفقد عقلها. أنتِ لطيفة يا آنسة فينر. لقد طلب مني أن أتصل به سأخبره بأننا سنكون سعداء لو انضم إلينا على الغداء ـ سيأتي بالسيارة من لندن ـ هيلين ستطبخ لحم البقر مع الطماطم هذا ما تجيده لديها يد ثقيلة عندما يتعلق الأمر بعجن الفطيرة، لذا دعيها تعد الحلوى بدلاً من ذلك. ستتناول قطعة جيدة من الجبن من عند "أبوت" وبعض النبيذ القديم من القبو، النبيذ الذي تركه أبي هناك !

- أوه يا آنسة فينر، هذا ليس ضرورياً!

- بلى يا طفلتي. لدي أيضا بعض الويسكي الممتاز من قبل الحرب. إن مفتاح القبو موجود في الدرج الثالث من الخزانة ذات الأدراج، في الزوج الثاني في أسفل اليسار. ذهبت كاثرين إلى المخبأ المشار إليه.

- الزوج الثاني كما تسمعين. قالت كاثرين مرتبكة: "الزوج الأول يحتوي على أقراطي الماسية وبروش الصياغة الخاص بي. هل تريدين أن أضعهما في صندوق مجوهراتك؟ لقد بنى أبي المسكين خزنة في قبو منزلنا. وقال لأمي مفتخراً بهذا الابتكار: "يا ماري، ستضعين مجوهراتك في صندوقك وسأقفل عليها هنا كل ليلة! كانت أمي، المرأة اللبقة التي لا تنزعج من ذلك، تأخذ صندوق مجوهراتها المقفل إلى أبي كل ليلة، وفي إحدى الليالي، اقتحم اللصوص المنزل، وبطبيعة الحال، توجهوا مباشرة إلى الخزنة. لم يكن أبي قادراً على كتم لسانه وأخبر القرية كلها عن الخزنة، حتى ظن الجميع أنها تحتوي على كل كنوز الملك سليمان، فأخذوا كل شيء، الأواني الفخارية الفضية، وطبق ذهبي كان قد أهدي لأبي وصندوق المجوهرات. تنهدت الآنسة فينر قائلة: "كان أبي في حالة من الذهول عندما فكر في مجوهرات أمي التي كانت تحتوي على بعض المجوهرات الجميلة جداً، ومرجان وردي شاحب وماستين رائعتين. وهل كان صندوق المجوهرات فارغاً؟ أجابت الآنسة فينر: "لا، كان سيكون خفيفاً جداً. لقد فكرت أمي، كونها امرأة ذكية، في كل شيء. لقد جمعت أزرارها في صندوق مجوهراتها. والغريب أن والدي كان يشعر بالخزي وأعلن أنه لن يتسامح مع الأكاذيب. أنا دائما أتحدث عن

نفسي. اذهبي واتصلي بصديقتك وأحضري قطعة لحم لذيذة. أخبري هيلين ألا ترتدي جوارب مثقوبة عندما تقدم الطعام على المائدة. كان المطر قد توقف عندما وصل كنايتون إلى الكوخ، وكان ضوء الشمس الشاحب يلمع على شعر كاثرين وهي تقف في المدخل لتحيته، فاندفع نحوها بنشاط الشباب.

- انا سعيد لرؤيتك ثانية يا آنسة غراي. صديقتك التي تسكنين معها لن تمانع قدومي؟ تعال وحاول كسب صداقتها. قد لا تعجبك للوهلة الأولى، ولكنها تملك قلبا من ذهب. لقد كانت الآنسة فينر في غرفة الرسم، وقد جلست في الغرفة بشكل مهيب وكانت ترتدي مجموعة من النقوش التي حافظت عليها عائلتها بشكل عجيب. واستقبلت كنايتون بأدب بارد يمكن أن ينفر منها الكثيرون، ولكن كنايتون كان يملك سحراً خاصاً به كان مهيباً، وبعد دقائق قليلة كانت الآنسة فينر قد استرخت بشكل واضح، وكان الغداء مبهجاً وكانت هيلين التي كانت ترتدي زوجاً جديداً من الجوارب الحريرية قد أدت في خدمتها العجائب. وعندما انتهت الوجبة، ذهبت كاثرين وكنايتون في نزهة ثم عادا لتناول الشاي الذي تناولته بمفردهما، حيث ذهبت الآنسة

فينر لترتاح، وعندما ابتعدت السيارة، صعدت كاثرين السلم ببطء. وناداها صوت

- هل غادر صديقك؟

- نعم - نعم. أشكرك على السماح لي بلقائه هنا.

- لا داعي لشكري قالت فينر بنبرة حنون: (هل تحسبينني عجوزاً بخيلة لا تفكر في الآخرين؟) قالت في تودد وارتياح شديد، وكانت كاثرين على وشك المغادرة عندما نادت عليها الآنسة فينر:

- قولي يا كاثرين لقد أخطأت في الكلام عن ذلك الشاب قبل أن أراه. قد يكون الرجل عندما يمثل، قد يكون ودوداً وشهماً ومليئاً بالجاذبية الساحرة؛ ولكنه عندما يكون واقعاً في الحب يبدو كالحمل الوديع. أنا متأكدة من أن هذا الشاب يحبك بصدق.

الفصل الحادي والثلاثون

فطور السيد آرون

ارتشف السيد جوزيف آرون رشفة طويلة، ثم وضع كأسه على الطاولة وهو يتنهد بسرور، ثم مسح فمه ونظر بوجه سعيد إلى مضيفه الجالس أمامه وقال:

- "أعطني شريحة لحم جيدة" فابتسم السيد بوارو وقال لضيفه:

- "ألا تتناول المقبلات؟" قال ضيفه: "نعم، مقبلات وعجة، ولكن أعطني قطعة جيدة من اللحم الناضج". قدم بوارو الطلب، واستمر تناول الطعام في صمت. وأخيراً، تنهد السيد آرون تنهيدة طويلة ووضع الشوكة والسكين جانباً وقضم قطعة من الجبن قبل أن يسمح لعقله أن يتحول إلى انشغالات أخرى:

- "سيد بوارو"، قال بعد أن أنهى وجبته: - "لقد أردت أن تسألني عن بعض المعلومات في وقت سابق.

- أنت لطيف جداً. صديقي القديم، السيد جوزيف آرون، في كل ما يتعلق بمهنة الدراما. على وجه التحديد، سيد آرون، أخبرني ما الذي تعرفه عن شابة تدعى كيد.

- أنت محق يا سيد بوارو. كيتي كيد؟

- نعم، كيتي كيد،

- هي فنانة ماهرة جداً كانت تبدو جيدة جداً على المسرح في زي الرجال. كانت تغني وترقص هل هذه هي التي تهتم بها؟

- نعم، هذه هي. كانت تكسب عيشها جيداً في المسرح ولم تكن بدون ارتباطات أبداً لكنها لم تمثل منذ فترة، أليس كذلك؟

- لا، لقد تركت المسرح لتلتحق برجل فرنسي ثري.

- متى؟

- منذ حوالي ثلاث سنوات لقد كان رحيلها خسارة حقيقية للمسرح والموسيقي

- هل كانت موهوبة حقاً؟

- مثل الملاك.

- ألا تعرف اسم الشخص الذي ذهبت معه إلى باريس؟

- إنه رجل من الطبقة الراقية... كونت أو ماركيز. ـ وأنت لا تعرف ماذا حدث لها؟

- لم أسمع بها ولم أقابلها قط أراهن أنها تلعب دور ماركيز في حانة في مكان ما في الخارج إنها قادرة على فعل أي شيء، تلك "كيتي"!" قالها بوارو بتأمل.

- آسف لا أستطيع أن أخبرك المزيد عنها. أود كثيراً أن أسدي لك معروفاً يا سيد "بوارو". لقد أنقذتني من مأزق ذات مرة لن أنسى ذلك أبداً.

- الآن نحن متعادلان.

- معروف واحد يساوي آخر. آه! آه!" ضحك السيد آرون لابد أن مهنتك مثيرة للاهتمام؟ قال بوارو: "هكذا، هكذا، على كل حال، لا يوجد ما يدعو للشكوى. لكن عليك دائماً أن تبقي عينيك مفتوحتين. فأنت لا تعرف أبدا ما قد يجذب الجمهور، لقد أصبح الرقص رائجا جدا في السنوات الأخيرة، في الحقيقة لم أفهم أبدا الهوس بالباليه الروسي، لكن الجمهور يحبه، لقد قابلت راقصة في الريفيرا... الآنسة ميرال؟

- ميرال الشهيرة إنها دائماً ما تجد من يمول أدوارها...

- على كل حال، إنها ترقص بشكل جيد جداً لقد رأيتها وأعرف عن ماذا أتحدث، شخصيا لم تكن لي علاقة بها، ولكني سمعت أنها عصبية المزاج، ولأقل شيء تهيج لأدنى شيء تتوتر، قال بوارو:

- "نعم سمعت" يسمون ذلك المزاج، ألم ترقص ميرال على المسرح منذ فترة طويلة؟ تساء بوارو:

- حوالي سنتين ونصف نعم.

- نعم، ميرال لا تدع أي عشب ينمو تحت قدميها. يقولون ان الشاب كيترينغ قتل زوجته من أجلها. لست متأكدا من ذلك على أي حال، انه في السجن، وميرال كان عليها ان تتدبر أمرها. إنها لم تضيع أي وقت، فوفقاً للشائعات المتداولة فإنها ترتدي ياقوتة بحجم بيضة الحمام آه، هذا خبر مثير للاهتمام، لقد أخبرني به أحد الأصدقاء. ولكن ربما تكون الياقوتة مجرد زجاج ملون. كل النساء متشابهات، يحبون أن يطرزوا كل أنواع القصص عن مجوهراتهم. ميرال تخبر كل من يسمع أن هذه الياقوتة تجلب الحظ السيئ؛ إنها تسميها "قلب النار"، يقول بوارو: "إن لم تخني ذاكرتي فإن قلب النار هو أكبر حجر في قلادة مشهورة، ألم أقل لك؟ إنهم يكذبون من خلال أسنانهم عندما يتعلق الأمر بمجوهراتهم. إن ياقوتة ميرال هي ياقوتة كبيرة معلقة بسلسلة من البلاتين؛ ولكن، كما كنت أقول سابقاً، أراهن أن هذه الياقوتة مجرد قطعة من الزجاج.

- "لا"، قال بوارو بصوت منخفض، "لا، أعتقد أنك مخطئ. "

الفصل الثاني والثلاثون

كاثرين وبوارو يقارنان انطباعاتهما

يبدو لي أنك قد تغيرت يا آنسة - قال بوارو لكاثرين - في غرفة الطعام في فندق سافوي في لندن، كان الصديقان يتحادثان وهما جالسان متقابلان على طاولة صغيرة.

- نعم، أجدك مختلفة.

- بأي شكل؟

- آنستي، أجد صعوبة في التعبير عن بعض الفروق الدقيقة.

- هل كبرت في السن؟

- نعم، لقد كبرت في السن. لا أقصد أن التجاعيد تجعل وجهك قبيحاً. عندما التقينا أول مرة، كنت تنظرين إلى الحياة بعين هادئة مستمتعة كمتفرج يشاهد عرضاً من على كرسي مريح.

- والآن؟

- الآن أنت لا تكتفين بالمشاهدة فقط، قد تظنينني سخيفاً، ولكني أرى في ملامحك تعب مصارع يواجه صعوبات جمة. قالت كاثرين مبتسمة:

- قد تكون الآنسة العجوز فينر مشاكسة بعض الشيء في بعض الأحيان، ولكني أعتبرها كما هي. عليك أن تأتي لرؤيتها في سانت ماري ماد. ستقدّرين شجاعتها وقوة شخصيتها. وصمتا بينما كان النادل يقدم لهما طبق الدجاج ببراعة. ثم قال بوارو لكاثرين: - هل رأيتِ أي من أصدقائك من الريفيرا منذ عودتك إلى إنجلترا يا آنسة؟

- نعم، لقد زارني الرائد كنايتون.

- حقا؟

تحت نظرات بوارو المؤذية، أخفضت كاثرين عينيها

ـ السيد فان ألدن يعيش في لندن إذن؟

ـ نعم. سأذهب لرؤيته غدا أو بعد غد.

ـ هل أحضرت له أخبارا؟

- لماذا تسألين؟

- أنا... ظننت... أن... تلعثمت كاثرين... فراقبها بوارو للحظة طويلة.

ـ والآن يا آنسة... أستطيع أن أخمن أنك تريدين استجوابي. لا تترددي أليست قضية القطار الأزرق هذه هي "قصتنا البوليسية"؟ أود أن أسألك بعض الأسئلة.

- حسناً، أنا أستمع، نظرت كاثرين إلى بوارو بحزم ماذا كنت تفعل في باريس يا سيد بوارو؟

- ابتسم بوارو لقد قمت بزيارة السفارة الروسية.

- ألا يخبرك هذا بشيء؟

- لا، انتظري لحظة لن أختبئ في قوقعتي. سأكشف أوراقي على الطاولة. يمكنك ان تتخيلي يا آنسة إنني لست سعيدا جدا باعتقال ديريك كيترينغ؟ هذا ما حيرني في نيس، كنت أظن انك تتنازلين عن القضية، وأنت تخفين الحقيقة يا آنسة بصراحة.

- انا التي قادت كيترينغ الى ما هو عليه الآن ولولاي، لكان قاضى التحقيق مازال يحاول ان يلصق هذه الجريمة بالكونت دي لاروش. آنسة، انا لست نادما على أي من أفعالي. لدىّ هدف واحد فقط: العثور على الحقيقة، وهذا الأثر قادني مباشرة الى كيترينغ. هل ينتهى هناك؟ البوليس يعتقد ذلك، ولكنى انا هيركيول بوارو لست راضيا يا آنسة، هل سمعت من الأنسة لينوكس مؤخرا ؟ رسالة قصيرة كتبت على عجل هذا كل شيء. يبدو أنها كانت منزعجة من رحيلي، وفي مساء يوم القبض على كيترينغ أجريت معها مقابلة كانت مثيرة للاهتمام من عدة جوانب، وقد ظل بوارو صامتا للحظة وتركته

كاثرين ليفكر. وأخيرا قال في النهاية يا آنسة، إنني اقترب من موضوع حساس، ولكن دعيني اتحدت اليك بكل صدق. يمكنك أن تصححي لي إذا كنت مخطئا. أنا أعرف فتاة شابة تحب السيد كيترينغ، ومن أجلها - نعم من أجلها - أتمنى أن أكون على حق ضد البوليس.

- هل تعرفين من أعنى ؟

- نعم. " أجابت كاثرين: "نعم"، فمال بوارو نحوها. أنا لست راض عن الطريقة التي تسير بها القضية، فسلسلة الأحداث، أو على الأقل الأحداث الرئيسية التي أدت الى القبض على السيد كيترينغ. ولكننا حتى الآن أغفلنا تفصيلة واحدة... - وهي - وجه الضحية. لقد سألت نفسي مئات المرات: هل كان ديريك كيترينغ هو الرجل الذي قام بتشويه زوجته بهذا الشكل بعد قتلها؟ ماذا كان دافعه ؟ ماذا كان غرضه ؟ كيف يمكن التوفيق بين هذا العمل الوحشي ومزاج السيد كيترينغ؟ عبثا أسأل نفسى، ولمساعدتي في حل هذه المشكلة، ليس لدىّ سوى هذا، وبإشارة سريعة مد يده الى محفظته وأخرج منها شيئا أمسكه بدقة بين إبهامه وسبابته. آنسة، هل تتذكرين يا آنسة، هل تتذكرين رؤيتى وانا أزيل هذه الشعرة من البطانية في العربة؟ لقد

انحنت كاثرين لتفحصها، فأومأ بوارو برأسه ببطء، هل تعنى لك شيئا يا آنسة ؟

- لقد راودتني شكوك غريبة. لهذا السبب كنت أسألك عما كنت تفعله في باريس عندما كتبت لك... من فندق الريتز؟ ظهرت ابتسامة غامضة على وجه بوارو نعم، من فندق الريتز. بالضبط أنا أحب الرفاهية... عندما يقدمها لي مليونير. وما علاقة السفارة الروسية بهذا؟ ليس لها علاقة مباشرة. ذهبت إلى هناك للحصول على بعض المعلومات رأيت شخصا هناك هددته... نعم، انا هيركيول بوارو - هددته بالبوليس ؟

- لا... بالصحافة... سلاح أفظع بكثير، لقد لاحظت كاثرين. سيد بوارو"، قالت بابتسامة: - "في هذه اللحظة، ألست تقلد المحار الذي يغلق على نفسه في قشرته ؟

- لا، لا، لست غامضا. كنت أشك في أن هذا الروسي هو الوسيط في بيع "قلب النار". فأكدت له ذلك واعترف لي بكل شيء أمامه، وعرفت أين تمت الصفقة، وأخبرني عن رجل كان يتجول في الشارع، رجل أبيض الشعر، ولكنه يمشي بخطى شاب ناعم الخطى؛ وقد أطلقت على هذا الشخص في قرارة نفسي اسم (مسيو لو ماركيز).

- والآن أنت في لندن لمقابلة السيد فان ألدن؟

- فمنذ وصولي إلى هنا قمت باستفسارات عن شخصين آخرين: وكيل مسرحي، وطبيب مرموق في شارع هارلي..ضعي هذه الحقائق جنباً إلى جنب وأخبريني ما هي النتيجة التي توصلت إليها ـ

- أنا؟

- نعم أنت، يجب أن أعترف بأنني كثيراً ما تساءلت عما إذا كانت السرقة والقتل قد ارتكبا من قبل نفس الشخص.

- والآن؟

- ساد الصمت، ثم رفعت كاثرين رأسها.

- انا لست مؤهلة مثلك يا سيد بوارو. لا أستطيع أن أجد أي شيء فيما أخبرتني به للتو وشكوكي تأتي من مصادر مختلفة جدا، وهذا أمر مفهوم. - إن المرآة تعكس الحقيقة، ولكن كل شخص ينظر إليها من المكان الذي يحتله، قد تكون أفكاري سخيفة ومتناقضة مع أفكارك، ولكن...

- تكلمي من فضلك.

- خذ، هل يمكن أن يساعدك هذا؟

أخذ بوارو قصاصة الصحيفة التي كانت كاثرين تمسكها له. لقد كنت أقول لكِ يا آنستي، كل شخص ينظر إلى المرآة من زاوية مختلفة، ولكن المرآة تعكس دائماً نفس الشيء، وقفت كاثرين وقالت:

- "أنا ذاهبة". لديّ وقت فقط للحاق بقطاري يا سيد بوارو.

- نعم يا آنسة... أرجوكِ لا تتأخري انا.... لا استطيع الانتظار اكثر من ذلك انقطع صوتها.. فمسح على يدها مطمئنا.

- تشجعي يا آنسة الهدف قريب.

الفصل الثالث والثلاثون

نظرية جديدة

- السيد بوارو يرغب في المجيء الى هنا والتحدث اليك يا سيدي.

- دعه يشنق نفسه في مكان آخر! صرخ فان ألدن. ظل كنايتون صامتا باحترام، فقام المليونير ودخل الغرفة.

- هل قرأت القيل والقال في صحف هذا الصباح؟

- لقد ألقيت نظرة عليها يا سيدي فالصحف دائما ما تكون فريسة. جلس المليونير وهو يمرر يده على جبهته أنا آسف لأني جعلت ذلك البلجيكي الصغير مسؤولا عن القضية. ولكنى كنت افكر في شيء واحد فقط: العثور على قاتل روث.

- انت لا تريد ان ترى زوج ابنتك طليقا، أليس كذلك ؟ تنهد فان ألدن.

- كنت افضل أن آخذ العدالة بيدي.

- لا اعتقد ان هذا شيء حكيم يا سيدى، هذا سيء جدا.

- هل يريد هذا الرجل رؤيتي بالتأكيد؟

- نعم يا سيدي.

- جيد قل له ان يأتي في الصباح.

وبعد ساعة من الزمن، تم تقديم بوارو الأنيق إلى السيد فان ألدن. غير منزعج من موقف المليونير الأقل من الودي، مازح السيد بوارو في مواضيع مختلفة. قال بوارو وهو يفرك كتفه الأيسر متجهم الوجه:

- "لا... لا، ليس جرح حرب... إنه تذكار من مهنتي، رصاصة من بندقية فتى شقي".

- وأضاف قائلا: " السيد فان ألدن انت في افضل حالاتك الصحية، انت لا تناسب الصورة التي لدينا عن المليونير الأمريكي الذى يستشهد بعسر الهضم.

- قال فان ألدن: "انا جيد في عملي. أنا أعيش حياة بسيطة ومنظمة جدا.

- هل رأيت الآنسة غراي مرة أخرى؟ سأل بوارو السكرتير بأكثر براءة في العالم...

- "نعم مرة أو مرتين" أجاب كنايتون، احمر وجهه خجلا، فهتف فان ألدن في دهشة: - "من الغريب أنك لم تذكر لي ذلك يا كنايتون. "

- لم أكن أعتقد أن ذلك سيثير اهتمام الرجل المحترم، أنا مغرم جدا بالفتاة".

قال بوارو: - "أعتقد أنها عادت لتدفن نفسها في سانت ماري ماد. إنه أمر مثير للشفقة" وافق كنايتون بحرارة. وكان الكثيرون لو كانوا مكانها لرفضوا الذهاب لعلاج عجوز مجنونة لا تربطها بها صلة قرابة، فبرقت عينا بوارو. والآن أيها السادة المحترمون لنبدأ العمل! ونظر إليه الرجلان الآخران بدهشة.

- أولا وقبل كل شيء، أنصحك ألا تنزعج مما سأقوله لك يا سيد فان ألدن: لنفترض أن السيد ديريك كيترينغ ليس قاتل زوجته...

- ماذا؟

لقد ازدادت دهشة الرجلين.

أكرر: - دعنا نفترض ان السيد كيترينغ ليس قاتل زوجته.

- هل انت مجنون يا سيد بوارو ؟ قاطعه فان ألدن.

- لا، انا لست مجنونا... على الأكثر، انا غريب الأطوار قليلا في رأى بعض الناس. ولكن، فيما يتعلق بمهنتي، فأنا "اعرف كل شيء" مثل ظهر يدى.

أجبني يا سيد فان ألدن لو كان افتراضي صحيحا، هل ستكون سعيدا؟ فتح المليونير عينيه على مصراعيه، وأجاب أخيرا: - بالطبع. سيد بوارو، هل أنت مستمتع بهذا التمرين في الافتراض، أم أنك غيرت رأيك ؟ أدار بوارو عينيه:

- "مازال هناك أمل أخير: ربما يكون القاتل هو الكونت دي لاروش. على الأقل، لقد تمكنت من إبطال حجة غيابه.

- كيف تمكنت من ذلك ؟

هز المحقق كتفيه بتواضع، لدي بعض الأساليب الخاصة بي: قليل من اللباقة والمهارة... وها قد حصلت عليها... لكن الياقوت... "

فاعترض فان ألدن. - ألم تقل إن الياقوتات التي وجدت بحوزة الكونت كانت مزيفة؟ ومن الواضح أنه ارتكب الجريمة فقط ليضع يده على الياقوتات...

- هذا صحيح. ولكن، يجب ألا ننسى أن هناك لصا آخر قد يكون جاء قبله. هذه فرضية جديدة تماما".

- صرخ كنايتون متسائلا: "هل حقا تصدق كل هذا الهراء يا سيد بوارو؟

- حتى الآن هذا مجرد افتراض، ويبقى أن نثبت الدليل، ولهذا يجب أن ترافقني إلى نيس لدراسة القضية على الفور.

- هل تعتقد حقا أنه يجب أن أتبعك ؟ كما تريد، كان هناك في رد بوارو المقتضب عتاب لم يفلت من المليونير.

- حسنا، سأذهب. متى تريدنا أن نغادر يا سيد بوارو؟

- في هذه اللحظة، العمل ملح، لاحظ كنايتون أن المليونير قد اتخذ قراره ورفض اعتراض سكرتيره بإشارة منه.

- هذا يأتي أولاً سوف نغادر غداً يا سيد بوارو.

- وبأي قطار؟

- سنستقل القطار الأزرق"، أجاب بوارو مبتسماً.

الفصل الرابع والثلاثون

القطار الأزرق قطار المليونيرات

كما يطلق عليه أحياناً، كان قطار المليونيرات، ينطلق بسرعة فائقة حول منحنى في السكة. ظل فان ألدن وكنايتون وبوارو صامتين. وكان المليونير وكنايتون يشغلان مقصورتين متجاورتين وكانا يسافران في نفس ظروف سفر السيدة كيترينغ وخادمتها وقت وقوع المأساة. وكان بوارو قد حجز لنفسه مقصورة أبعد قليلاً في نفس العربة، وخلال الرحلة كانت الذكريات المؤلمة تطارد أفكار فان ألدن. تبادل بوارو والسكرتير بعض الكلمات بنبرات خافتة، ولكن عندما أكمل القطار رحلته الطويلة على طول "الحزام" ووصل إلى غار دي ليون، أصبح بوارو فجأة نشيطاً بشكل مفاجئ. فهم فان ألدن نية بوارو: أراد المحقق إعادة تمثيل الجريمة. ولعب بوارو جميع الأدوار، فكان بوارو بدوره الخادمة التي حُبست فجأة في مقصورتها، والسيدة كيترينغ التي فوجئت بوجود زوجها في القطار، وديريك كيترينغ الذي اكتشف أن زوجته تسافر في نفس الوقت الذي كان يسافر فيه... وقد حاول القيام بتجارب مختلفة لاكتشاف أفضل طريقة لإخفاء نفسه في المقصورة الثانية، وفجأة

خطرت له فكرة. !يا إلهي، لقد نسيت يجب أن ننزل في باريس بسرعة، بسرعة، دعنا نقفز من القطار. أخذ حقيبة في كل يد، وأسرع إلى الرصيف. وتبعه فان ألدن وكنايتون وهما في حيرة من أمرهما. كان من الصعب على المليونير أن يتخلص من الرأي الضعيف الذي كوّنه في البداية عن قدرات بوارو، وعند المخرج منعهما من المرور؛ فقد نسيا أن يحضرا معهما تذاكرهما التي كانت موكلة إلى قائد القطار الأزرق، ولم يكن لتفسيرات بوارو الواضحة والسريعة أي تأثير على الموظف الذي بدا عليه الجمود. صرخ فان ألدن: "هيا بنا ننتهي من هذا الأمر! أرى أنك في عجلة من أمرك يا سيد بوارو. سدد ثمن التذاكر من كاليه واتبع فكرتك، فتوقف بوارو عن الكلام وبقي كما لو كان متحجراً. وبقيت ذراعه مرفوعة في الهواء محتجاً، أنا أتصرف كالأحمق! أعلنها صريحة أنا بالتأكيد أفقد بوصلتي. لنعد إلى القطار ونواصل رحلتنا بسلام. لنأمل أن القطار الأزرق لا يزال هناك!

وصلا في الوقت المناسب. وكان القطار على وشك الانطلاق عندما صعد كنايتون الذي كان قد وصل أخيراً، إلى القطار حاملاً حقيبته. وقد وجه لهما الموظف بعض كلمات التوبيخ وساعدهما في حمل أمتعتهما إلى مقصورتهما. لم يتذمر فان ألدن من ذلك، ولكنه كان غاضباً من الداخل من

موقف بوارو غير المفهوم. وبعد أن تُرك وحيداً مع كنايتون لدقيقة أو دقيقتين، قال: "هذه الرحلة لا طائل من ورائها. رجلنا لا يعرف أين يقف. إنه يتمتع بمهارات معينة، ولكن عندما يفقد الإنسان أعصابه ويجري كالأرنب المذعور لا يجدي نفعاً. وعاد بوارو بعد لحظة واعتذر عن ذلك بكل تواضع، فقد بدا منزعجاً جداً لدرجة أنه كان من القسوة أن يعاتبه. وتقبل فان ألدن اعتذاره بهدوء وتمالك نفسه حتى لا يعاتبه بعنف، ثم تناولوا العشاء في عربة المطعم، ومما أثار دهشة رفيقيه أن بوارو اقترح أن يبقى ثلاثتهم جالسين في مقصورة فان ألدن أثناء الليل، فرمقه المليونير بنظرة استغراب: (سيد بوارو، هل هناك شيء لم تخبرنا به أنا؟ أنا؟ يا لها من فكرة! لم يقتنع فان ألدن. وأمر السائق بعدم ترتيب الأسرة. وقد اختفت الدهشة التي ارتسمت على وجه هذا الموظف أمام الإكرامية السخية، وبقي الرجال الثلاثة صامتين، أما بوارو فقد كان مضطرباً جداً ولم يستطع الوقوف ساكناً. وسرعان ما التفت إلى السكرتير.

- ميجور كنايتون، هل باب مقصورتك مغلق؟ أعني الباب الذي يفتح على الممر.

- نعم، لقد ضغطت للتو على المزلاج بنفسي،

- هل أنت متأكد من أنه مغلق بشكل صحيح؟

- انتظر، سأتأكد من ذلك إذا أردت" قالها كنايتون مبتسما.

- لا، لا تتعب نفسك. أريد أن أرى بنفسي. من خلال الباب المتصل، دخل إلى المقصورة الثانية وعاد بعد ثانية.

- أنت على حق. اعذرني على خصوصيات الرجل العجوز، وأغلق الباب الموصل واستأنف جلوسه في الزاوية اليمنى. ومرت الساعات. كان الثلاثي يغفو في بعض الأحيان ويستيقظون مع بداية. ربما كانت تلك هي المرة الأولى التي يرفض فيها ثلاثة ركاب حجزوا مقاعدهم في أفخم قطار في العالم أن يستمتعوا بالراحة التي دفعوا ثمنها. ومن وقت لآخر، كان بوارو يستشير ساعته ويهز رأسه ويغفو في نوم عميق، وفي لحظة ما نهض وفتح الباب المتصل بالقطار: ألقى نظرة فاحصة على النافذة وبينما كان يفعل ذلك نظر إلى الخارج، ألقى نظرة على المقصورة المجاورة وعاد إلى مقعده.

- ما الأمر؟ ماذا تنتظر في هذا الجانب؟ ـ سأل كنايتون ـ

أعصابي متوترة ـ اعترف بوارو انا مثل القطة التى تمشى على الجمر... أقل ضوضاء تجعلني اقفز...

تثاءب كنايتون. - انت تأخذنا في رحلة حزينة! أرجو انك تعرف ما ترمي اليه يا سيد بوارو.. قال متمتما، ثم استسلم للنوم قدر المستطاع، وكان فان ألدن وسكرتيره غافلين عندما نظر بوارو الى ساعته للمرة الرابعة عشرة، ثم انحنى الى المليونير وربت على كتفه.

ـ ماذا تريد؟ ـ

- خلال خمس دقائق سنكون في ليون يا سيدي.

ـ يا إلهي - شحب وجه فان ألدن وشحب لونه في الضوء الليلي الخافت. - لقد كان هذا هو الوقت الذي قُتلت فيه المسكينة روث، فانتصب واقفاً وعيناه غائرتان. وانقبضت شفتاه وهو يتذكر في داخله تلك المأساة المروعة التي ستحزنه بقية أيامه. ثم دوت المكابح وأبطأت سرعة القطار ودخلت عربة القطار إلى محطة ليون. وأنزل فان ألدن النافذة وانحنى من فوق كتفه قائلاً: "إذا لم يكن ديريك هو القاتل، و إذا تأكدت فرضيتك الجديدة، فإن الرجل غادر القطار في هذه المحطة. " ولدهشتهما الشديدة، أومأ بوارو برأسه: - "لا، لم يكن الرجل الذي غادر القطار، بل... امرأة. "

صرخ كنايتون: "امرأة؟"

سأل فان ألدن بحدة: "امرأة؟

- لو كنت تتذكر يا سيد فان ألدن، فقد ذكرت الآنسة غراي في شهادتها أن صبيا صغيرا يرتدى معطفا ويعتمر قبعة نزل الى الرصيف بحجة مد رجليه. وعلى حد علمي، فإن الصبي لم يكن سوى امرأة.

- من هي هذه المرأة؟ فبدت على وجه فان ألدن علامات الشك والارتياب، ولكن بوارو أجاب بلهجة جازمة قاطعة: - إن اسمها - أو بالأحرى الاسم الذي حملته لعدة سنوات - هو كيتي كيد، ولكنك يا سيد فان ألدن تعرفها باسم آدا ماسون.

قفز كنايتون واقفاً على قدميه: - (هل هذا ممكن؟) التفت إليه بوارو بحدة: - آه، بينما أفكر في الأمر، اسمح لي أن أقدم لك سيجارة من حقيبتك الخاصة. كم كان من الحماقة منك أن تسقطها عندما استقللت القطار على الطريق الدائري، فنظر إليه كنايتون في ذهول، ثم قام بحركة ولكن بوارو أوقفه بإشارة منه ونصحه بصوت معسول: - (لا فائدة من محاولة الهرب) عندما غادرت باريس فتحت باب الممر بنفسي، وزملاؤنا من الشرطة في هذه المقصورة يمنعونك من الهروب. وكما تعلم بلا شك، فإن العدالة الفرنسية تطلبك يا سيد كنايتون، أو إن شئت يا "مسيو لو ماركيز. "

الفصل الخامس والثلاثون

التفسيرات

- هل تريد تفسيراً؟ ابتسم بوارو.

لقد كان يتناول الغداء مع المليونير في شقة الأخير في فندق نيغريسكو.

بدا أن صديقه قد تخلص من ثقل كبير في ذهنه، لكنه كان لا يزال في حيرة من أمره. اتكأ بوارو على كرسيه وأشعل إحدى سجائره الصغيرة ونظر إلى السقف بعينين متأملتين نعم، سأشرح لك.

هناك تفصيل واحد أثار فضولي منذ البداية: وجه السيدة كيترينغ المشوه. وهذا أمر غير مألوف في تحقيقاتنا الجنائية، ويكشف عن رغبة في جعل الضحية غير قابلة للتعرف عليها.

وبطبيعة الحال، سألت نفسي على الفور هذا السؤال:

- هل كانت السيدة كيترينغ القتيلة هي حقا السيدة كيترينغ؟

شهادة الآنسة غراي القاطعة جعلتني استبعد أي افتراض آخر. المرأة المسكينة كانت حقا السيدة روث كيترينغ.

- في أي نقطة اشتبهت في الخادمة ؟ ليس على الفور. هناك تفصيل واحد صغير لفت انتباهي اليها: علبة السجائر التي وجدت في المقصورة، والتي ادعت ان السيدة كيترينغ أعطتها لزوجها. ونظرا للعلاقة بين الزوجين، بدت هذه الهدية غير قابلة للتصديق. وبدأت أشك في صحة ادعاءات أدا ماسون، مع الأخذ في الاعتبار أنها كانت في خدمة سيدتها لمدة شهرين فقط. ومن الواضح بدا لي أنه من المستحيل أن تكون متورطة في الجريمة، لأنها كانت قد مكثت في باريس، وبعد ذلك رأى عدة أشخاص السيدة كيترينغ على قيد الحياة، ولكن... وانحنى بوارو إلى الأمام ورفع سبابته وهزها بقوة تحت أنف فان ألدن.... ولكنني محقق بارع. دائما ما أشك، لا أحد يفلت من شكوك هيركيول بوارو. انا لا أصدق أي شيء يقوله لي أي شخص. أقول لنفسي: من يستطيع أن يثبت أن "آدا ماسون" تركت في باريس؟ أولاً، الإجابة على هذا السؤال كانت قاطعة. فلدينا شهادة سكرتيركم الميجور كنايتون الذي كان خارج القضية تماما، ثم شهادة السيدة كيترينغ نفسها للسائق. ولكنى صرفت النظر عن إفادة السكرتير من يدى، لأنني كنت أفكر بجنون. لو كان افتراضي صحيحاً بأي حال من الأحوال، فإن هذه الشهادة الثانية ستكون بلا قيمة. لذا حاولت أن أهدم تأكيد كنايتون. لقد أقسم أنه رأى آدا ماسون في باريس، في

فندق الريتز، بعد مغادرة القطار الأزرق. وبفحص الوقائع بدقة، لاحظت تفصيلين مهمين. أولا، بمصادفة غريبة أن سكرتيرك كان معك منذ شهرين. ثانياً، اسمه يبدأ بحرف "ك". دعنا نفترض... أقول دعنا نفترض... أن علبة السجائر التي وجدت في المقصورة كانت له. ولو كان هو وأيدا ماسون يعملان معا، ألم تكن لتستجيب تماما كما استجابت هى عندما تعرفت على هذا الشيء ؟ ففوجئت على حين غرة، فاخترعت قصة تدين السيد كيترينغ. وبالطبع لم يكن هذا الاتهام جزءًا من خطتهما الأصلية، لذلك لم تكن آدا ماسون حازمة بشكل مبالغ فيه، في حالة ما إذا قدم كيترينغ حجة: "إذا نظرت إلى الوراء ستتذكر حقيقة واحدة مهمة. لقد اقترحت على الخادمة أن الرجل الذي رأته مع سيّدتها لم يكن إيرل لا روش، بل ديريك كيترينغ. وقد ترددت في ذلك الوقت، ولكن عندما عدت إلى الفندق أخبرتني بالتلفون أن آدا ماسون بعد التفكير في الأمر أكدت لي أن الرجل هو ديريك كيترينغ. وبعد ان غادرت الفندق استشارت أحدهم. من هو؟ الرائد كنايتون لقد أعطى تعليماته وقد امتثلت له. شيء آخر: في أثناء حديثنا، ذكر لي الميجور كنايتون ان بعض المجوهرات قد سُرقت من المنزل الذى كان يسكن فيه، فهل كانت هذه مجرد مصادفة ام كان خاتما جديدا في السلسلة ؟

- سيد بوارو، ربما يكون عقلي متبلد الذهن، ولكنى اعترف ان هناك تفصيلا واحدا قد غاب عنى حتى الآن. من هو الرجل الذى ركب القطار في باريس ؟ هل هو ديريك كيترينغ أم الكونت دي لا روش ؟

- هذه هي البساطة الشديدة للقضية. الرجل لم يكن موجودا ابدا. يا لها من ألف رعد ورعد، لا يخبرنا عن هذه الشخصية سوى أدا ماسون ونحن نصدق الخادمة لأن كنايتون يدعي أنه رآها في باريس، وقد أخبرت روث نفسها السائق أنها تركت خادمتها في باريس، انتظر، لقد وصلنا إلى هناك. نحن نعتقد أن لدينا شهادة السيدة كيترينغ، وقد انتهى الأمر: امرأة ميتة لا تستطيع أن تقدم دليلا. كل ما لدينا هو إفادة السائق... وهذا مختلف، فهل تعتقد ان هذا الرجل كذب ؟ لا، لا لقد كرر ما كان يظن أنها الحقيقة، فالمرأة التي أخبرته أنها تركت خادمتها في باريس لم تكن السيدة كيترينغ. وقد فتح المليونير عينيه مندهشا على مصراعيها، سيد فان ألدن إن روث كيترينغ ماتت قبل وصول القطار الى غار دي ليون. لقد كانت أدا ماسون ترتدى ثياب سيّدتها الأنيقة، وهى التي اشترت سلة العشاء وتحدثت الى سائق القطار.

- هذا مستحيل !

- ليس مستحيلا على الإطلاق يا سيد فان ألدن، فجميع النساء اليوم متشابهات في الشكل، ويتم التعرف عليهن من ملابسهن أكثر من وجوههن. كانت آدا ماسون في نفس طول ابنتك، وكانت ترتدي معطف الفرو الفخم والقبعة الحمراء الصغيرة المسدلة إلى عينيها، مع خصلة من الشعر الكستنائي تخرج من كل أذن ولا عجب ان الموظف قد اخطأ في فهمها. انه لم يكن قد تحدث الى السيدة كيترينغ بعد، أتذكر ذلك. وبالطبع كان قد رأى الخادمة وهي تسلمه تذاكر القطار، ولكن انطباعه عنها كان مجرد امرأة طويلة نحيفة ترتدي ملابس سوداء. وتذكر أيضاً أن ماسون، أو كيتي كيد، كانت ممثلة قادرة على تغيير مظهرها وتغيير نبرة صوتها. لذلك لم يكن هناك خطر من أن يتعرف الموظف على الخادمة في زيها المستعار، ولكن عندما يكتشف جثة السيدة كيترينغ قد يدرك أنها ليست نفس الشخص الذي تحدث إليها في اليوم السابق: ومن هنا كانت الحاجة إلى تشويه وجه الضحية. كانت المخاطرة الرئيسية لدا ماسون هي أن تدخل الآنسة غراي إلى المقصورة بعد مغادرة باريس. ولكن من الذي قتل روث... ومتى؟ أولاً وقبل كل شيء، دعونا لا نغفل حقيقة أن الجريمة تم التخطيط لها وتنفيذها من قبل الشريكين في الجريمة وهما كنايتون وآدا ماسون. كان كنايتون في باريس في ذلك

اليوم في مهمة رسمية. وقد قفز على القطار في مكان ما على خط الحزام. ولابد أن السيدة كيترينغ قد أبدت بعض الدهشة عندما رأته، ولكنها لم تشك في أي نوايا سيئة. ولعله لفت انتباهها إلى النافذة، وعندما التفتت لتنظر، دس الحبل حول عنقها. وبعد لحظات، انتهى كل شيء. وبعد أن أغلق باب المقصورة، شرع الشريكان في العمل. جردا المرأة الميتة من ملابسها ولفوا الجثة في بطانية ووضعوها في المقصورة المجاورة على المقعد، بين حقائب السفر. نزل كنايتون من القطار، وأخذ معه حقيبة مجوهرات السيدة كيترينغ. وبما أنه من المفترض أن الجريمة قد ارتُكبت، بعد حوالي اثنتي عشرة ساعة، فإن القاتل ليس في خطر، وشهادته مع أقوال السيدة كيترينغ المزيفة هي أفضل دليل لديه على الجريمة.

وفي محطة ليون، اشترت آدا ماسون لنفسها غداءً جاهزاً؛ ولجأت إلى غرفة تبديل الملابس، ولبست على عجل معطف سيدتها، وعدلت خصلتين مستعارتين من شعرها الكستنائي تحت القبعة الحمراء الصغيرة، ووضعت المكياج على وجهها لتشبه السيدة كيترينغ بأكبر قدر ممكن. وعندما وصل المحصل ليقوم بتجهيز الأسرة، أخبرته بقصتها التي أعدتها مسبقاً: لقد تركت خادمتها في باريس، وبينما كان هو يعد السرير نظرت آدا ماسون من النافذة

وظهرها إلى الممر الذي يسافر فيه الركاب. ثم وضعت آدا ماسون الجثة في السرير، ووضعت بعناية متعلقات سيّدتها في أسفل السرير، وبعد أن ارتدت بنفسها بدلة رجل، استعدت للنزول من القطار الأزرق.

عندما يدخل ديريك كيترينغ إلى مقصورة زوجته التي يعتقد أنها نائمة، لا يترك التدريج أي شيء يمكن أن يكون مرغوبًا فيه، وتختبئ آدا ماسون في المقصورة الثانية منتظرة لحظة النزول دون أن يتعرف عليها أحد. وبمجرد أن يقفز السائق إلى رصيف المحطة في ليون، تتبعه دون عجلة وكأنها تستنشق بعض الهواء النقي. استغلت لحظة لم يكن يراقبها فيها أحد، وشقت طريقها إلى الرصيف الآخر، وركبت أول قطار متجه إلى باريس، وشقت طريقها إلى فندق ريتز. كان أحد شركاء كنايتون قد حجز غرفة باسم آدا ماسون في اليوم السابق. كل ما كان عليها فعله هو الانتظار بصبر حتى تصل. ولم تكن المجوهرات في حوزتها ولو للحظة. لا أحد يشك في كنايتون، وبحماية من منصبه كسكرتير لك، فقد أحضر المجوهرات إلى نيس دون عقاب. وقد تم تحديد موعد تسليمها الى السيد بابوبولوس بالفعل، وفي اللحظة الأخيرة سلمتها ماسون لليوناني لقد كانت خطة محبوكة بشكل مثير للإعجاب: لا يمكن أن نتوقع أقل من ذلك من مجرم بارع مثل ماركيز.

- وهل تعتقد حقا أن ريتشارد كنايتون هو قاتل محترف يعمل منذ زمن طويل؟

أومأ بوارو برأسه قائلا:

- إن أحد أهم ما كان يتمتع به هذا المدعو ماركيز هو تميزه الطبيعي وسحره الذي كنت أنت نفسك ضحية له يا سيد فان ألدن عندما وظفته كسكرتير دون أن تقوم بأي استفسار عنه.

- يمكنني أن أؤكد لك أنه لم يتقدم للوظيفة قط! لقد قدم طلبه بذكاء شديد لدرجة أنه تمكن من خداع رجل في مثل إدراكك.

- لقد فحصت التزكيات التي قدمها لي: لقد بدت لي ممتازة.

- نعم! كان كل ذلك جزء من لعبته. كـ ريتشارد كنايتون كان فوق الشبهات. فهو ينحدر من عائلة شريفة ذات علاقات رفيعة المستوى، وقد تصرف بإخلاص خلال الحرب وبدا لي أنه يتحدى الشبهات. ولكن عندما حصلت على معلومات عن الماركيز الغامض، اكتشفت تشابهاً معيناً بين الشخصيتين: كان كنايتون يتحدث الفرنسية مثل الباريسيين، وكان قد عاش في أمريكا وفرنسا و إنجلترا في نفس الوقت الذي كان الماركيز يعمل فيه في تلك البلدان. لقد كان هذا (السيد) يسرق المجوهرات في سويسرا في نفس الوقت الذي التقيت فيه بالرائد كنايتون وكانا يتفاوضان على شراء

(قلب النار) الشهيرة، ولكن لماذا قتل؟ كان بإمكان لص ذكي جداً أن يسرق المجوهرات دون المخاطرة بعقوبة الإعدام، فأومأ بوارو برأسه: "هذه ليست أول جريمة قتل للماركيز. إنه يقتل بالغريزة. والأكثر من ذلك أنه يعتقد أنه من المرجح أن يهرب من العدالة، دون ترك أي دليل وراءه، الموتى لا يروون حكايات لدى ماركيز شغف بالمجوهرات التاريخية. لقد نصب شباكه مسبقاً قبل وقت طويل، فنصب نفسه في منزلك كسكرتير لك، وأقنع شريكه بأن يكون خادمة ابنتك التي ظن أن القلادة مخصصة لها. وعلى الرغم من هذه الخطة المحكمة، لم يتردد ماركيز في دفع اثنين من المحتالين لنصب كمين لك في الليلة التي حصلت فيها على المجوهرات. ولم تنجح هذه المناورة، ولا أعتقد أنه كان مسروراً جداً بذلك. بل كان يعلق آماله على تركيبة أخرى: لا يمكن أن يصل الشك إلى ريتشارد كنايتون. ولكن ككل الرجال العظماء - لأن ماركيز كان رجلا عظيما - كانت له نقاط ضعفه. لقد وقع في حب الآنسة غراي بشغف، ولما أحس بحب ديريك كيترينغ لها لم يستطع أن يقاوم إغراء اتهام ديريك بالجريمة عندما يحين الوقت المناسب، والآن سأخبرك بحقيقة مزعجة. إن الآنسة غراي ليست إنسانة خيالية على الإطلاق. ومع هذا فهي تعتقد جازمة أنها شعرت بوجود ابنتك بجانبها في حدائق كازينو

مونت كارلو، بعد محادثة طويلة أجرتها للتو مع كنايتون. وبدا لها أن المرأة الميتة أرادت أن تكشف لها أن كنايتون هو قاتلها. بدت لها الفكرة خيالية جداً في ذلك الوقت لدرجة أنها لم تجرؤ على إخبار أحد بها، ولكنها كانت مقتنعة بها لدرجة أنها تصرفت على هذا الأساس. وبدلاً من أن تثبط من عزيمة كنايتون، تظاهرت أمامه بالاعتراف بذنب ديريك كيترينغ أمامه، وتذمر فان ألدن - بالفعل -. انه من الصعب تفسير هذه التدخلات الغريبة من عالم آخر. بالمناسبة، هناك تفصيل بسيط أثار فضولي الى ما لا نهاية. ان سكرتيرك لديه عرج واضح الى حد ما، نتيجة جرح حرب، وماركيز كان يمشى مثل الجميع. لكن الآنسة لينوكس تامبلين أخبرتني بالمصادفة ذات يوم أن العرج فاجأ الجراح الذي عالج كنايتون في مستشفى السيدة تامبلين. فكرت على الفور في محاكاة. وفي أثناء رحلتي إلى لندن ذهبت لمقابلة الجراح المعني، فأعطاني بعض التفاصيل الفنية التي أكدت شكوكي. وقد ذكرت أول أمس اسم الجراح في حضور كنايتون، وكان من الطبيعي جداً أن يخبرني أنه عولج على يده أثناء الحرب، ولكنه التزم الصمت، وهذه الحقيقة التي تبدو غير ذات أهمية بددت آخر شكوكي. كما أطلعتني الآنسة غراي على قصاصة من جريدة عن سرقة في مستشفى الليدي تامبلين أثناء وجود

كنايتون هناك. وقد ادركت أنني والآنسة غراي كنا نتتبع نفس الأثر عندما كتبت لها من فندق الريتز في باريس، وفي باريس لم تحرز تحرياتي تقدما يذكر، ولكني حصلت على النتيجة التي كنت أريدها. فقد علمت أن آدا ماسون قد وصلت إلى فندق الريتز في اليوم التالي للجريمة وليس في اليوم السابق لها. وساد صمت طويل، ثم مد المليونير يده إلى بوارو فوق الطاولة وقال بصوت جاد: - هل تفهم أهمية الخدمة التي تؤديها لي؟ إنك ستستلم شيكي غداً، ولكن كل ثروتي لا تستطيع أن تظهر لك امتناني لك. أنت رجل رائع يا سيد بوارو، فوقف المحقق ونفخ في صدره وقال بتواضع: "أنا مجرد هيركيول بوارو". أنا رجل عظيم مثلك يا سيد فان ألدن. أنا مسرور لتمكني من مساعدتك. والآن سأصلح الضرر الذي سببته الرحلة. للأسف، ليس لدي صديقي الممتاز جورج! في صالة الفندق التقى بصديق له: السيد بابوبولوس الموقر بصحبة السيد فان ألدن. تمتم اليوناني وهو يصافح يد المحقق الودودة: "لقد ظننت أنك بعيد عن نيس يا سيد بوارو".

- عملي يجبرني على العودة يا سيد بابوبولوس الطيب ـ

- عملك؟ ـ

- تماماً وكيف حال صحتك يا صديقي العزيز؟

- أفضل بكثير. في الحقيقة، سنعود إلى باريس غداً أنا مسرور بذلك

ـ آمل أنك لم تفسد تماما وزير اليونان السابق؟

ـ أنا؟

ـ لقد علمت أنك بعت له ياقوتة رائعة.

ـ فقط بيننا.

ـ التي ترتديها الآنسة ميرال الراقصة.

ـ نعم، نعم يا سيد بوارو، هذا صحيح.

- ياقوتة تشبه إلى حد كبير ياقوتة (قلب النار) الشهيرة، بالطبع هناك تشابه بينهما"، أجاب اليوناني بابتسامة متجردة.

- أنت فنان حقيقي عندما يتعلق الأمر بالمجوهرات، تهانينا سيد بابوبولوس، آنسة زيا، أنا آسف لعودتك إلى باريس بهذه السرعة. لقد كنت أتمنى أن أحظى بشرف الخروج معك بعد أن أنجزت مهمتي ـ

- هل سيكون من الطيش مني أن أسألك عن ماهية تلك المهمة؟ ـ

- لا على الإطلاق لقد تمكنت للتو من القبض على الماركيز.

لقد أظلمت تعابير وجه السيد بابوبولوس النبيل قليلاً.

- الماركيز؟ حسناً، هذا الاسم ليس غريباً عني تماماً! بالطبع كيف لا تعرفه؟ أنا أتحدث عن قاتل عادي وسارق مجوهرات. لقد تم القبض عليه للتو بتهمة قتل السيدة الإنجليزية السيدة كيترينغ حقا ؟

وتبع ذلك تبادل الوداع بلباقة شديدة، وعندما انتهى بوارو من توديعه، التفت السيد بابوبولوس الى ابنته.

قالت زيا: - أعلنها باقتناع. هذا الرجل يعجبني!

- وأنا أيضا إنه ساحر حقيقي!

الفصل السادس والثلاثون

على شاطئ البحر

كانت أشجار الميموزا تذبل وتنشر رائحة خافتة في الهواء. وتشابكت أزهار إبرة الراعي الوردية على درابزين شرفة فيلا مارغريت. وفي الحديقة كانت أزهار القرنفل تنفث عطراً زكيّاً نفاذاً في الهواء، وكان البحر الأبيض المتوسط أكثر زرقة من أي وقت مضى، وكان بوارو جالساً على الشرفة مع لينوكس تامبلين، وكان قد انتهى من سرد القصة التي رواها للفتاة الصغيرة والتي رواها لفان ألدن قبل يومين. كانت لينوكس تستمع إليه بانتباه، وحاجباها مجعدان ونظراتها سوداوية، فسألته ببساطة:

- ماذا عن ديريك؟

- لقد أطلق سراحه صباح الأمس.

- أين هو؟

- لقد غادر نيس مساء الأمس.

- ليذهب إلى سانت ماري ماد؟

- نعم، إلى سانت ماري ماد.

- كان هناك توقف - لقد كنت مخطئة بشأن طبيعة مشاعر كاثرين تجاه ديريك، اعترفت لينوكس.

ـ لم يكن لدي أي فكرة أنها تحبه حقا، إنها إنسانة كتومة تحتفظ بأسرارها لنفسها.

ـ قالت لينوكس مع لمحة من المرارة في صوتها.

ـ أجاب بوارو: بالتأكيد. ولكن الآنسة كاثرين، بعد أن قضت معظم حياتها تستمع إلى حديث الآخرين، فقدت عادة سرد أفراحها وأحزانها.

- لقد كنت غبيا عندما تخيلت أنها تفضل كنايتون. صافحها بوارو بمودة لا تفقدي الأمل يا آنستي، حدقت لينوكس في البحر، وقد ارتسمت على وجهها الموحش تعابير الجمال المأساوي. في النهاية لم يكن الأمر لينجح. أنا صغيرة جداً على ديريك. إنه كالطفل الذي نسي كيف يكون عاقلاً. إنه لا يزال بحاجة إلى إشراف والدته. تبع ذلك صمت طويل. ثم التفتت لينوكس إلى المحقق: "لقد ساعدتك يا سيد بوارو، ألا توافقني الرأي؟ - أعترف لكِ بذلك يا آنسة. لقد كنتِ أنتِ من فتح عينيّ بإخباري أن القاتل لم يسافر بالضرورة على متن القطار الأزرق، فحتى ذلك الحين لم أستطع أن أفسر كيف يمكن أن تكون الجريمة قد ارتكبت. تنهدت لينوكس تنهيدة عميقة، آه، هذا عزاء!

وخلفهما كان صافرة القاطرة تدوي في الهواء، ذلك القطار الأزرق اللعين مرة أخرى! القطار وحش لا يكل ولا يمل، أليس كذلك يا سيد بوارو؟

- ربما يقتل الناس، ولكنه مازال يسير كالمجنون.

- أنا أتحدث هراء، اعذرني سيد بوارو ولكنك يجب ان تفهم فكرتي، نعم، نعم يا آنسة. ومثل القطار، الحياة تستمر لماذا؟ لأن القطار يصل في النهاية إلى وجهته وهناك مثل إنجليزي يقول: "يلتقي العشاق في نهاية الرحلة"، أنهت لينوكس مبتسمة. للأسف، ليس هذا هو الحال بالنسبة لي.

- نعم، إنه كذلك! كوني صبورة! أنت شابة، أصغر مما تظنين! لا تفتري على القطار، إن الرب نفسه هو الذي يوجهه! دوت صافرة القاطرة مرة أخرى وعاد المحقق إلى التهمة: - ثقي بالقطار يا آنسة. ثقي بكلام هيركيول بوارو. إنه يعرف أين يقف!

ترجمها لك من الفرنسية

الأمجد العثماني

تمت بحمد الله.